
بسم الله الرحمن الرحيم


قبس من نور
الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

ISBN 978-9933-489-31-1

9 789933 489311

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٢ : ٢٣٣٦

الرقم الدولي ISBN: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٣١١

BP ٤٠ / ٦ ٨٣ ش / ٢ ق

الشمري، حسن

قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام: دراسة موضوعية في حياة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام / [تأليف] حسن الشمري الحائري. - ط. ١. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة ١٤٣٤ق. = ٢٠١٣م.

٤٦٤ ص. - ٢٤ سم. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛٩٤).

المصادر في الحاشية.

١ . الحسن بن علي (ع)، الإمام الثاني، ٣ - ٥٠ق. - نقد وتفسير. ٢. الحسن بن علي (ع)، الإمام الثاني، ٣ - ٥٠ق. إثبات الإمامة . ٣. الحسن بن علي (ع)، الإمام الثاني، ٣ - ٥٠ق. - ٤. الحسن بن علي (ع)، الإمام الثاني، ٣ - ٥٠ق. - علم. ٥. الحسن بن علي (ع)، الإمام الثاني، ٣ - ٥٠ق. - شعر . ألف. العنوان. ب. السلسلة.

BP ٤٠ / ٦ / ٨٣ ش ٢ ق

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة



دراسةٌ موضوعيةٌ في حياة
الإمام الحسنِ المجتبى عليه السلام

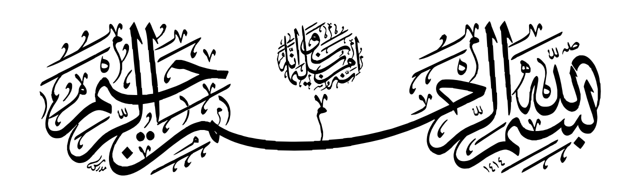
تأليف
الشيخ حسن الشمري الحائري

إصدار
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى
١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م



العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩
www.imamhussain-lib.com
البريد الالكتروني: info@imamhussain-lib.com



ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ
ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا
ٱلضَّآلِّينَ ٧

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في سطور

اسمه: الحسن.

والده: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

والدته: فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين.

جده: خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله.

كنيته: أبو محمد.

لقبه: التقي، الطيب، الزكي، المجتبى..

ميلاده: في الخامس عشر من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة.

صفته: كان عليه السلام أبيض اللون، مشرباً بحمرة، واسع العينين، كثّ اللحية، ليس بالطويل ولا بالقصير، مليحاً، عليه سيماء الأنبياء.

إمامته: قام بالأمر بعد أبيه وله سبع وثلاثون سنة.

حروبه عليه السلام : شارك الإمام الحسن عليه السلام في فتوحات أفريقيا وبلاد فارس، ما بين سنة (٢٥-٣٠ للهجرة)، واشترك في جميع حروب أبيه الإمام علي عليه السلام ، وهي: ١- الجمل. ٢- صفين. ٣- النهروان.

زوجاته عليه السلام : ١- أم بشير بنت أبي مسعود الخزرجية. ٢- خَولة بنت منظور الفزارية. ٣- أم إسحاق بنت طلحة التيمي. ٤- جَعدة بنت الأشعث.

أولاده عليه السلام : ١- زيد ٢- الحسن ٣- عمرو ٤- القاسم ٥- عبد الله ٦- عبد الرحمن ٧- الحسين ٨- طلحة ٩- أم الحسن ١٠- أم الحسين ١١- فاطمة بنت أم إسحاق ١٢- أم عبد الله ١٣- فاطمة ١٤- أم سلمة ١٥- رقية، وغيرهم.

تاريخ شهادته عليه السلام: استشهد في ١٧ صفر سنة ٤٩هـ وله من العمر سبع وأربعون سنة.

سبب شهادته عليه السلام: قُتل عليه السلام مسموماً بأمر من معاوية على يد زوجته جُعدة بنت الأشعث.

محل دفنه عليه السلام: المدينة المنوّرة، مقبرة البقيع.

نقش خاتمه: «العزة لله»، أو «حسبي الله».

حرزه: «بسم الله الرحمن الرحيم، اللهمَّ إني أسألُك بمكانِك وبمعاقدِ عزِّك وسكانِ سماواتك وأنبيائِك ورسلك أن تستجيبَ لي، فقد رهقني من أمري عسر، اللهمّ إني أسألك أن تصلّيَ على محمّدٍ وآل محمّدٍ، وأن تجعلَ لي من عسري يسراً».

ميلاده الكريم: في ليلة النصف من شهر رمضان، كان عليٌّ وفاطمة عليهما السلام ينتظران وليدهما الأول، ما أشدّ فرحتهما به، وهما يعلمان أنه وريث الإمامة وحامل لواء الرسالة، وفي نهار اليوم التالي أطلَّ الإمام الحسن عليه السلام إلى العالم الجديد، وغمرت الفرحة والدته الطاهرة عليها السلام، وهكذا سُرّ الإمام علي عليه السلام بولده وقرّة عينه، فحمله على صدره وضمّه إليه بكل سرور، وأوصلوا خبره إلى جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله، فجاء إلى بيت الإمام علي عليه السلام وحمل الحسن، وطلب من فاطمة أن تناوله خرقة بيضاء جاء بها جبرائيل من الجنة، فلفّه بها وأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وعقّ عنه كبشاً، وقال: اسمه الحسن، لأنّ الله تعالى انتخب له هذا الاسم المبارك القليل التداول عند العرب وهكذا صار اسمه عليه السلام يصدع الأسماع، وأقبل المسلمون يهّنئون النبيَّ صلى الله عليه وآله بحفيده الحسن، ويباركون للإمام ولده الزكي، فعاش الحسن سنواته القليلة مع جده في كنف الرسالة، يشمّ عبق النبوة، وأريج الجهاد المتواصل.

المقدمة

إنّ الحوادث المُرّة التي أعقبت وفاة النبيِّ ﷺ دلّلت بشكل واضح على أهمية «الوصاية»، ودورها الفعّال في تأمين الخط النبوي الشريف أمام التيّارات التي تريد حرفه عن جادّة الصواب، وأثبتت أهميتها «الوصاية» في الحفاظ على بيضة الإسلام والمسلمين.

وقد أولى النبي الأكرم ﷺ «الوصاية» أهمية خاصة، فقد أشار إليها من لَدُن بعثته (صلوات الله عليه) إلى حين وفاته، وثبّت خصوصياتها وخصائصها، وكشف عن دورها البنّاء في تثبيت «الخط النبوي الشريف».

إنّ واقعة الدار لَهي من الوقائع المهمّة في تاريخ الرسالة المحمدية، ومفصلاً استثنائياً يكشف عن دور الوصي البنّاء بعد رسول الله ﷺ ، وإن كان البعض يقلّل من شأنها، ويُعدّها حدثاً طبيعياً، إلا أن المتتبّع والمتبصّر يعدّها حدثاً مهماً لا يقل أهمية عن باقي الأحداث التي مرت بها الرسالة المحمدية.

وانبرى النبي الأكرم ﷺ يثبّت معالم «الوصي» من خلال الوقائع والحوادث!! مثلما (حدث) في واقعة تبوك عندما خلّف الإمام علياً عليه السلام في المدينة، فأرجف المرجفون، وجاشت الصدور بالأحقاد والإحَن، فجاء الإمام عليه السلام إلى النبي ﷺ مستوضحاً عن ملابسات التخلّف، أو بعبارة

أوضح عن أسباب «الخلافة على المدينة» استنابة النبيِّ صلى الله عليه وآله علياً على المدينة.

فجاء التوضيح من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ساطعاً وقاطعاً لكل الاحتمالات، قال صلى الله عليه وآله: «يا علي، أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي»[(١)].

وفي حديث آخر: «يا علي، إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي»[(٢)].

وفي حديث آخر: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي»[(٣)].

إنّ حديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله يدلّل بشكل واضح على خلافة الإمام علي عليه السلام، ولاسيما إذا علمنا دور هارون في زمن النبي موسى عليه السلام.

جاء في كتاب الله العزيز: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[(٤)].

وهذه الآية المباركة تشير إلى خلافة هارون عليه السلام لأخيه موسى عليه السلام، فعبارة ﴿ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾[(٥)] تشرق بمعاني الخلافة.

فالنبي موسى عليه السلام ذهب لأخذ الألواح مع ثلّة مؤمنة اختارهم من بين

---

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣١/ص٤٣٢/باب احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) مستدرك الوسائل: النوري، ج١٨/ص٣٦٦.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ج١/ص١٧٠. وصحيح البخاري: البخاري، ج٣/ص٢٠٨.

(٤) الأعراف: ١٤٢.

(٥) الأعراف: ١٤٢.

سبعين ألفاً، قال تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾[١].

وكما هو ثابت فإنّ الفراغ القيادي الذي أحدثه غياب النبي موسى عليه السلام يستدعي قائداً بمستوى قيادة النبي موسى عليه السلام، فليس من المعقول والمنطق أن يملأ الفراغ من هو دون مستوى النبي موسى عليه السلام.

وهذا ما دعا النبيَّ محمداً صلى الله عليه وآله إلى اختيار الإمام علي عليه السلام، حيث قال: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي»[٢].

وهذا الربط بين الحديث والآية إنما جاء لتوضيح وكشف مقام الإمام علي عليه السلام، فهو الخليفة على الأمة بلا منازع كما كان هارون عليه السلام.

وهو الوصي بحق ومرجع الأمة، كذلك الأئمة عليهم السلام من بعده الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام إلى الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشريف).

وقد نصّ النبي صلى الله عليه وآله على الأئمة الاثني عشر (صلوات الله عليهم أجمعين)، وجاءت وصايا النبي صلى الله عليه وآله واضحةً وساطعة.

وعند استقراء الأحاديث النبوية بخصوص الأئمة الاثني عشر (عليهم صلوات الله) تتجلّى الحقيقة بالوضوح التام على خلافتهم ومرجعيتهم ممّا أدّى بكبار الصحابة إلى الرجوع إليهم بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، كسلمان المحمدي، وأبي ذر الغفاري، والمقداد، وعمار، وحذيفة، وأُبيّ بن كعب، وقيس بن سعد بن عبادة، والعباس عمّ النبي صلى الله عليه وآله.

---

[١] الأعراف: ١٥٥.

[٢] الكافي: الشيخ الكليني، ج٨/ص١٠٦.

إنّ رجوع كبار الصحابة إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يشكّل دليلاً مهماً في أحقّية الإمام عليه السلام والأئمة من بعده، إذ لو كان هناك نصٌّ من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في أحقّية أبي بكر وعمر وغيرهما لما توانى هؤلاء الكبار في التسليم والرجوع إليهم، ولاسيّما أنهم في زمن النبي صلى الله عليه وآله كانوا من السبّاقين في الجهاد والعلم والأخلاق والاستقامة، إذ أجمعت الصحابة على علمهم وجهادهم واستقامتهم، وقد قلّدهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله أوسمة مهمّة تُنبئ عن استقامتهم وحكمتهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سلمان منّا أهلَ البيت»[(١)].

ويقول ابن عربي في (الفتوحات المكية): «إنّ سلمان بلغ درجة العصمة لأن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ألحقه بـ(أهل البيت)، وأهل البيت معصومون بنص كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[(٢)].

وقد أجمع الصحابة على علوِّ سلمان، إذ لم يدانِهِ إلا المقداد وأبو ذر وعمار.

جاء في الحديث، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا إن الجنة اشتاقت إلى أربعة من أصحابي؛ فأحدهم علي والثاني المقداد والثالث سلمان والرابع أبو ذر الغفاري»[(٣)].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: الشيخ الصدوق، ج٢/ص٦٥.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) المعجم الأوسط: الطبراني، ج٧/ص٣٠٥، وطبقات المحدّثين بأصبهان: عبد الله الأنصاري،

وفي رواية: «وعمار»[١].

وسلمان، وأبو ذر، وعمار، والمقداد ـ كما هو ثابت ـ أجمعوا على خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام من بعده، فلم يُؤْثَر عنهم شططٌ في أحقّية الإمام والأئمة عليهم السلام في خلافة المسلمين، كما لم يُؤْثَر عنهم تردداً في الإفصاح عن خلافتهم عليهم السلام أمام الملأ، بالرغم من تلبّد السماء بعد وفاة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وانتفاخ الأوداج واشْرآبّ الأعناق.

لقد وقف كبار الصحابة بكل قوّة أمام «المتقمّصين» للخلافة في سقيفة بني ساعدة، وحذّروهم من مغبّة البيعة لأبي بكر، فبالأمس بايعوا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وذكّروهم بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله يوم الدار، والغدير، وقبيل انفصاله عن المدينة في معركة تبوك.

كما أنهم أوردوا حديث الثّقلين للرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إني أوشك أن أُدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونني فيهما»[٢].

وأهل البيت ـ كما هو ثابت عند الجميع ـ هم: «النبي، وعلي، وفاطمة،

ج١/ص٤٤٦.

[١] الفتوحات المكية: ج١/ص٣٩٥.

[٢] الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، ج٢/ص١٩٤، ومسند ابن أبي شيبة: ج١/ص١٠٨، ومصنف ابن أبي شيبة: ج٦/ص٣٠٩، وفضائل الصحابة لابن حنبل: ج٢/ص٧٧٩ وورد في ج٢/ص٧٨٦: «إني قد تركت فيكم خليفتين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

والحسن، والحسين»، ومن ينصّ عليهم الإمام عليه السلام.

جاء في (صحيح مسلم): حدّثنا محمد بن بكار بن الريان، حدثنا حسان ابن إبراهيم، عن سعيد وهو ابن مسروق، عن يزيد بن حيان، عن زيد ابن أرقم، قال: دخلنا عليه، فقلنا له: لقد رأيت خيراً لقد صاحبت رسول الله وصلّيت خلفه.. وساق الحديث بنحو حديث أبي حيان غير أنه قال: «ألا وإني تارك فيكم ثقلين أحدهما كتاب الله عزّ وجلّ هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة». وفيه: فقلنا: مَن أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا وايم الله، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدّهر ثم يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبَته الذين حرموا الصَّدقَة بعده»[1].

وباتفاق المذاهب فإنّ الصدقة حرام على ذريّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من ولد فاطمة عليها السلام، وهي ليست حراماً على نساء النبي صلى الله عليه وآله.

كما يستدلّ على إمامتهما بما رواه الطريقان المختلفان، والطائفتان المتباينتان، جاء في كتاب (مناقب ابن شهر آشوب):

«ويستدلّ على إمامتهما بما رواه الطريقان المختلفان والطائفتان المتباينتان من نص النبي صلى الله عليه وآله على إمامة الاثني عشر، وإذا ثبت ذلك فكل من قال بإمامة الاثني عشر قطع على إمامتهما، ويدلّ أيضاً ما ثبت بلا خلاف أنهما دعوا الناس إلى بيعتهما، والقول بإمامتهما، فلا يخلو من أن يكونا محقّين أو مبطلين، فإن كانا محقّين فقد ثبتت إمامتهما، وإن كانا مبطلين

[1] صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج النيسابوري، ج٤/ص١٨٧٤.

وجب القول بتفسيقهما وتضليلهما، وهو لا يقوله مسلم.

ويستدلّ أيضاً بأنّ طريق الإمامة لا يخلو إمّا أن يكون هو النص أو الوصف والاختيار، وكل ذلك قد حصل في حقّهما، فوجب القول بإمامتهما.

ويستدلّ أيضاً بما قد ثبت بأنهما خرجا وادّعيا ولم يكن في زمانهما غير معاوية ويزيد، وهما قد ثبت فسقهما بل كفرهما فيجب أن تكون الإمامة للحسن والحسين عليهما السلام.

ويستدلّ أيضاً بإجماع أهل البيت عليهم السلام لأنهم أجمعوا على إمامتهما (وإجماعهم حجّة).

ويستدلّ بالخبر المشهور، أنه صلى الله عليه وآله قال: «ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا»[1]، أوجب لهما الإمامة بموجب القول، سواءً نهضا بالجهاد أم قعدا عنه، دعيا إلى أنفسهما أو تركا ذلك.

وطريقة العصمة والنصوص، وكونهما أفضل الخلق يدلّ على إمامتهما، وكانت الخلافة في أولاد الأنبياء، وما بقي لنبينا (صلوات الله عليه وآله) ولد سواهما، ومن برهانهما بيعة رسول الله صلى الله عليه وآله لهما، ولم يبايع صغيراً غيرهما، ونزول القرآن بإيجاب ثواب الجنة عن عملهما مع ظاهر الطفولية منهما، قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾[2]، فعمّهما بهذا القول مع أبويهما، وإدخالهما في المباهلة.

---

[1] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج١٦/ص٣٠٦.

[2] الإنسان: ٨.

واستدّل ابن أبي علان من المعتزلة بهذه القصة أيضاً على أن الإمامين الحسنين عليهما السلام كانا مكلَّفين في تلك الحال، لأن المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين وقال: «هذا يدل على أنهما كانا مكلّفين في تلك الحال لأنّ المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين»[1].

ثم إنّ أبا بكر وعمر بن الخطاب وغيرهما لم ينكروا على الأئمة عليهم السلام إمامتهم، فمنهم مَنْ أقرُّوا ضمناً وإن لم يفصحوا بإمامتهم وخلافتهم بعد أن أقرّوا بحديث الثقلين والمنزلة والدار.

ولم ينكر أبو بكر خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يأت بنص أو حديث من رسول الله صلى الله عليه وآله يذهب إلى أحقّيته، وإخراج الإمام علي عليه السلام.

بل إنّه ذهب في أحقّية الإمام عليه السلام إلى منتهى الغاية، كما يقول العلماء، عندما قال بعد أن استلم الخلافة: «أقيلوني أقيلوني أقيلوني، فإنّي لست بخيركم وعليٌ فيكم»[2].

فإذا كان أبو بكر طلب الإقالة والإمام موجود فأيّ حديث يبقى في أحقّيته؟! لذلك ذهب الكثير من علماء السنة بعد أن وقف على هذه العبارة إلى أحقّية الإمام علي عليه السلام، والرجوع إلى أحاديث النبي صلى الله عليه وآله بخصوص خلافة الإمام والأئمة عليهم السلام.

منهم ابن أبي الحديد المعتزلي، وأبو حامد الغزالي، وجلال الدين

---

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الفضل الآلوسي، ج٣/ص١٩٠، ومناقب ابن شهر آشوب: ج٣/ص٣٦٧-٣٦٨.

[2] بحار الأنوار: للعلامة المجلسي، ج١٠/ص٢١.

السيوطي صاحب (تفسير الدر المنثور)، في تفسير آية: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾[1]، بولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

والخليل بن أحمد الفراهيدي الذي قطع الكثير من الألسن عندما سألوه عن خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وتقدّمه على الخلفاء الثّلاثة، قال: «احتياج الكل إليه، واستغناؤه عن الكل دليل على إمامته الكل».

ويذكر سبط بن الجوزي في كتابه (تذكرة الخواص) واقعة الغدير، عندما يفسر «المولى»، ويقول: والرأي العاشر ـ في تفسير المولى ـ أولى بكم من أنفسكم، وهو الصحيح والأقرب لكلمة المولى، وممّا أكّد الخلافة لأئمة أهل البيت عليهم السلام الفضل بن روزبهان، والكثير من علماء السنة.

ولا أعدو الحقيقة عندما أقول: إن إجماع علماء السنة ـ على أحقّية خلافة الأئمة الاثني عشر (صلوات الله عليهم أجمعين) هو الإجماع (الثاني) بعد نبوّة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله.

وكيف لا؟ وقد أورد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في خلافة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام أحاديثَ واضحةً وقاطعةً لا تحتمل التأويل، ولا تقبل أيّ معنى آخر سوى الخلافة من بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، كحديث الثّقلين، وسفينة نوح عليه السلام، وقوله صلى الله عليه وآله: «الأئمة من بعدي اثنا عشر خليفةً، كلُّهم من قريش»[2].

---

[1] المائدة: ٣.

[2] كنز العمال: المتقي الهندي، ج١٢/ص١٧، وجامع الأحاديث: جلال الدين السيوطي، ج٩/ ص٣٤٣، وحلية الأولياء: أبو نعيم الأصبهاني، ج٤/ص٣٣٣.

وفي حديث آخر، عن جابر، قال صلى الله عليه وآله : «سيكون من بعدي اثنا عشر أميراً. ثمّ تكلم بشيء لم أسمعه، فسألت أبي: ما قال؟ قال، فقال: كلُّهم من قريش»[1].

ثمّ التأكيد الصّريح على الأسماء والألقاب.

وقد أوثق النبي صلى الله عليه وآله الكثير من أحاديثه الشريفة بكتاب الله عزّ وجلّ، مثل حديث المنزلة: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيَّ بعدي»[2].

وقوله صلى الله عليه وآله : «الأئمة من بعدي اثنا عشر كنقباء بني إسرائيل».

وكقوله صلى الله عليه وآله : «النجوم أمان لأهل السماء إذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»[3]. يقول تعالى: ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴾[4].

وكقوله صلى الله عليه وآله : «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأتِهِ من

---

[1] المعجم الكبير: الطبراني، ج٢/ص٢٥٤، والفتح الكبير: جلال الدين السيوطي، ج٣/ص٤٠٦.

[2] الجامع: معمر الأزدي، ج١١/ص٢٢٦، ومسند الطيالسي: سليمان بن داود الطيالسي، ج١/ص٢٨، ومصنف عبد الرزاق: عبد الرزاق الصنعاني، ج٥/ص٤٠٦، والسيرة النبوية: لابن هشام، ج٥/ص١٩٩، ومسند الحميدي: عبد الله الحميدي، ج١/ص٣٨، والطبقات الكبرى: محمد بن سعد، ج٣/ص٢٣، ومسند ابن الجعد: علي بن الجعد، ج١/ص٣٠١.

[3] فضائل الصحابة لابن حنبل: أحمد بن حنبل الشيباني، ج٢/ص٦٧١، والفردوس بمأثور الخطاب: أبو شجاع شيرويه، ج٤/ص٣١١، وذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: محب الدين الطبري، ج١/ص١٧، وسبل الهدى والرشاد: محمد بن يوسف الصالحي الشامي، ج١١/ص٧.

[4] النحل: ١٦.

بابه»[1]. وقال تعالى: ﴿وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[2].

وكقوله ﷺ: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»[3]. وقال تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾[4].

لقد ذكر الله عزّ وجلّ اسمه على السفينة ممّا يدل على سلامتها وسلامة من يركبها، لذلك قال: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾[5]، بعد أن كانت تجري بهم في موج كالجبال.

ثم هناك التفاتة جداً مهمّة أوردها الباري عزّ وجلّ بخصوص ابن النبي نوح عليه السلام، عندما آوى إلى الجبل ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[6].

ثمّ قال النبي نوح عليه السلام بعد أن رأى الأمواج تتسلّق الجبال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ

---

(1) المعجم الكبير: الطبراني، ج١١/ص٦٥، والفاضل: محمد بن يزيد المبرد، ج١/ص١، ومعجم ابن المقرئ: ابن المقرئ، ج١/ص١٧٦، والمستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري، ج٣/ص١٣٧، ومعرفة الصحابة: أبو نعيم الأصبهاني، ج١/ص٨٨، والاستيعاب: ابن عبد البر، ج٣/ص١١٠٢، وتاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، ج٢/ص٣٧٧.

(2) البقرة: ١٨٩.

(3) إجابة السائل شرح بغية الآمل: الصنعاني، ج١/ص١٥٦، وشرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، ج١/ص١٣٦، وروح المعاني: العلامة أبو الفضل الآلوسي، ج٢٥/ص٣٢.

(4) هود: ٤١.

(5) هود: ٤٤.

(6) هود: ٤٣.

أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ﴾[1]، دعوتك لإنقاذ ولدك بعد أن عصى الله عزّ وجلّ ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾[2].

إنّ هذه الآية الكريمة تدلّ بشكل واضح على أنّ عصيان الله عزّ وجلّ يخرج الإنسان من دائرة الإنسانية، ويقطع عنه كافة الوشائج والعلائق بما فيها العلاقة النسبية والسببية، ثم إن عصيان النبي نوح عليه السلام هو عصيان الله سبحانه، وعصيان الله عزّ وجلّ ينتهي بالإنسان إلى الجحيم: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾[3].

وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم وإلى الآية المباركة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[4]، وهي خاصة في عترة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كما في تفسير ابن كثير، وهم: رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فإنّ عصيان آل البيت عليهم السلام هو عصيان لله عزّ وجلّ.

وممّا يؤكّد هذا المعنى حديث النبي صلى الله عليه وآله:

«إنما فاطمة بضعةٌ مني فمن آذاها فقد آذاني»[5].

---

(1) هود: ٤٥-٤٦.

(2) هود: ٤٣.

(3) هود: ٤٣.

(4) الأحزاب: ٣٣.

(5) المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري، ج٣/ص١٧٣، وفتح الباري: ابن حجر العسقلاني، ج٩/ص٣٢٩، وعمدة القاري: العيني، ج ٢٠/ص٢١٢، والخصائص الكبرى: جلال الدين السيوطي،

وقال رسول الله ﷺ: «إنما فاطمة بضعةٌ مني فمن أغضبها أغضبني»[(١)]، فالمسألة باتت واضحة وليست عليها غبار.

وعصيان الأئمة الاثني عشر (صلوات الله عليهم أجمعين) ليس محصوراً في زمان ومكان، حتى يقول البعض إنّ الآية نزلت في زمن الرسول ﷺ، ومن خلالها أراد النبي الأكرم ﷺ إكرام أهل البيت عليهم السلام وبيان مقامهم ليس إلا، وهو تسويغٌ هزيل، وتخريج سخيف، يريدون بأقوالهم الزّائفة إضفاء المجاملة على آيات الله سبحانه وأحكامه، إنّ هؤلاء ينطلقون من ذواتهم الهزيلة، فيسقطون ما بداخلهم على أحكام الله عزّ وجلّ ثمّ يصغّرونها إلى درجة يجرّدون الأحكام من معناها القويم والمتين، أو إنهم مصابون بعقدة الضّعَة التي تجعل صاحبها لا يكتفي بتخطّي حدوده بل إنه يسعد بتحطيم آل البيت عليهم السلام وإقصائهم عن مراتبهم التي رتّبهم الله بها، أو إنهم ينطلقون بدوافع شخصية ابتغاء وجه الشيطان والسلطان، أو بدافع العصبية المقيتة التي باتت الآن أقوى ممّا كانت بسبب الجهل بأحكام الله سبحانه وشحّة المعارف والعلوم.

إنّ الله عزّ وجلّ لا يحابي أحداً، فقد ورد في الحديث: «خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان

ج٢/ص٤٤٧، وجامع الأحاديث: جلال الدين السيوطي، ج٣/ص٢٠٢.

(١) مصنف ابن أبي شيبة: محمد بن أبي شيبة الكوفي، ج٦/ص٣٨٨، وصحيح البخاري: البخاري، ج٣/ص١٣٦١، والآحاد والمثاني: الشيباني، ج٥/ص٣٦١، والشريعة: الآجري، ج٥/ص٢١٢٢، والجمع بين الصحيحين: الحميدي، ج٣/ص٣٧٢، والفردوس بمأثور الخطاب: الديلمي الهمذاني، ج٣/ص١٤٥، وشرح السنة: البغوي، ج١٤/ص١٥٨، والفتح الكبير: جلال الدين السيوطي، ج٢/ص٢٥٠.

ولداً قرشياً»[١].

وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[٢]، إنّ الحكم الإلهي ليس كهانة وزلفى.

ثمّ إنّ هذه الأفكار من وحي اليهود، فهم يزعمون أنهم شعب الله المختار، حتى لو اجترحوا السيّئات بأشكالها القذرة، وقتلوا الشعوب برمّتها، فإنّ الله عزّ وجلّ لا يؤاخذهم، بل لقد ورد في توراتهم المزيّف: يؤجرون ويثابون.

لأنهم بزعمهم خلّصوا الشعب اليهودي من أناس لا يستحقّون العيش معهم.

إنّ الأئمة الاثني عشر (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) سلسلة متصلة بآدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

فاصطفاء آدم عليه السلام مهّد لسلسلة أنبياء وأوصياء عليهم السلام كان خاتمّهم النبيُّ محمّدٌ صلى الله عليه وآله، وخاتم الأوصياء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، أولهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وآخرهم الإمام محمد بن الحسن الحجّة القائم (صلوات الله عليهم أجمعين).

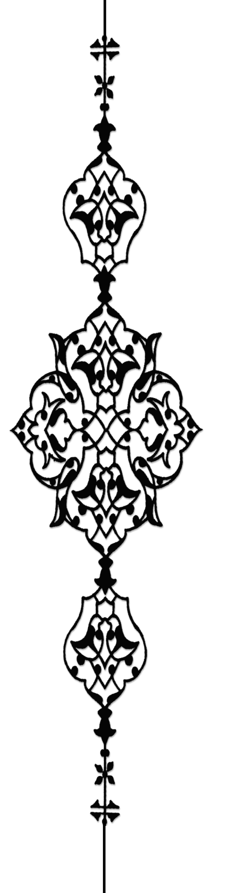
---

[١] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٦/ص٨٢، الباب ٥.

[٢] النساء: ١٢٣.

[٣] آل عمران: ٣٣-٣٤.

الفَصْلُ الأوَّلُ



النص على الإمامة

النصُّ على إمامة الحسن المجتبى
(صلوات الله عليه)

نصّ النبيُّ ﷺ على ولده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بالخلافة من بعد أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[1].

وجاء في (مسند أحمد بن حنبل): قال رسول الله ﷺ: «أنتما (للحسن والحسين عليهما السلام) الإمامان ولأمّكما الشفاعة»[2].

وقال رسول الله ﷺ حديثاً في إمامة الحسن والحسين عليهما السلام لو وزن بعبادة الثّقلين لرجحا: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة»[3].

وقد دوّنت كتب المسلمين هذا الحديث واعتبرته من الأحاديث الصحاح التي لا يشقّ لها غبار، بل وتفتخر بعض الكتب به لأنّ سنده

---

[1] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٣/ص٢٩١، باب ١٢، فضائلهما ومناقبهما.

[2] نزهة المجالس: ج٢/ص٤٣٧، وكشف الغمة: الإربلي، ج١/ص٥٠٦، ذكر وفاتها.

[3] فضائل الصحابة لابن حنبل: ج٢/ص٧٧٩، ومسند أحمد بن حنبل: ج٣/ص٣، وسنن ابن ماجه: ج١/ص٤٤، والمعرفة والتاريخ: الغسوي، ج٣/ص١٩، وسنن الترمذي: ج٥/ص٦٥٦، وأنساب الأشراف: البلاذري، ج١/ص٣٨٩، وخصائص علي: النسائي، ج١/ص١٤٢، وفضائل الصحابة للنسائي: ج١/ص٢٠، وسنن النسائي الكبرى: ج٥/ص٥٠، ومسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي، ج٢/ ص٣٩٥، والعقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي، ج٤/ص٢٥١.

صحيح، فإذا كان الإمام الحسن عليه السلام سيد شباب أهل الجنة، فما هو مقامه في الدنيا؟

إنّ هذه المرتبة السّامية لَتكشف عن حقيقة مهمة في أنّ الإمامين الهمامين في أعلى درجات العصمة، ولا يتفوق عليهما إلا النبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام، كما في الروايات الثابتة.

ويكفي هذا الحديث دلالة على إمامة الحسن المجتبى عليه السلام وخلافته الحقّة.

والحديث ردّ قاطع على من يرمي الإمام الحسن عليه السلام بالقصور في صلح معاوية، كما سنأتي على ذكره.

وقد نصّ النبي صلى الله عليه وآله على الأئمة الاثني عشر (صلوات الله عليهم أجمعين) في أكثر من حديث، وجاءت النصوص مشرقةً بمعنى الخلافة والإمامة.

وقد أكثر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في ذكر خلافتهم، حتى ظنّ البعض برسول الله صلى الله عليه وآله الظنون، وساوره الشك في محاباتهم، ولكن الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾[2].

وعندما أكثر النبي صلى الله عليه وآله الأحاديث في خلافتهم حتى يقطع مادة النزاع،

---

[1] النجم: ٣-٤.

[2] الحاقة: ٤٤-٤٦.

ويقضي على الشكوك التي قد تنبع عند البعض، ومع كثرة الأحاديث في خلافة الأئمة عليهم السلام، وجلال المعاني التي أشرقت، طفق البعض يحرّف ويزيّف، ويجترّ عقد الجاهلية الرعناء: «والله لا تجتمع النبوة والخلافة في بيت بني هاشم»[1]، وقال واحدهم: «هيهات، لا يجتمع سيفان في غمد واحد»[2]..

إنّها الجاهلية بأقبح صورها، وأسوأ معانيها التي تفصح عن عصبية مقيتة ضاربة في العمق..!!

إنّ هذه العبارة تتهم النبي صلى الله عليه وآله بالمحاباة، والميل الشخصي (والعياذ بالله)، وكأنّ النبي صلى الله عليه وآله اختار الإمام علياً عليه السلام والأئمة من بعده (صلوات الله عليهم) لنسبهم وانتسابهم إلى بني هاشم.

ومثلما أسلفت فإنّ هذه الثلّة إنما تنطلق في سلوكياتها من عُقَد مستحكمة توحي إليهم زخرف القول غروراً، وما زالت هذه الأهواء قابعةً في النفوس، وتعبر عن نفسها بصور مقزّزة ومفزعة في كل حين، ليس أقلّها من اتّهام أتباع أهل البيت عليهم السلام بالمجوسية واليهودية، وغيرها من التهم الرخيصة التي باتت تكشف عن حقائق مهمّة، منها أن السقيفة (ظلّة سقيفة بني ساعدة) ما زالت منصوبة، حيث يتمّ تحتها نسج المؤامرات والدسائس.

كان ينبغي على المسلمين أن يقوّضوا أعمدة ظلّة بني ساعدة، ويقلعوا ما تبقى من جذورها كي لا تضلَّ الأمة في مستنقع العصبية، وتجترّ الماضي

---

[1] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٦/ص١٥٧، باب ٣٩.

[2] الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري، ج١/ص١٢، ومصنف عبد الرزاق: ج٥/ص٤٤٤.

المقيت.

وقفة مع الماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية):

هو من الكتب المهمّة عند العامة في خصوص الخلافة والإمامة، وهو من الكتب التي لم يتخلّف عن دراستها المشتغلون بقضايا السلطة والخلافة، والكتاب لقاضي قضاة الشافعية في البصرة والعراق أبي الحسن الماوردي.

فقد جاء في كتابه (الأحكام السلطانية: ص٤/ط مصر، سنة ١٣٢٧هـ):

«فصل.. والإمامة تنعقد من وجهين:

أحدهما: باختيار أهل الحَلّ والعقد.

والثاني: بعهد الإمام من قبل.

فأمّا انعقادها باختيار أهل الحَلّ والعقد، فقد اختلف العلماء في عدد من تنعقد به الإمامة على مذاهب شتّى.

فقالت طائفة: لا تنعقد إلا بجمهور أهل الحَلّ والعقد من كل بلد، ليكون الرضا به عاماً، والتسليم لإمامته إجماعاً، وهذا مذهب مدفوع ببيعة أبي بكر رضي الله عنه على الخلافة باختيار من حضرها.

وقالت طائفة أخرى: أقلّ من تنعقد به منهم الإمامة خمسة، ويجتمعون على عقدها، أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة استدلالاً بأمرين:

أحدهما: أنّ بيعة أبي بكر رضي الله عنه انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها، ثم تابعهم (الناس) فيها وهم: عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وأسيد بن حضير، وبشير بن سعد، وسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم.

والثاني: أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل الشورى في ستة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة.

وهذا قول أكثر الفقهاء والمتكلمين من أهل البصرة.

وقال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم برضا الاثنين ليكونوا حكاماً وشاهدين، كما يصحّ عقد النكاح بولي وشاهدين.

وقالت طائفة أخرى: تنعقد بواحد، لأنّ العباس قال لعلي (رضوان الله عليهما): ابسط يدك أبايعك، فيقال: عمّ رسول الله ﷺ بايع ابن عم رسول الله ﷺ ، فلا يختلف عليك اثنان، ولأنه حكم، فحكم الواحد يكفي»[1].

تهافت نظرية الماوردي:

١- لقد أخذ الماوردي نظريته في الخلافة من واقع فرض نفسه بالقوة والإرهاب (بيعة سقيفة بني ساعدة)، فهذه البيعة فُرضت بالقوة، وجاءت على حين غفلة.

والبيعة لم تستند إلى أسس شرعية حتى تأخذ الطّابع الشرعي، ثمّ إن الذين بايعوا أبا بكر لم يستندوا إلى القيم الإسلامية، بدليل أنهم لم يوردوا نصاً من رسول الله ﷺ ، أو حادثة تدلّل على أحقّية أبي بكر.

ثم إن مناقشاتهم كانت تدور حول من هو الأكثر سناً، والأكثر استجابة لمصالحهم الذاتية، بغضّ النظر عن النتائج المرّة التي تتمخّض عنها مثل هذه الخطوة.

[1] الذخيرة: شهاب الدين القرافي، ج١٠/ص٢٥.

وكل الذي استند إليه المتسلّقون في السقيفة أنهم الأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعندما وصل الخبر إلى الإمام علي عليه السلام قال: «احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثّمرة»[1].

ثم قال:

فإنْ كنتَ بالشُّورى ملكتَ أمورَهمْ فكيف بهذا والمشيرون غُيَّبُ

وإن كنتَ بالقربى حججتَ خصيمَهمْ فغيرُك أولى بالنبيِّ وأقرب[2]

٢- ثمّ إن الماوردي لا يرسو على قرار في صيغة البيعة، فيقول: اختلف العلماء، فقالت طائفة: لا تنعقد إلا بجمهور أهل الحَلّ والعقد، وقالت أخرى: لا تنعقد إلا بخمسة، وقال آخرون من علماء الكوفة: تنعقد بثلاثة يتولاها أحدهم.

وهذا ضعفٌ بيّنٌ في نظريته، إذ لم يخلص إلى نتيجة محدّدة يمكن على أساسها اختيار الخليفة.

٣- وقد ردّ عليه ابن حزم الأندلسي في كتابه (الإمامة والمفاضلة) المدمج في الجزء الرابع من كتاب (الفصل في الملل والنحل)..

قال ابن حزم: «أمّا من قال: إنّ الإمامة لا تصحّ إلا بعقد فضلاء الأمة في أقطار البلاد، فباطل، لأنه تكليف ما لا يُطاق، وما ليس في الوسع، وما هو أعظم الحرج، والله تعالى قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[3].

---

[1] شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، ج٦/ص٣.

[2] شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، ج١٨/ص١٩١، وديوان علي بن أبي طالب: ج١/ ص١٠.

[3] البقرة: ٢٨٦.

٤- ثمّ إنّ الماوردي يؤكّد على أهل الحَلّ والعقد في اختيار الخليفة، فهو ينسج من خيال ويبني على الماء، فمن هم أهل الحَلّ والعقد؟ وأين كانوا من بيعة يزيد بن معاوية ومن بقية خلفاء بني أمية وبني العباس؟ لقد جاؤوا إلى الحكم بالقوّة والبطش، لذلك أتحدّى الماوردي أن يأتي بأنموذج واحد تمّ فيه اختيار خليفة من بني أمية بقرار من أهل الحَلّ والعقد.

٥- إنّ الماوردي في (الأحكام السلطانية) يريد أن يضفي الطّابع الشّرعي على جميع خلفاء بني أمية وبني العباس، بما فيهم العاهر والفاسق والجاهل بأحكام الله عزّ وجلّ.

فهو قد فتح الباب واسعاً من حيث يدري أو لا يدري أمام السلطان الجائر ليفعل ما يشاء، وهذا ما حدث، فقد وجد الكثيرُ من سلاطين الجور من يسوّغ أعمالهم المشينة، وسلوكهم الشاذَّ عن الإسلام، فراحوا يفسدون في الأرض، ويهلكون الحرث والنسل.

إنّ الماوردي لم يقتنع بنظرياته في (الأحكام السلطانية)، لكنه استسلم للحكومات الجائرة، وأناخ برحله عند زبارجها وزخارفها.

يقول الشيخ محمد الغزالي المصري:

«والمؤسف أنّ المعاصي التي تشيع بين محترفي التديّن هي من اللون الأسود، إنهم لا يشربون خمراً، ولا يلعبون قماراً، ولا يضربون إنساناً ولا حيواناً، ولكن ما يستكنُّ في قلوبهم من شهوات الظّهور والجدل، والأثرة والحسد والاستعلاء والالتواء يجعل ضرّهم أقرب من نفعهم للإسلام وأهله».

ويضيف: «إنّ محترفي التديُّن طلبوا السّلامة من مجابهة الملك الطّاغية بما يكره، فاستكانوا لطغيانه واستسلموا لمخازيه»[(١)].

٦- وحتى يغطّي على تهافت نظرياته فيما يخصّ الخلافة أتى (بالقول الثاني بعهد الإمام من قبل)..

إنّ الماوردي وإن كان بهذا الرأي يريد أن يسوِّغ بيعة أبي بكر لعمر بن الخطاب إلا أننا نستفيد فيما يخصّ بيعة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لأنّ بعض علماء السنة يشكلون على الشيعة هذه القاعدة النبوية، ويعتبرونها كسروية وهرقلية.

إنهم يتّهمون النبيَّ الأكرم صلى الله عليه وآله ويعتبرون ما أتى به النبيُّ الأكرم صلى الله عليه وآله محاباةً ومداهنةً لأهل بيته (صلوات الله عليهم أجمعين).

إنني آسى على علماء هذه الأمة الذين يفتقون في كل يوم رتقاً، ويهدمون صروحاً ما قامت إلا بدماء زكيّة وطاهرة.

ولكن أنّى لهم التناوش فالحمد لله، فإن الكثير من أبناء الطائفة السنية أخذوا يتنفّسون عبير الفكر المحمدي الأصيل، ويستنشقون قيم الإسلام الحقّة، من خلال منهج أهل البيت عليهم السلام ، ومن جانب باتت أفكار معظم الذين ينسجون على منوال ملوكهم أوهن من بيت العنكبوت لو كان يعلمون.

لذلك نرى في كل يوم يسقط صنمٌ من أصنامهم، ويتهاوى إلى درك الجحيم.

---

(١) في موكب الدعوة: الشيخ محمد الغزالي المصري، ص ٩٠-٩١.

فبـالأمس تهـاوى «ابـن عربـي» الـذي يسـوّغ بيعـة يزيـد بكـل صـفاقة ووقاحة، وينعتها بالشرعية التي ينبغي على الأمة التسليم لهـا، ويعتبـر خـروج الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام غير شرعي ومخالفاً للـدين، فهـو علـى حـدّ تعبيره السيّء : «قتل بشريعة جدّه».. حفنة من التراب والنـار فـي فمـك، لقـد قتلت الشريعة بفتواك الظالمة، وفتحت باباً واسعاً للحكام الظَّلَمة كي يعيثـوا في الأرض، وهم ينتظرون مثل هذه الفتوى على أحرّ من الجمـر، ويـدفعون المبالغ الطّائلة..

إذا كان الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام قتل بشريعة جده، فما تقول في يوم القيامة لرسول الله صلى الله عليه وآله وهـو يحاججك بحـديثٍ صـحّ عنـدكم، ونقلـه كبـار علمـائكم: «الحسـن والحسـين إمامـان قامـا أو قعـدا»[١]، و«الحسـن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة»[٢]، و«حسين مني وأنـا مـن حسـين، أحـبّ الله من أحبّ حسيناً، والحسين سبط من الأسباط»[٣]..؟؟؟

---

[١] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٣/ص٢٩١/باب ١٢، فضائلهما ومناقبهما.

[٢] فضائل الصحابة لابن حنبل: ج٢/ص٧٧٩، ومسند أحمد بن حنبل: ج٣/ص٣، وسنن ابن ماجه: ج١/ص٤٤، والمعرفة والتاريخ: الغسوي، ج٣/ص١٩، وسنن الترمذي: ج٥/ص٦٥٦، وأنساب الأشراف: البلاذري، ج١/ص٣٨٩، وخصائص علي: النسائي، ج١/ص١٤٢، وفضائل الصحابة للنسائي: ج١/ص٢٠، وسنن النسائي الكبرى: ج٥/ص٥٠، ومسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي، ج٢/ص٣٩٥، والعقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي، ج٤/ص٢٥١.

[٣] مسند ابن أبي شيبة: ج٢/ص٣٠٨، والأدب المفرد: البخاري الجعفي، ج١/ص١٣٣، وسنن ابن ماجه: ج١/ص٥١، والمعرفة والتاريخ: الغسوي، ج١/ص١٣٩، والكنى والأسماء: الدولابي، ج١/ص٢٧١، وصحيح ابن حبان: ج١٥/ص٤٢٨، والمعجم الكبير: الطبراني، ج٣/ص٣٣، والكتاب اللطيف: ابن شاهين، ج١/ص٢٢٣، وشرح مذاهب أهل السنة: ابن شاهين، ج١/ص٢٧٣، وفضائل

وكيف تردُّ على رسول الله صلى الله عليه وآله عندما يقول: قال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1]، إنّ أجر الرسالة عظيم وعظيم، ولا يطلب رسول الله صلى الله عليه وآله عليها إلا المودّة في القربى، والمودة: الاتباع الخالص ـ مع العمل الخالص ـ؟؟؟

وهل يأمر الباري عزّ وجلّ المسلمين باتباع غير سبيل المؤمنين؟؟؟

إنّ القربى كما هو ثابت في كافة التّفاسير، منها: الزمخشري، والقرطبي، والسيوطي: «علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام »، فإذا كان القرآن الكريم قد ثبّت اتّباع القربى، فهل يعقل أن يسلك الإمام الحسين عليه السلام منهجاً لا صلة له بدين جده؟؟ فإذا كان كذلك.. فإذاً هناك قصور (والعياذ بالله) في علم الله سبحانه.

وإذا كنت قد قرأت القرآن الكريم فستخلص إلى نتيجة أن الله عزّ وجلّ ثبّت في كتابه أعظم الآيات في خلافة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام .

وإذا كان فلاسفة الدكتاتورية خلعوا صفات القداسة على الحكام، وجعلوهم فوق مصاف البشر.. فإنّ نزعة التعصُّب التي تمكّنت من قلبك لا تدعك تبصر عميقاً، وتستخلص نتائج هي خير لك في آخرتك ودنياك، ماذا نفعل إذا كان التعصُّب قد ران على قلوب البعض، فأوقعهم في مستنقع الجهل ممّا حدا بالبعض منهم إلى سلوك أرذل الطرق للدفاع عن عصبيته المقيتة؟

الخلفاء الراشدين: أبو نعيم الأصبهاني، ج١/ص٢٢٧.

[1] الشورى: ٢٣.

إنّ التعصب آفة خطيرة تأتي على الأخضر واليابس، وتسبّب عواقبَ وخيمةً تطال أجيالاً عديدة، وها نحن نرى معظم المعارك والمنازعات التي تطاول عليها العمر تكمن وراءها الإحَن الطّائفية.

حكمة الاختيار:

جاء في كتاب (نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية):

«الحقيقة الأولى التي يجب التّسليم بها أنّ النبي ﷺ كان يعلم أن أمته ستتعرض ـ إذا لم ينصَّ هو على من يخلفه ـ إلى الفتن والاضطراب، أمّا أنه كان يعلم ذلك فلأنّ كل الفرق الإسلامية قد أوردت هذا الحديث: «ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة»[1]، فهل كان رسول الله يعلم أن الدهر يدّخر لأمته صفحة مملوءة بالحوادث والفتن، إذ تختلف أمته من بعده ويتقاتل أفرادها، وتُراق الدماء، وتُزهق النفوس، ثم يسكت النبي ﷺ عن ذلك دون أن يُقْدِم على مشورة تجنّب أمته شرَّ العثار؟ ولنفرض أن الحديث والتاريخ لم يسجّلا لنا حديثاً واحداً يقضي فيه النبي ﷺ بمن يخلفه في أمر أمته، فهل يصحّ أن نصدّقهما بهذا الإهمال ونصدّقهما أن النبي ﷺ ترك أمته في فوضوية لا حدّ لها..؟؟

أم هل كان دينه خاصاً بعصره ليترك أمته من بعده همَلاً من غير راع يسوسهم أو طريقة يتبعونها في أمور دينهم ودنياهم؟

لقد ورد أن عائشة قالت لعبد الله بن عمر في أواخر أيام خلافة أبيه

---

[1] شرح السنة: البربهاري، ج١/ص٤٠، وطبقات الحنابلة: محمد بن أبي يعلى، ج٢/ص٢٨.

ليقول لأبيه عمر: «يا بني، أبلغ عمرَ سلامي وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع، استخلف عليهم، ولا تدعهم بعدك هملاً، فإني أخشى عليهم الفتنة»[(١)].

فهل لم يدرك النبي صلى الله عليه وآله ما أدركته عائشة؟؟

إنّ المسلمين يتعرّضون للفتنة نتيجة عدم الاستخلاف، أم ليس بين المسلمين وصحابة الرسول صلى الله عليه وآله من طلب منه هذا الطلب الذي سألته عائشة لعمر؟ وإذا لم يكن محمد صلى الله عليه وآله نبياً مرسلاً نزل دينه للناس كافة في كل زمان، وإذا لم يكن عالماً عن وحي، فليكن على الأقل سياسياً كسائر السّاسة الذين لا يخفى عليهم بعض أمور رعاياهم فلا يتركونهم تحت رحمة الأهواء واختلاف الآراء، على أنه قد عرف عنه أنه لم يكن يترك المدينة إذا خرج لحرب أو غزوة من غير أمير يخلفه عليها، فكيف نصدّق عنه أنه أهمل أمر أمته بعده إلى آخر الدّهر دون قاعدة يرجع إليها المسلمون؟؟ أو خلف بعده؟

فإن قيل: إنه وكّل الأمر إلى اتفاق أمته واختيارهم، فمعناه أنه تعمّد إيقاع أمته في منازعات دائمة تُفضي إلى إزهاق النفوس، وإضعاف القوي، وذهاب الإيمان، إذ كيف يتّفق أهل البلد الواحد على حكم واحد فضلاً عن أمة كبيرة.

ولو قد وكل الأمر لأمته لوجب عليه أن يصرّح أنه وكل لهم الأمر، أو لحدّد كيف الاختيار، ولبيّن أهل الحَلّ والعَقْد الموكول لهم الاختيار، أو لصرّح إن كان هم أهل المدينة أو المهاجرون أو الأنصار.

---

(١) الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري، ج١/ص٢٥.

ويقول الكاتب:

«ومن هم أهل الحل والعقد؟ لقد كانوا بؤرة النزاع والخلاف، إذ حمل حبّ النَّفس كُـلاً منهم على الاعتقاد أن زعامته أصلح للأمة وأجدى، فاعترض طلحة على تعيين أبي بكر لعمر، ولعبت التحيُّزات والعواطف دورها في شورى عمر، فصغى رجل لضغنه ومال الآخر لصهره، وشروط عمر كلها مع التهديد بالقتل والإنذار ثلاثة أيام توضح أنّ عمرَ نفسه كان يدرك تماماً ما سيحدث بينهم من نزاع، أما عمر في قرارة نفسه فلم يكن يميل إلا إلى تعيين واحد من ثلاثة، ولكنهم كانوا قد سبقوه إلى الموت، وهم أبو عبيدة ابن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة»[1].

ونقول ونضيف: إنّ النبي الأكرم ﷺ لا يمكن أن يغفل عن مسألة الاختيار، وينصب الخليفة ولاسيّما وأن الأنبياء جميعاً عيّنوا الخليفة قبل وفاتهم، وأكّدوا عليه بنصوص بيّنة من آدم عليه السلام إلى رسول الله ﷺ .

ثمّ إن النبي الأكرم ﷺ ما كان ليترك المدينة ولو لبضع ساعات بدون أن يخلف عليها نائباً عنه، راجع غزوات النبي ﷺ في (تاريخ الطبري)، و(ابن الأثير)، و(ابن أكثم)، وغيرهم.

فإذا كان لا يتركها بدون خليفة بضع ساعات، فكيف يدعها بدون راعٍ، وهو ذاهب إلى ربّه؟ هذا وقد تنبّه الكثير إلى هذه المسألة، فقال البعض: لو كان النبي ﷺ ترك الأمة هملاً بدون وصي لكان والعياذ بالله قد قصّر بحقّ

---

[1] نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية: الدكتور أحمد محمود صبحي، ص١٠٠-١٠١، ط دار النهضة العربية.

الأمة وأوقعها في خضمِّ الإشكالات.

إنّ بيعة السقيفة تعدّ دليلاً واضحاً يشير إلى أهمية الخليفة بعد النبي صلى الله عليه وآله، بُعداً لقوم يتّهمون النبي صلى الله عليه وآله بالقصور، ويبرِّئون أنفسهم من التقصير.

ثم لماذا حصر الباري عزّ وجلّ الاختيار به؟!:

لماذا لم يطلق العنان للأمة حتى تختار لنفسها خليفة أو وصياً؟؟!!

وخير جواب لهذا السؤال للإمام القائم محمد بن الحسن المنتظر عليه السلام عن العلّة في حصر الاختيار..

قال الإمام الحجّة عليه السلام لأحد أصحابه: «أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله، وأنزل عليهم الكتب، وأيّدهم بالوحي والعصمة، إذ هم أعلام الأمم، وأهدى أن لو ثبت الاختيار، ومنهم موسى وعيسى عليهما السلام هل يجوز مع وفور عقلهما، وكمال علمهما، إذا همّا بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق، وهما يظنان أنه مؤمن؟

قلت: لا.

قال: فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه، ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربّه سبعين رجلاً ممن لم يشكّ في إيمانهم وإخلاصهم، فوقعت خيرته على المنافقين، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَا ﴾[1]، فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوة واقعاً على الأفسد دون الأصلح، وهو يظن أنه الأصلح

[1] الأعراف: ١٥٥.

دون الأفسد، علمنا أن لا اختيار لمن لا يعلم ما تُخفي الصدور وما تَكنّ الضمائر، وتنصرف عنه السرائر، وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار، بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما أرادوا أهل الصلاح»[1].

إنّ هذه الحادثة التي أوردها الإمام الحجّة عليه السلام تُعدُّ من الأدلة القاطعة في عدم موفّقية الإنسان وإن أوتي بسطةً في العلم والعقل في اختيار من يتحمل المسؤولية باقتدار، فضلاً عن اختيار وصي أو خليفة لنبي.

وتكون المسألة غاية في الصعوبة عندما يقع الاختيار لشخص يخلف خاتم الأنبياء كيف يمكن لنا أن نتصوّر (حالة الاختيار)؟ إنها غاية في الصعوبة بل يستحيل القيام بهذه المهمة.

فإذا كان النبيان موسى وعيسى عليهما السلام قد وقع اختيارهما على المنافقين، وهما يظنان أنهم مؤمنين، فكيف بالإنسان الذي لا يملك المؤهلات الكافية في اختيار واصطفاء خليفة بعد النبي صلى الله عليه وآله ، والذي بوفاته قد انقطعت السلسلة النبوية؟ وتُعدّ هذه المسألة غايةً في الأهمية والخطورة، ولمعرفة النبي صلى الله عليه وآله خطورة الحالة، فإنه صلى الله عليه وآله كشف اللثام عن هذه القضية، وبيّن خطوطها العريضة بشكل واضح ودقيق، فأشار إلى الوصي عليه السلام بأدلّة واضحة لا تقبل التأويل والتحريف، وبنصوص هي أوضح من الشمس في رابعة النهار.

فلا يمكن لإنسان أن يلمز في وصايا النبي صلى الله عليه وآله أو يطعن فيها لأنها

[1] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٥٢/ص٨٥، باب ١٩، والاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ج٢/ ص٤٦٤.

جاءت واضحة وقاطعة.

فلاسفة عصريون يسفّهون:

إن اختيار الإنسان السويِّ الذي يمكن أن يتجنّب الأخطاء في سلوكه وتعامله عدّه الفلاسفة ضرباً من الخيال، فلا يمكن لأحد أو مجموعة أن تختار إنساناً تجتمع فيه صفات الكمال.

فهم يقولون: وكيف يختار مَن هو يشكو نقصاً أو ضعفاً في مؤهّلاته العقلية أو النفسية؟؟

ومهما بلغ الإنسان فإنه لا يستطيع بل يستحيل عليه اختيار «الكامل»، بل لا يوجد إنسان كامل، وطبعاً هذه أقوال ونظريات الفلاسفة الذين لا يمتّون إلى الأديان بصلة.

ولكن رأي المتديّنين يختلف، فالأنبياء والأوصياء عليهم السلام بلغوا الكمال، فهم معصومون ومنزّهون عن الخطأ.

ومن الفلاسفة الذين يذهبون إلى سقم نظرية الاختيار «هيجل»، فهو ينتقد مبدأ الاختيار الشائع في الأنظمة الديمقراطية، ويرى فيه مِعْوَل هدمٍ يعطي الأفراد حقّ الاعتراض أو الانتقاص على الدولة، وسحب إرادتهم من تأييدها.

و«هوبز» الذي يرى خطأ الأمة، إذ تعطي للحاكم سلطة مطلقة، وتمنحه صلاحياتٍ واسعة، فهو لم يمنح الشعب حق عزله أو حتى مراجعته أو مراقبة أخطائه، بل يجب عليهم الطّاعة المطلقة، كما يحقّ له التصرُّف كيفما

شاء، وكل ذلك من لوازم العصمة.

ويرى «فخته»: «ألا يؤتمن الجمهور المتقلّب المغرض على الحكم، وإنما يوكل إلى الأبطال الذين يعزى إليهم كل تقدم في تاريخ البشر»[(١)].

يقول «مونتسكيو» في (روح الشرائع): «وكما أنّ معظم الأهلين، الذين لديهم من الأهلية ما يكفي للانتخاب ليس لديهم من الأهلية ما يكفي ليكونوا منتخَبين، لم يكن الشعبُ الذي عنده من القدرة ما يقدر به إدارة الآخرين، أهلاً للإدارة بنفسه»[(٢)].

وبات من البديهيات لدى العقلاء أنّ الكمال لله عزّ وجلّ، وهو يفيض بكماله على من اصطفاهم لهداية البشر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[(٣)].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[(٤)].

فالله عزّ وجلّ يصطفي بشراً لهداية الناس، وتُعدّ من أشقّ الأمور، لذلك ربطها الباري عزّ وجلّ (الهداية) به.

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ

---

(١) نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية: الدكتور أحمد محمود صبحي، ص١٣٧-١٣٨.

(٢) روح الشرائع: مونتسكيو، ج١/ص٢٢، ط دار المعارف، مصر.

(٣) آل عمران: ٣٣-٣٤.

(٤) فاطر: ٣٢.

بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا ﴾[٢].

وهكذا يربط الباري عزّ وجلّ الهداية بأمره.. فإذا كانت الهداية هي من مهامّ الرسل عليهم السلام ومن أهدافهم الرئيسية، وهي من الأمور الصعبة بحيث ربطها الباري عزّ وجلّ (بأمره)، فبات من الضروري أن تُناط مسؤولية (الهداية) بأُناس لا يهمّون بالخطأ، بل لا يفكّرون به.

ومن القوانين الأخلاقية: أنّ من يرتكب الخطأ، أو يهمّ به، لا يسعه بمكان أن ينهى الآخرين.

فكما هو ثابت في علم الأخلاق الاجتماعي: «فإنّ العاصي الذي يستمرئ العصيان تضمحلُّ عنده قوة الإلهام».

إنّ من القوانين الثّابتة في «القدرة» سواءً العقلية أم النفسية أم القلبية هو «تسميدها وتغذيتها بين الحين والآخر»، فقدرة العقل تضمحلّ إذا لم يتمّ تزريقه بالعلم والمعرفة والحكمة، فإنّ قدرة العقل على الإخصاب (إن صحّ التعبير) ترتبط بقوة المعرفة والعلم والحكمة، فكلّما تشبّع العقل بالعلم ازداد عطاءً، وكلما ازدادت النفس بالصفات الطيّبة ازدادت ألقاً وفيضاً، ومن ثم تزيدها قوّةً وكمالاً، فإن الصفات الطيّبة تطيّب النفس وتجعلها كبيرة وسامية، فإذا زرعنا النفس بالجود والكرم تزداد كرماً وجوداً، وكلما زدناها كرماً ازدادت قوةً في مجال الجود حتى تصل إلى مرحلة الإيثار.

---

(١) القصص: ٥٦.

(٢) السجدة: ٢٤.

وكذلك الشجاعة فإذا غذّينا النفس شجاعة تزداد شجاعة وجرأة حتى تصل إلى الاستهانة بكل شيء ما خلا الله عزّ وجلّ.

نستخلص ممّا سبق: أنّ اختيار الوصيِّ كاختيار النبيِّ (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، ويرجع الاختيار إلى الله عزّ وجلّ، فهو الذي يختار الوصيَّ مِن بعد النبيِّ، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[1].

وقد أثبتت المعطيات الواقعية ذلك، من هنا فالذين أقدموا على اختيار الخليفة من بعد النبي محمد ﷺ في سقيفة بني ساعدة دلّلوا بشكل واضح على شطط خططهم، وسوء اختيارهم، حتى اضطرّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب إلى نعت بيعة أبي بكر بالفلتة، فقال: «إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها، فمن عاد إلى مثلها من غير مشورة فاقتلوه»[2].

[1] القصص: ٦٨.

[2] البدء والتاريخ: ابن طاهر المقدسي، ج٥/ص١٩٠، والملل والنحل: الشهرستاني، ج١/ص٢٤.

نصوص واضحة

في إمامة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

١- جاء في (صحيح ابن ماجة) بسندٍ عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خيرٌ منهما»[1].

وفي (سنن الترمذي): قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[2].

٢- وجاء في (خصائص النسائي): «عن أبي سعيد الخدري، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وفاطمة سيدة نساء أهل

---

(١) سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، ج١/ص٤٤، والفاضل: المبرد، ج١/ص٣٢، وشرح الإيمان وتسمية الفرق والرد عليهم: الزبيري، ج١/ص١٩٦، وشرح مشكل الآثار: الطحاوي، ج١٢/ ص٥١٩، وتاريخ جرجان: أبو القاسم الجرجاني، ج١/ص٣٩٤، والشريعة: الآجري، ج٥/ص٢١٤٢، والتراجم الساقطة من الكامل: عبد الله المبارك، ج١/ص١٣٤.

(٢) فضائل الصحابة لابن حنبل: ج٢/ص٧٧٩، ومسند أحمد بن حنبل: ج٣/ص٣، وسنن ابن ماجه: ج١/ص٤٤، والمعرفة والتاريخ: الغسوي، ج٣/ص١٩، وسنن الترمذي: ج٥/ص٦٥٦، وأنساب الأشراف: البلاذري، ج١/ص٣٨٩، وخصائص علي عليه السلام: النسائي، ج١/ص١٤٢، وفضائل الصحابة للنسائي: ج١/ص٢٠، وسنن النسائي الكبرى: ج٥/ص٥٠، ومسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي، ج٢/ ص٣٩٥، والعقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي، ج٤/ص٢٥١.

الجنة إلا ما كان من مريم بنت عمران»[١].

وكذلك عن أبي هريرة: أبطأ رسول الله ﷺ عنا يوماً صدر النهار، فلمّا كان العشيّ، قال له قائلنا: يا رسول الله! قد شقّ علينا لم نرك اليوم.

قال: «إنّ ملكاً من السماء لم يكن رآني فاستأذن الله في زيارتي، فأخبرني (أو بشّرني) أنّ فاطمة ابنتي سيدة نساء أمتي، وأن حسناً وحسيناً سيدا شباب أهل الجنة»[٢].

٣- وجاء في (البداية والنهاية): عن جابر، قال رسول الله ﷺ: «من سرّه أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن بن علي»[٣].

وقد رواه وكيع بإسناده عنه مثله.

٤- وجاء من حديث علي، وأبي سعيد، وبريدة، أن رسول الله ﷺ

---

[١] خصائص علي عليه السلام: النسائي، ج١/ص١٤٢، وسنن النسائي الكبرى: ج٥/ص١٤٥، ومسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي، ج٢/ص٣٩٥، والفتح الكبير: جلال الدين السيوطي، ج٢/ص٧٦، وجامع الأحاديث: جلال الدين السيوطي، ج٤/ص٢٤٨، وسبل الهدى والرشاد: الصالحي الشامي، ج١١/ص٦١، والصواعق المحرقة: ابن حجر الهيثمي، ج٢/ص٥٦٢، وكنز العمال: المتقي الهندي، ج١٢/ص٥٣، ومرقاة المفاتيح: القاري، ج١١/ص٣١٤، والتيسير بشرح الجامع الصغير: المناوي، ج١/ص٥٠٧، وفيض القدير: المناوي، ج٣/ص٤١٥، وكشف الخفاء: العجلوني، ج١/ص٤٢٩.

[٢] سنن النسائي الكبرى: ج٥/ص١٤٦، والمعجم الكبير: الطبراني، ج٣/ص٣٦، وتهذيب الكمال: أبو الحجاج المزي، ج٢٦/ص٣٩١، وجامع الأحاديث: جلال الدين السيوطي، ج٣/ص١٥٢، والحبائك في أخبار الملائكة: جلال الدين السيوطي، ج١/ص١٣١، وسبل الهدى والرشاد: الصالحي الشامي، ج١١/ص٤٦، وكنز العمال: المتقي الهندي، ج١٢/ص٥٤.

[٣] البداية والنهاية: ابن كثير، ج٨/ص٣٥، وتاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج١٣/ص٢٠٩، ومختصر تاريخ دمشق: ابن منظور، ج٢/ص٣٩٨، والفتح الكبير: جلال الدين السيوطي، ج٣/ص١٨٩، وكنز العمال: المتقي الهندي، ج١٢/ص٥٤، والتيسير بشرح الجامع الصغير: المناوي، ج٢/ص٤٢٣.

قال: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما»[١].

٥- وجاء في (الإصابة في تمييز الصحابة) لابن حجر العسقلاني: عن حذيفة رفعه، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[٢].

٦- وجاء في كتاب (الاستيعاب في معرفة الأصحاب): قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سرّه أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن»[٣].

٧- وورد في كتاب (كنز العمال) للمتقي الهندي: عن أنس بن مالك، قال: دخل الحسن على النبي صلى الله عليه وآله فأردت أن أميطه عنه.

فقال صلى الله عليه وآله: «ويحك يا أنس! دع ابني وثمرة فؤادي، فإنَّ من آذى هذا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»[٤].

---

[١] سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، ج١/ص٤٤، والفاضل: المبرد، ج١/ص٣٢، وشرح الإيمان وتسمية الفرق والرد عليهم: الزبيري، ج١/ص١٩٦، وشرح مشكل الآثار: الطحاوي، ج١٢/ ص٥١٩، وتاريخ جرجان: أبو القاسم الجرجاني، ج١/ص٣٩٤، والشريعة: الآجري، ج٥/ ص٢١٤٢، والتراجم الساقطة من الكامل: عبد الله المبارك، ج١/ص١٣٤.

[٢] الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، ج٢/ص٧١، وفضائل الصحابة لابن حنبل: ج٢/ ص٧٧٩، ومسند أحمد بن حنبل: ج٣/ص٣، وسنن ابن ماجه: ج١/ص٤٤، والمعرفة والتاريخ: الغسوي، ج٣/ص١٩، وسنن الترمذي: ج٥/ص٦٥٦، وأنساب الأشراف: البلاذري، ج١/ص٣٨٩، وخصائص علي عليه السلام: النسائي، ج١/ص١٤٢، وفضائل الصحابة للنسائي: ج١/ص٢٠، وسنن النسائي الكبرى: ج٥/ص٥٠، ومسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي، ج٢/ص٣٩٥، والعقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي، ج٤/ص٢٥١.

[٣] الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر، ج٢/ص٣٦٩، والفتح الكبير: جلال الدين السيوطي، ج٣/ص١٨٩.

[٤] كنز العمال: المتقي الهندي، ج٦/ص٢٢٢، والمعجم الكبير: الطبراني، ج٣/ص٤٢، والبدر المنير:

وأنا استعرض الأحاديث النبوية الشّريفة بحقّ إمامنا الحسن المجتبى (روحي فداه) أجد نفسي صغيراً في الحديث أو الكتابة عن سيد شباب أهل الجنة (صلوات الله عليه)، ومن جانبٍ أُكبر هذه الشخصية العملاقة التي أضفت على المعاني الفذّة ألقاً ورواءً، فتبوّأت المكانة السامية في الآخرة ـ سيد شباب أهل الجنة ـ يا له من وسام لا يمكن أن يدانيه أحد مهما ترصّع من مناقب وصفات.

إنّ معاني العظمة تتصاغر أمام عملاق أهل البيت عليهم السلام، والجُمل تضيق!!

إن نصوص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في خلافة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام واضحة وبيّنة لمن ألقى السمع وهو شهيد، ولكن ماذا نفعل إذا كان البعض ينكر ذلك، ويتكابر، ويجد نفسه أكبر من أن يستجيب إلى كلام رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ؟!

٨- جاء في كتاب (دفاع عن العقيدة) للشيخ محمد الغزالي المصري، وهو ينقل آراء الشيخ أبي حامد الغزالي، وهذا نصه:

«من ذلك ادّعاء بعض الشيعة أنّ هناك نصاً من الله سبحانه وتعالى على أحقّية علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بالإمامة، وأنها فيه وفي ذريته فقط، ويقابل ذلك ما تواتر عن خصومهم بخلاف ما يزعمون.

ومع أننا ننكر قول الشيعة ذلك، فإننا لا نكفّرهم، لأن مقالهم هذا وإن كان شنيعاً وظاهر البطلان، فإنّه لا يعظم ضرره في أصل من أصول

ابن الملقن، ج١/ص٥٣٨، والبيان والتعريف: إبراهيم بن محمد الحسيني، ج٢/ص٢٦٥.

الدين»[١].

ونقول للشيخ أبي حامد الغزالي:

أولاً: إنّ الشيعة لم تدّع ذلك وإنما هو نص من رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث قال للإمام علي عليه السلام: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»[٢]، وهذا الحديث الشريف له علاقة وثيقة بالآية المباركة: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[٣].

فالآية تنصّ على خلافة هارون لموسى عليه السلام، فالأمر واضح وبيّن.

ثانياً: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾[٤]، إنّ هذه الآية نزلت في حقّ أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهي من أوضح الآيات في ولاية الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقد حصرت الآية الولاية لله عزّ وجلّ وللرسول صلى الله عليه وآله وللإمام علي عليه السلام، ولا يمكن تأويل الولي بالناصر والصديق وابن العم وغيرها، لأنه لا يمكن أن يحصر الباري عزّ وجلّ النصرة به، فكل إنسان مؤمن بإمكانه أن يملك هذه

---

[١] دفاع عن العقيدة: الشيخ محمد الغزالي المصري، ص١٨٨.

[٢] الجامع: معمر الأزدي، ج١١/ص٢٢٦، ومسند الطيالسي: سليمان بن داود الطيالسي، ج١/ص٢٨، ومصنف عبد الرزاق: عبد الرزاق الصنعاني، ج٥/ص٤٠٦، والسيرة النبوية: لابن هشام، ج٥/ص١٩٩، ومسند الحميدي: عبد الله الحميدي، ج١/ص٣٨، والطبقات الكبرى: محمد بن سعد، ج٣/ص٢٣، ومسند ابن الجعد: علي بن الجعد، ج١/ص٣٠١.

[٣] الأعراف: ١٤٢.

[٤] المائدة: ٥٥.

الميّزة «النصرة» وباقي الصفات الحميدة..

ثم لا تفسَّر «الولي» بابن العم، والصديق، وفي الآية خالق الكون جلّ وعلا.

ثالثاً: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1]، وهذا نص واضح في خلافة الإمام والأئمة عليهم السلام لأنّ الآية تعطف طاعة أولي الأمر على طاعة الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله، وبعبارة أوضح فإنّ من يُطِعْ وليَّ الأمر بحق فقد أطاع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، ومن يُطِعْ الرسول صلى الله عليه وآله فقد أطاع الله تعالى.

فإذا كانت طاعة ولي الأمر هي طاعة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله فلابدّ أن يكون ولي الأمر عالماً ومعصوماً وحكيماً، لأنه لا يمكن أن يأمر الباري عزّ وجلّ بإطاعة إنسان فاسق وعاصٍ وجاهل وغير عالم، ليبعد الناس عن طاعة الله عزّ وجلّ..

ثمّ هناك قاعدة متينة في عملية الإصلاح والقيادة، فإنّ القائد له تأثير كبير في المجتمع، فكلّما تألّق في سماء العلم والحكمة والمعرفة ترك آثاراً بليغةً في سلوك الناس، لذلك قال الله عزّ وجلّ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

لقد أثبتت الوقائع أن الأئمة الاثني عشر (صلوات الله عليهم أجمعين) كانوا القدوة الرّائعة والأسوة الحسنة للناس، فلم يؤْثَر عنهم خطلٌ في رأي أو كذبة في قول، وإنما قولهم السداد، ومنطقهم الصواب، وعلمهم الفصل،

---

[1] النساء: ٥٩.

[2] الأحزاب: ٢١.

فهم عيش العلم، وموت الجهل وتمام الدين.

٩- جاء في (الدر المنثور) لجلال الدين السيوطي حول تفسير الآية المباركة: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ (بولاية أمير المؤمنين علي عليه السلام) ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[1].

١٠- جاء في (سبل الهدى والرشاد) للصالحي الشامي:

عن عائشة بنت سعد، وعن البراء، وأبي أسيد، والبجلي، وسعد، والطبراني في (الكبير)، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، والطبراني في (الكبير) عن ابن عمر، وابن أبي شيبة عن أبي هريرة، واثني عشر رجلاً من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا لعلي، فقال: «من كنت مولاه» وفي لفظ: «اللهم من كنت مولاه» وفي لفظ: «وليه، فعلي» وفي لفظ «فهذا» وفي لفظ «فإن هذا مولاه» وفي لفظ «فهذا وليه» وفي لفظ «إن الله وليٌّ المؤمنين، ومن كنت وليه» وفي لفظ: «إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن، من كنت وليه فهذا وليه» وفي لفظ: «إني وليكم وهذا وليّي والمؤدّي عني، وإن الله موالٍ من والاه، ومعادٍ من عاداه» وفي لفظ: «اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحِبَّ من أحبه، وأبغض من أبغضه» وفي لفظ: «واخذل من خذله، وانصر من نصره، وأعِنْ من أعانه»[2].

وفي رواية أخرى:

«من كان الله ورسوله وليّه فهذا وليّه، اللهمّ والِ من والاه وعادِ من

[1] المائدة: ٣.

[2] سبل الهدى والرشاد: الصالحي الشامي، ج١١/ص٢٩٤.

عاداه»[١].

جاء في كتاب (المراجعات) للعلامة المقدَّس السيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره:

«كيف يجمع النبي صلى الله عليه وآله تلك الألوف المؤلّفة قبل أن يفترقوا بعد الحج، ويهتمّ بحبسهم في تلك الرمضاء حتى يلحق به من تأخّر عنه من الجمع ويرجع إليه من تقدّم منهم، ثم ينزلهم في العراء على غير كلأ ولا ماء، ثم يخاطبهم ليُبلِغ الشاهد منهم الغائب، ثم ينعى إليهم نفسه، ويسألهم عمّا سبق إنْ سلّموا به من الإيمان بالله وبرسوله وبالكتاب والحساب، ثم يردف ذلك بوجوب موالاة علي، ولماذا خصّه بالدعوات من الله أن يوالي من والاه، ويعادي ما عاداه، وينصر من نصره، ويخذل من خذله»[٢].

١١- وهناك نصٌّ آخر من القرآن الكريم يا سماحة الشيخ، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عليٌّ مع الحق والحق مع علي، يدور الحق معه حيثما دار»[٤]، وهذا الحديث نقله أئمة السنة في الحديث والفقه، وجاء

---

[١] سنن النسائي الكبرى: ج٥/ص١٣٥، وشرح مشكل الآثار: الطحاوي، ج٥/ص٢٠، وتاريخ دمشق: ابن عساكر، ج٤٢/ص٢٢٣، والأحاديث المختارة: المقدسي، ج٣/ص٢١٣، ومختصر تاريخ دمشق: ابن منظور الأفريقي، ج٥/ص٣٩٢، وخصائص علي عليه السلام: النسائي، ج١/ص١١٥.

[٢] المراجعات: السيد عبد الحسين شرف الدين، ص١٣٨.

[٣] يونس: ٣٥.

[٤] شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، ج٢/ص١٧٤.

بسند معتبر كما يقول ابن حبان، وابن معين، وغيرهم.

يقول أحمد بن حنبل: «ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي»[(١)].

وقال إسماعيل القاضي، والنسائي، والنيسابوري: «لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما جاء في علي»[(٢)].

فكما هو ثابت فإنّ الحق مع الإمام علي عليه السلام ، وقد تألّق الحق باتباعه علياً عليه السلام ، وتلألأت معانيه، وأضحى بأبهى حلّته حتى صار الإمام علي عليه السلام عنواناً بارزاً يعلو على مدى الأيام، لذلك فإنّ الأمم قاطبة أخذت تُيمّم وجهها شطر الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام .

يقول جبران خليل جبران: «ولدت مرتين: مرة على دين المسيح ومرة ثانية عندما أحببتُ محمداً وعلياً».

ثم يا أيها الشيخ الغزالي.. ما تقول في هذا الحديث الذي يرويه سلمان المحمدي، وأبو ذر الغفاري، عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه أخذ بيد علي عليه السلام وقال:

«ألا إن هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصدّيق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب الدين والمال يعسوب الظالمين»[(٣)].

---

(١) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: ابن حجر الهيثمي، ج٢/ص٣٥٣.

(٢) نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية: الدكتور أحمد محمود صبحي المصري، ص٢٤٢.

(٣) المعجم الكبير: الطبراني، ج٦/ص٢٦٩، وتاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج٤٢/ص٤١، ومجمع الزوائد: الهيثمي، ج٩/ص١٠٢، وكنز العمال: المتقي الهندي، ج١١/ص٢٨٣، وفيض القدير: المناوي، ج٤/ص٣٥٨، والبيان والتعريف: إبراهيم بن محمد الحسيني، ج٢/ص١١١.

وجاء في كتاب (فضائل الصحابة) لأحمد بن حنبل: عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «أنا عبد الله وأخو رسول الله، وأنا الصدّيق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفترٍ، ولقد صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الناس بسبع سنين»[1].

ثم إذا تسأل عن الأئمة عليهم السلام وخلافتهم، فما عليك إلّا بهذا الحديث الذي تعرفه حقّ المعرفة: «إني أوشك أن أُدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفونني فيهما»[2].

وإنّ حديث الثقلين لَهو من أهمّ الأحاديث في خلافة أهل البيت عليهم السلام، ومن أصحّها على الإطلاق.

---

[1] فضائل الصحابة لابن حنبل: ج٢/ص٥٨٦، ومصنف ابن أبي شيبة: ج٦/ص٣٦٨، وسنن ابن ماجه: ج١/ص٤٤، والآحاد والمثاني: الشيباني، ج١/ص١٤٨، والسنة لابن أبي عاصم: ج٢/ص٥٩٨، وخصائص علي عليه السلام: النسائي، ج١/ص٢٥، وسنن النسائي الكبرى: ج٥/ص١٠٦، وتاريخ الطبري: ج١/ص٥٣٧، وتفسير الثعلبي: ج٥/ص٨٥، ومعرفة الصحابة: أبو نعيم الأصبهاني، ج١/ص٨٦، والكامل في التاريخ: ج١/ص٥٨٢، وذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: محب الدين الطبري، ج١/ص٦٠، وتهذيب الكمال: المزي، ج٢٢/ص٥١٤، والبداية والنهاية: ابن كثير، ج٣/ص٢٦، ومصباح الزجاجة: الكناني، ج١/ص٢٠، وتفسير الثعالبي: ج٥/ص٨٥، وجامع الأحاديث: جلال الدين السيوطي، ج١٦/ص٢٤٣، وكنز العمال: المتقي الهندي، ج١٣/ص٥٤، وسمط النجوم العوالي: العاصمي المكي، ج٣/ص٢٦.

[2] الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، ج٢/ص١٩٤، ومسند ابن أبي شيبة: ج١/ص١٠٨، ومصنف ابن أبي شيبة: ج٦/ص٣٠٩، وفضائل الصحابة لابن حنبل: ج٢/ص٧٧٩ وورد في ج٢/ص٧٨٦: «إني قد تركت فيكم خليفتين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

وممّا يؤكّد على صحّته مسلم في (صحيحه)، والترمذي، وابن ماجه، وصاحب (المستدرك) الحاكم النيسابوري، وغيرهم من الأعلام، ولم يشذّ منهم إلّا الإمام مالك في (الموطأ)، وقد جاء بلفظ: «وسنّتي».

وقد ردّ حديث مالك كبار الفقهاء والمحدّثين من العامة والخاصة، لأنه لم يُثبت السند، وثانياً يعارض الحديث الموثّق في أهم كتب الصحاح: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، فقد أثبته مسلم في (صحيحه)، والترمذي، وابن ماجه، والكثير من المحدّثين.

ثالثاً: فإن حديث: «كتاب الله وسنتي» لم يثبته البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم.

وذكرنا في كتب سابقة أنّ حديث الثقلين: «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» يؤكّد خلافة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام بما فيهم خلافة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

ويبقى أن نقول لسماحة الشيخ أبي حامد الغزالي: إنّك تعلم أكثر من غيرك بما انطوت عليه وصايا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله خصوصاً في خلافة أهل البيت عليهم السلام، وقد أفصحت عن ذلك في كتابك (سر العالمين)، فقلت بصريح العبارة: «إن النبي صلى الله عليه وآله أراد أن يبين من هو الخليفة من بعده».

«فإذاً علامَ هذا الإنكار؟!! ولمصلحة من هذا التحريف الجائر الذي جرّ الوبال على الأمة الإسلامية؟؟!!.

نقول: حينما يُصاب القلب بعقدة التعصّب، وتسترخي العقول المظلمة في ترّهات الخيال، وأحاديث الهواجس النفسية، فلا نتوقّع إلّا الواقع الذي

تكثر فيه أوبئة التعصب والاجتهادات الشخصية، وغيرها من الهواجس النفسية».

وممّا يحزّ في النفس أنّ شخصية مثل الشيخ أبي حامد الغزالي، تتقوّل هذه العبارات، وكان الأحرى به والأجدر أن يثبت الواقع الصحيح، ويتجاوز الإحن، ولاسيما والأمة الإسلامية آنذاك كانت تمرّ بأزمات متفاقمة وعللٍ كثيرة، ومنها التعصُّب المذهبي والقومي.

وجاء في كتاب (نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية) للدكتور أحمد محمود صبحي، أستاذ في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية في مصر:

«ويذكر الشيعة أنّ علياً دفع إليه كتبه وسلاحه وسائر تراث الأنبياء والأوصياء وسلّمه الاسم الأعظم، وأن علياً جمع أولاده بعد طعنه وكانوا اثني عشر ذكراً، فقال لهم: يا بني، إن الله عزّ وجلّ قد أبى إلّا أن يجعل فيَّ سنّة يعقوب إذ دعا ولده وكانوا اثني عشر ذكراً فأخبرهم بصاحبهم، ألا وإني أخبركم بصاحبكم، ألا إن هذين ابنا رسول الله ﷺ (وأشار إلى الحسن والحسين)، فاسمعوا لهما وأطيعوا، وذودوا عنهما، فإني قد ائتمنتهما على ما ائتمنني رسول الله ﷺ ممّا ائتمنه الله عليه من خلقه».

ويعقّب الدكتور أحمد محمود على حديث الإمام كما أورده من (الكافي) ولم يذكر رقم المجلد: «ولا تشير كتب التاريخ السياسي إلى هذه العبارة لعلي، فضلاً عمّا ذكره من تراث غيبي يندرج في كتب العقائد، بل إن أهل السنة يذكرون عن علي أنه قال عكس ذلك، إذ سُئل: ألا تستخلف علينا؟

قال: ما استخلف رسول الله ﷺ فاستخلف، ولكن إن يرد الله خيراً

فسيجمعهم بعدي على خيرهم.

وأنه سُئل: هل يستخلف الحسن؟ فقال: لا آمركم ولا أنهاكم»[١].

مع العلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أما الحسن فإنه ابني وولدي ومني، وقرّة عيني، وضياء قلبي، وثمرة فؤادي، وهو سيد شباب أهل الجنة، وحجة الله على الأمة، وأمره أمري، وقوله قولي، فمن تبعه فإنه مني، ومن عصاه فليس مني»[٢].

إنّ الدكتور أحمد محمود صبحي يتحامل على الإمام الحسن عليه السلام، ولا أعرف ما هي الدوافع والأسباب لذلك، فهو يقول في ص٣١٦ من كتابه:

«وهكذا رشّح الحسن نفسه للخلافة، فلم يزد عن معنى الوراثة بحكم مولده».

(ويبدو أنه لم يكن هناك صفات أفضل تؤهّل الإمام الحسن عليه السلام للإمامة من صفة الوراثة المقدّسة!).

ويقول في ص٣١٧: «ولم تتضح في حروبه مع أبيه عبقرية القيادة العسكرية، وقد وصفه أبوه أنه صاحب جفنة وخوّان ومزواج مطلاق».

وفي ص٣١٢ يقول: «وكان علي يعلم أن ابنه الحسن لم يكن يوافقه تماماً على حروبه، ولم يكن متحمّساً لها، وربما لم يغب عن بال علي أيضاً أن لو آل الأمر إلى الحسن لسلّم الخلافة لمعاوية، وقد وصف علي ابنه

---

[١] نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية: الدكتور أحمد محمود، ص٣١٣-٣١٤، دار النهضة العربية.

[٢] الحسن بن علي: توفيق أبو علم، دار المعارف، مصر، ط ١٩٩٠م.

بقوله: أمّا الحسن فصاحب جفنة وخوّان فتى من فتيان قريش، ولو التقت حلقتا البطان لم يغنِ عنكم شيئاً في الحرب».

والمحزن أنّ هذه الرواية الموضوعة ينقلها المفسّر حسن المصطفوي في كتابه الموسوم (الإمام المجتبى أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام):

عن المسيب، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «أنا أحدّثكم عنّي، وعن أهل بيتي، أما عبد الله ابن أخي: فصاحب لهوٍ وسماح، وأما الحسن: فصاحب جفنة وخوّان فتى من فتيان قريش، لو التقت حلقتا البطان لم يغنِ عنكم شيئاً في الحرب»[1].

ونقول للدكتور أحمد محمود صبحي:

إنّ النص على خلافة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام إنما هو من رسول الله محمد صلى الله عليه وآله.. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[2].. ثم إنّ قولك: «ولا تشير كتب التاريخ السياسي إلى هذه العبارة لعلي» يعني.. «ألا إنّ هذين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله (وأشار إلى الحسن والحسين) فاسمعوا لهما وأطيعوا، وذودوا عنهما، فإني قد ائتمنتهما على ما ائتمنني رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ممّا ائتمنه الله عليه من خلقه».

ونسأل: وهل هناك تاريخ سياسي واجتماعي وعلمي وقصصي؟؟!!

ثم ما هي كتب التاريخ السياسي التي عوّلتَ عليها في نفي عبارة أو

---

[1] الإمام المجتبى عليه السلام: المفسر حسن مصطفوي، ص٩٩، نقلاً عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج٤.

[2] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٣/ص٢٩١، باب ١٢، فضائلهما ومناقبهما.

حديث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ؟؟!!

وعلى فرض وجود كتب التاريخ السياسي، فهل يعوّل عليها في مثل هذه الموضوعات الحسّاسة التي لها أهمية خاصة؟؟!!

ومتى كانت هذه الكتب مصدراً، وهي التي تحتوي على الغثّ والسمين، ومعظم صفحاتها هي أقرب إلى الغثّ منها إلى السمين؟؟!!

ولابد لك أن تعلم أنّ الرواية التي نقلتها عن (الكافي) في خصوص خلافة الإمام الحسن المجتبى والأئمة الاثني عشر عليهم السلام توافق ما نص عليه رسول الله صلى الله عليه وآله في خلافة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

جاء في (صحيح البخاري) كتاب الأحكام:

عن جابر بن سمرة، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «سيكون من بعدي اثنا عشر أميراً. ثمّ تكلّم بشيء لم أسمعه، فسألت أبي: ما قال؟ قال، فقال: كلهم من قريش»[1].

وجاء في (صحيح مسلم)، كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش:

عن جابر بن سمرة، قال: دخلت مع أبي على النبي صلى الله عليه وآله فسمعته يقول: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، قال: ثم تكلم بكلام خفي عليّ، قال، فقلت لأبي: ما قال؟ قال: كلهم من قريش»[2].

وأيضاً عن جابر بن سمرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يوم جمعة عشية

---

[1] صحيح البخاري: ج٦/ص ٢٦٤٠، والمعجم الكبير: الطبراني، ج٢/ص٢٥٤، والفتح الكبير: جلال الدين السيوطي، ج٣/ص٤٠٦.

[2] صحيح مسلم: ج٣/ص١٤٥٢، وصحيح البخاري: ج٦/ص ٢٦٤٠، وسنن أبي داود: ج٤/ص١٠٦.

رجم الأسلمي، يقول:

«لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»[(١)].

وحديث الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ينطبق تماماً على أئمة أهل البيت النبوي (صلوات الله عليهم أجمعين).

وقد حاول البعض إلباس هذا الحديث النبوي على مقاس اجتهاده الشخصي وفهمه القاصر، ولكنه لم يوفّق، فأراد أن يطبّقه على الخليفة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والحسن، ومعاوية، ويزيد بن معاوية، وعبد الملك بن مروان، والوليد، وسليمان، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، والوليد بن يزيد..

فماذا نقول عن البقية، وعن خلفاء بني العباس، والقائمة تطول؟!!

ثم إنّ الخلافة محرّمة على بني أمية لأنهم من الشجرة الملعونة في القرآن الكريم[(٢)].

جاء في كتاب (هذا الباطل فأين الحق) للدكتور عامر الكردي:

قال الذهبي في كتابه (العبر)، قال: عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «الوليد بالشام، والحجاج بالعراق، وقرّة بن شريك بمصر، وعثمان بن حبان بالحجاز، امتلأت والله الأرض جوراً»[(٣)].

---

(١) صحيح مسلم: ج٣/ص١٤٥٣، ومسند أحمد بن حنبل: ج٥/ص٨٧.

(٢) التفسير الكبير: فخر الدين الرازي: ج٢٠/ص١٨٩، في تفسير الشجرة الملعونة في القرآن، وقال: القول الثاني: الشجرة بنو أمية.

(٣) هذا الباطل فأين الحق: الدكتور عامر الكردي، نقلاً عن كتاب: العبر في خبر من غبر.

وجاء في (مجمع الزوائد):

عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى في منامه بني الحكم ينزون على منبره وينزلون، فأصبح كالمتيقّظ، فقال: «ما لي رأيت بني الحكم ينزون على منبري نزو القردة»..

قال: فما رُؤي رسول الله صلى الله عليه وآله مستجمعاً ضاحكاً بعد ذلك حتى مات[1].

والحكم هو الحكم بن أبي العاص الأموي والد مروان بن الحكم، وهو الذي كان يستهزئ برسول الله صلى الله عليه وآله ، ويغيّر قسمات وجهه، وفي إحدى المرات خرج رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج الحكم بن العاص خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ يغيّر قسمات وجهه استهزاءً برسول الله صلى الله عليه وآله ، فالتفت إليه الرسول صلى الله عليه وآله فقال له: كن كذلك.

فثبتت قسمات وجهه المعوجّة، فصار أضحوكة بين جماعته إلى أن مات، وقد ورث قسماته المعوجّة أولاده، ومنهم مروان بن الحكم، فصارت سبّة عليهم.

وأمّا عن موضوع المؤهّلات التي جرّدتها عن سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ظلماً وعدواناً، فإن كنت تتحدث عن المؤهّلات العلمية والحكمية، فإننا نورد هذه الواقعة، وهي الحَكَم الفصل، وعليك أن تحكم.

---

(1) مجمع الزوائد: الهيثمي، ج٥/ص٢٤٤، وتاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج٥٧/ص٢٦٦، ومسند أبي يعلى: ج١١/ص٣٤٨، والعلل المتناهية: ابن الجوزي، ج٢/ص٧٠١، والبداية والنهاية: ابن كثير، ج٢/ص٢٥٩.

فقد جاء في (مطالب السؤول) الباب الثاني:

عن الواحدي في تفسيره (الوسيط): «دخل رجل مسجد المدينة، قال: فإذا أنا برجل يحدِّث عن رسول الله ﷺ والناس حوله، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟

قال: نعم، أمّا الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم عرفة.

فجزته إلى آخر يحدِّث عن رسول الله ﷺ ، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟

فقال: نعم، أمّا الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم النحر.

فجزتهما إلى غلام آخر، كأنّ وجهه الدنيا (يعني يتلألأ)، وهو يحدّث عن رسول الله ﷺ ، فقلت: أخبرني عن شاهد ومشهود؟

فقال: نعم، أمّا الشاهد فمحّمد ﷺ، وأمّا المشهود فيوم القيامة، أما سمعته يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾[2].

فسألت عن الرجل الأول؟ فقالوا: ابن عباس، وعن الثاني؟ فقالوا: ابن عمر، وسألت عن الثالث؟ فقالوا: الحسن بن علي بن أبي طالب، وكان قول الحسن أحسن»[3].

وجاء في كتاب (الفتنة الكبرى) لطه حسين: «والحسن قد خطب الناس

---

(1) الأحزاب: ٤٥.

(2) هود: ١٠٣.

(3) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٤٥/٤٣، باب ١١، مكارم أخلاقه.

غير مرّة في حياة أبيه وبعد وفاته، فلم يعرف الناس منه عيّاً أو حصراً، وهو بعد ذلك أو قبل ذلك من أهل بيت لم يُعرفوا قط بعيٍّ أو حصر، وإنما كانوا معدن الفصاحة والّلَسن وفصل الخطاب، وقد خطب الحسن، فقال خير ما كان يمكن أن يُقال، وأصدق ما كان يمكن أن يُقال أيضاً»[1].

وإليك هذه الحكم الرائعة التي تفيض معانيَ كبيرة وعظيمة:

قيل له عليه السلام: ما الزهد؟

قال: «الرغبة في التّقوى والزهادة في الدنيا».

قيل: فما الحلم؟

قال: «كظم الغيظ، وملك النفس».

قيل: ما السداد؟

قال: «دفع المنكر بالمعروف».

قيل: فما الشرف؟

قال: «اصطناع العشيرة وحمل الجريرة».

قيل: فما النجدة؟

قال: «الذَّبُّ عن الجار، والصبر في المواطن، والإقدام عند الكريهة».

قيل: فما المجد؟

قال: «أن تُعطي في الغُرم، وأن تعفو عن الجرم».

قيل: فما المروَّة؟

قال: «حفظ الدين، وإعزاز النفس الكَنَفَ (الجانب والناحية)، وتعُّهد

---

(1) الفتنة الكبرى: طه حسين، ص٢٠٢.

الضيعة، وأداء الحقوق، والتحبُّب إلى الناس».

قيل: فما الكرم؟

قال: «الابتداء بالعطية قبل المسألة، وإطعام الطعام في المَحْل» (في زمن مجدب).

قيل: فما الدّنيئة؟

قال: «النظر في اليسير، ومنع الحقير».

قيل: فما اللؤم؟

قال: «قلة الندى، وأن ينطق بالخنا» (الفُحْش).

قيل: فما السماح؟

قال: «البذل في السرّاء والضرّاء».

قيل: فما الشّحُّ؟

قال: «أن ترى ما في يديك شرفاً، وما أنفقته تلفاً».

قيل: فما الإخاء؟

قال: «الإخاء في الشدّة والرخاء».

قيل: فما الجبن؟

قال: «الجرأة على الصديق، والنكول عن العدو».

قيل: فما الغنى؟

قال: «رضى النفس بما قسم لها وإن قلّ».

قيل: فما الفقر؟

قال: «شرهُ النّفس إلى كلّ شيء».

قيل: فما الجود؟

قال: «بذل المجهود».

قيل: فما الكرم؟

قال: «الحفاظ في الشدة والرخاء».

قيل: فما الجرأة؟

قال: «موافقة الأقران».

قيل: فما المنعة (العز)؟

قال: «شدّة البأس، ومنازعة أعزّ الناس».

قيل: فما الذّلُّ؟

قال: «الفَرَق عند المصدوقة».

قيل: فما الخرق؟

قال: «مناوأتك أميرك، ومن يقدر على ضرّك».

قيل: فما السّناء (الرفعة)؟

قال: «إتيان الجميل، وترك القبيح».

قيل: فما الحزم؟

قال: «طول الأناة، والرفق بالولاة، والاحتراس من جميع الناس».

قيل: فما الشرف؟

قال: «موافقة الإخوان، وحفظ الجيران».

قيل: فما الحرمان؟

قال: «تركُك حظَّك وقد عرض عليك».

قيل: فما السَّفة؟

قال: «اتباع الدّناءة، ومصاحبة الغُوَاة».

قيل: فما العيّ؟

قال: «العبث باللحية، وكثرة التنحنح عند المنطق».

قيل: فما الشجاعة؟

قال: «موافقة الأقران، والصبر عند الطعان».

قيل: فما الكلفة؟

قال: «كلامك فيما لا يعنيك».

قيل: وما السفاه؟

قال: «الأحمق في ماله، المتهاون بعرضه».

قيل: فما اللؤم؟

قال: «إحراز المرء نفسه، وإسلامه عرسه»[(١)].

إنّ هذه الحكم المتعالية التي تفجّرت من عقل خلاق، ظلّ يتدفّق على مرّ التاريخ تشكّل أدلةً قاطعة على المؤهّلات التي حازها الإمام الحسن المجتبى (صلوات الله عليه)، وسوف نفصّل أكثر في فصل (علم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام)..

ولكن لا أدري.. هل قرأ الدكتور أحمد محمود صبحي هذه الحكم أم لا؟؟!!

---

(١) مختصر تاريخ دمشق: ابن منظور الأفريقي، ج٢/ص٤٠٤، وتحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام: ص٢٢٥، في أجوبته عن مسائل سأله عنها أمير المؤمنين عليه السلام.

فإن كان قد قرأها فلا ينبغي التقوُّل على الإمام المجتبى (صلوات الله عليه)، وأمّا إذا لم يقرأها فهنا الطّامّة الكبرى.

وأكبر الظن فإنّ الدكتور أحمد محمود صبحي، قد استلّ هذا الحُكْم الجائر بحقّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام من كتاب (عقيدة الشيعة) للمستشرق «روندلسون» الذي تجاوز فيه كل الحدود، وضرب كل المعايير الخلقية، فكتابه (عقيدة الشيعة) فيه الكثير من المغالطات، والافتراءات المشينة، وقد تجاوز كل الحدود عندما تناول حياة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ، فقد ألصق بالإمام تُهماً رخيصة لا يمكن تسطيرها في هذا الكتاب.

فهو قد جانب الصّواب، وتوارى كلياً عن الموضوعية والحياد، فجاءت استنتاجاته مشوّهة تحمل في طيّاتها الروح البغيضة..

إنني آسى على بعض الشخصيات الإسلامية التي تفسّر سيرة العظماء من آل البيت عليهم السلام وغيرهم وفق معايير مغلوطة تفتقد إلى الروح العلمية، وأحزن لظاهرة التّجافي عن القراءة الموضوعية لسلوك العظماء، وإنني على يقين أن الدكتور أحمد محمود صبحي لم يقرأ حياة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بتجرّد وحيادية، ولم يقرأ حياته من مصادر موثّقة لا شيةَ فيها.

ويبدو أن الدكتور كان يحمل تصوراً مشوّهاً عن المصادر الشيعية، وأكبر الظن فإن هذا التصوّر جاء نتيجة الأجواء الملبّدة بغيوم الشك والارتياب، وهذا شأن المستشرقين أمثال «رندلسون» و«لامانس».

يقول «أميل درمنجم» في كتابه (حياة محمد):

«إنّ الأب (لامانس) يرى مثلاً أنه حين يوافق حديث من أحاديث

الرسول بعض آي القرآن يحكم بأن الحديث موضوع، وأنّه دُسّ على النبي.

لماذا؟! اعتماداً على ورود معناه في القرآن، وعلى تأييد الكتاب له، ومن ثمَّ لا يعتبره (لامانس) صحيح الرواية، ولا يثق به».

فحدّثني بربّك: كيف يمكن تدوين التاريخ إذاً؟!

إذا كان كلما اتّفقت شهادتان واجتمعت دلالتان، فبدلاً من أن تقوّي إحداهما الأخرى وتزكّيها فإنها تكذّبها وتجرحها.

ثمّ تساءل «درمنجم» : لماذا لا يكون مثل هذا الحديث شارحاً للقرآن؟ وهَبِ الحديث جاء بمزيد من المعاني، فلماذا نهمل الأسانيد التي وردت به؟ وكيف يطلب من النّاقد تجاوزها».

إنّ موجة التّشكيك التي طالت الرموز الكبيرة، وبالذات الأئمة عليهم السلام إنّما جاءت من عدّة عوامل، يأتي في مقدمتها خلفاء الجور الذين تحكّموا بالإسلام، وجعلوه جسراً لمآربهم الشّيطانية، ودنياهم الحقيرة.

لقد أسّسوا منهجاً تشكيكياً يقوم على أساس التسقيط، ونفي أيّ صفة عالية يتّسم بها العظماء.

وأول من انتهج هذا الأسلوب الشيطاني الوقح معاوية بن أبي سفيان، فهو قد أتقنه حتى انطلى على الكثير بما فيهم عمرو بن العاص.

وقد طال التّسقيط سيد الكائنات النبيَّ محمداً صلى الله عليه وآله ، والمؤسف فإنّ الأحاديث التي تناولت شخصية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بالسوء وجدت طريقها في كتب الصحاح، فاكتست طابع الشرعية، وبذلك أصبحت من

«المقدَّسات» التي لا يمكن لأحد أن يشير إليها بالبنان واللسان.

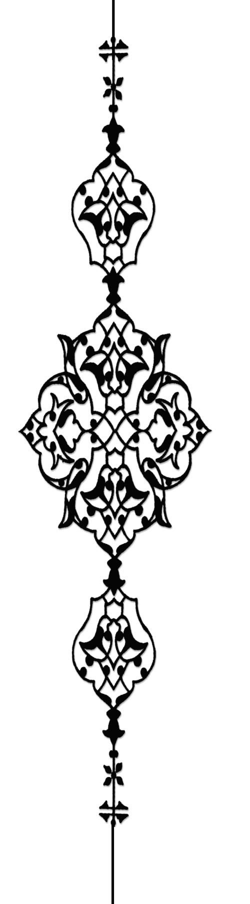
ومصابُ الإسلام في عصور كثيرة، وفي هذا العصر الذي يتّسم بالعلم والانفتاح، أن يأتي كتّاب يعجزون عن الموازنة والاتّزان، إمّا لشلل في مداركهم يمنعهم من الاتزان والفهم الموضوعي، أو لنقصٍ في ثروتهم العلمية، ثم يخرجون بنتائج خطيرة قد يتطاول عليها العمر، فكان عقباها الضار دماراً شاملاً أصاب كبد الحقيقة.

من هنا فإننا نطالب الكتّاب الذين يتناولون موضوعاتٍ دقيقةً وحسّاسة وحرجة تدخل في صلب اهتمام الشريعة أخذ جانب الحيطة والحذر، والاستناد إلى المصادر الموثّقة ونبذ العصبية.

إنّ مشكلة بعض الكتّاب المسلمين تكمن في توثيق (الكتّاب الأجانب)، وتصديق كل ما يسطّرون حتى لو كان بادي العورة، ظاهر الفساد، وتكذيب الكتّاب الذين ينشدون الحقّ والحقيقة.

ومن جانب فإنّ هؤلاء الكتّاب يكذّبون المسلمين الذين يسطّرون في كتبهم الحقائق النّاصعة، ويلصقون بها تُهماً رخيصة.

الفَصْلُ الثَّانِي



الولادة الميمونة

ولادة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

«ولد في المدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وجاءت به فاطمة عليها السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله يوم السابع من مولده في خرقة من حرير الجنة، كان جبرئيل عليه السلام نزل بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسمّاه حسناً، وعقّ عنه كبشاً»[1].

وفي (منتهى الآمال):

«المشهور أنّ ولادة الإمام الحسن عليه السلام كانت ليلة الثلاثاء منتصف شهر رمضان المبارك سنة ثلاث للهجرة، أو سنة اثنتين على قول».

ويروي ابن بابويه بأسناد معتبرة، عن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «لمّا ولدت فاطمة عليها السلام الحسن عليه السلام، قالت لعلي عليه السلام: سمّه.

فقال عليه السلام: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله صلى الله عليه وآله.

فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله، فأُخرج إليه في خرقة صفراء، فقال: ألم أنهكم أن تلفّوه في خرقة صفراء؟

ثم رمى بها، وأخذ خرقة بيضاء، فلفّه بها».

وفي رواية أخرى: أنه صلى الله عليه وآله أدخل لسانه في فيه، فجعل الحسن عليه السلام

---

[1] الإرشاد: الشيخ المفيد: ج٢/ص٥، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٣/٢٥٠، ولادتهما وأسماؤهما وعللها.

يمصّه، ثم قال لعلي عليه السلام : ما سمّيته؟

قال عليه السلام : ما كنت لأسبقك باسمه.

فقال صلى الله عليه وآله : ما كنت لأسبق ربّي باسمه.

فأوحى الله عزّ ذكره إلى جبرئيل عليه السلام أنه قد وُلد لمحمد ابنٌ، فاهبط إليه فأقرئه السلام، وهنّئه مني ومنك، وقل له: إنّ علياً منك بمنزلة هارون من موسى فسمّه باسم ابن هارون.

فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله ، وهنّأه من الله عزّ وجلّ ومنه، ثم قال له: إنّ الله عزّ وجلّ يأمرك أن تسمّيه باسم ابن هارون.

قال: وما كان اسمه؟

قال: شبّر.

قال: لساني عربي.

قال: سمّه الحسن، فسمّاه الحسن.

ويروي ثقة الإسلام الكليني قدس سره بسندٍ معتبر، عن الحسين بن خالد، أنه قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن التّهنئة بالولد، متى؟

فقال عليه السلام : «أما إنّه لمّا ولد الحسن بن علي هبط جبرئيل على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بالتّهنئة في اليوم السابع، وأمره أن يسمّيه ويكنّيه، ويحلق رأسه، ويعقّ عنه، ويثقب أذنه، وكذلك كان حين ولد الحسين عليه السلام أتاه في اليوم السابع فأمره بمثل ذلك».

ثم إنّ النبي صلى الله عليه وآله أذّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وقال صلى الله عليه وآله إن ذلك هو عصمة للمولود من الشيطان الرجيم.

وهـذه التفاتـة مهمّـة مـن رسـول الله محمـد ﷺ لأنّ أحاسـيس الطفـل تتأهّب للاستماع، فتلتقط كلَّ ما يُملى عليها.

جاء في كتاب (الطفل والأحكام المتعلّقة به في الفقه الإسلامي):

«الطفل من حيث كينونتُهُ يعتبر إنساناً كامل الخَلق والتكـوين، يُولـد مـزوّداً بكـلّ المَلَكـات والقـدرات والحـواس، والصـفات البشـرية الإنسـانية، وقدراتـه العقليـة والروحيـة والعاطفيـة والبدنيـة والحسّـية كلِّهـا مكتملـة لا ينقصـها إلا الاصطدام بأحداث الحياة، والسلوك البشري لينشّطها، ويدفعها إلى العمل»[(١)].

وتبقى أحاسيس الطفل متحفّزة في هذه السن، وهي تشـتد كلّمـا تلقّـت توجيهاً فذّاً من الأبوين، لذلك فإنّ بعض الأطفـال يمتـازون بنضـوج مبكـر، وقد يختزل الأب كثيراً من عوامل التّربيـة. إن اهتمـام الأبـوين منـذ اللحظـة الأولى، أو بعبارة أوضح منذ السنين الأولى يشكّل أهمية خاصة، لأنه يرسي الأساس كما هو ثابت في علم النفس التربوي.

وإذا تمكّن الأساس في كيان الإنسان فإنّ عمليـة التلقّـي تُضـحي سـهلة من قبل الطفل، وقد يتأثّر كلياً.

جاء في كتاب (الإسلام وتربية الإنسان)، لإبراهيم سعادة:

«فالإنسان المتأثّر يتقمّص عن طريق لا شعوري شخصيّة القدوة كلّها أو جُلّها»[(٢)].

[(١)] الطفل والأحكام المتعلقة بـه فـي الفقـه الإسـلامي: الـدكتور جـودت القزوينـي، ص١٧، نقـلاً عـن كتاب تشريعات حماية الطفولة.

[(٢)] الإسلام وتربية الإنسان: إبراهيم سعادة، ص١١٩.

وأفضل قدوة للطفل هو الأب ثم الأم، فهما يشكّلان الشخصية المثالية للطفل، وبقدر تألّقهما يتألّق الطفل، وينمو سوياً وعالياً.

فعليه، فإنّ مسؤولية الأب إزاء ولده في الصغر تعدُّ مهمّة، حيث تحدّد مساراته تباعاً، لذلك فإنّ الرسول صلى الله عليه وآله اهتمّ كثيراً بالإمام الحسن عليه السلام حتى في الخرقة التي لفّتها أسماء بنت عميس، فإنّ الإمام الحسن عليه السلام كان ملفوفاً بخرقة صفراء، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله الوليد، فطرح عنه الخرقة جانباً، وقال صلى الله عليه وآله : «ألم أعهد إليكم ألا تلفّوا المولود في خرقة صفراء»[١]، ودعا بخرقة بيضاء فلفّه فيها.

وهكذا يتابع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أدقّ التفاصيل، ويراعي مشاعر ولده الإمام الحسن عليه السلام ، ممّا ترك انطباعاً عالياً في كيان سيد شباب أهل الجنة.

إن الاهتمام الفذّ بالطفل يقوده إلى اكتناز قوّة هائلة تساعده في تسلُّق أعلى درجات الكمال، وفي اجتياز العقبات التي تعترض طريقه تباعاً.

يقول النبي عيسى عليه السلام : «درّب الطفل على الطريق الذي تريد أن يسلكه، فلن يحيد عنه بعد ذلك»[٢].

لأنّ نمو القدرة العقلية عند الطفل سريعة جداً.

جاء في كتاب (علم النفس التربوي) لفاضل عاقل:

«إنّ نمو القدرة العقلية سريع جداً خلال الطفول الباكرة والسنين الوسيطة، ثم يتباطأ تدريجياً خلال السنين المتأخّرة من المراهقة، لكننا

---

[١] وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج ٢١/ص ٤١٠.

[٢] عالم الأديان.

نستطيع القول منذ الآن إنّ الطفل يصل نصف قدراته العقلية الذكائية في نهاية الثالثة من عمره، وإنّ هذا النمو يستمرّ متباطئاً فيما بعد إلى وقت يتراوح بين العشرين والثلاثين»[١].

وتشير الدراسات التربوية والنفسية إلى أنّ ٥٠٪ من المكتسبات الذهنية المتوافرة للفرد في سنّ السابعة عشرة من العمر يحصل عليها في السنوات الأربع الأولى، وأنّ ٣٠٪ منها تظهر فيما بين الرابعة والثامنة، وأن ٢٠٪ الباقية تكتمل فيما بين الثامنة والسابعة عشرة.

وتذكر دراسة أخرى: «أنّ ثلث الحصيلة التربوية لطالب في سن الثامنة عشرة تتحقق في السنوات الأولى من حياته، وأن ٤٢٪ من تلك الحصيلة تتحقق في سن الثالثة عشرة»[٢].

فالسنوات الأولى حاسمة في حياة الطفل، فهي ترسم معالم شخصيته الذاتية، وتؤكّد فيه عوامل النمو التي تساهم في اجتياز مرحلة المراهقة التي هي مفصل مهمٌ في حياة الإنسان.

وقد لاحظنا كيف أنّ الرسول الأكرم ﷺ كان يهتمُّ بولده الإمام (صلوات الله عليه) الأمر الذي أدّى إلى نشوء علاقة متميّزة ارتقت إلى أعلى مستوى لها، إنّ العلاقة بين الأب والابن تنشأ من الصغر، وتتطوّر بفعل الاهتمام والاحترام والحب، عندها سوف يجد الابن وجوده من وجود

---

(١) علم النفس التربوي: فاضل عاقل، ص١٠٠.

(٢) التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة: الدكتور عبد السلام عبد الله الجقندي، ص٣٠٩-٣١٠.

الأب، وكيانه من كيانه، وهذه الصورة بحدّها واضحة في علاقة الإمام مع جدّه.

فقد ارتحل الإمام عليه السلام ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله وفي حالة السجود.

إنّ هذه الصور العالية انطبعت في ذهن الإمام عليه السلام، وانتقشت على قلبه، فنمَتْ فيه خصالٌ عديدة، ثم إن الارتحال ينمّ عن:

١- شدّة اهتمام النبي صلى الله عليه وآله.

٢- حتى يبيّن لأصحابه أهمية الإنسان.

٣- مكانة الإمام الحسن عليه السلام.

٤- أنّ وجود الإمام بالقرب من جده، وفي حالة السجود، وحيث يكون العبد فيه أقرب ما يكون إلى الله تعالى، فإنّ الكلمات الطيّبة، ومن قلب طيب طاهر، وفي حالة السجود، سوف يغوص في كيان الإمام الحسن عليه السلام..

إنّه البناء الفذّ والقويم..

لقد آنس الإمام من جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله كل الرعاية والاهتمام، فبرزت في مقتبل عمر سيد شباب أهل الجنة عليه السلام صفات مشرقة في سلوكه.

وممّا زاد في إشراقة الصفات الاهتمام البالغ من قِبَل السيدة الزهراء (صلوات الله عليها)، إذ كانت تشدّ الإمام عليه السلام إلى جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، وتقوّي عزيمته ممّا فجّر فيه ينبوع العزيمة والجرأة، فكان يأتي الإمام الحسن عليه السلام إلى المسجد، ويجلس إلى جنب جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، علماً أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كان يمتلك من الهيبة ما يخرس الفَطِن، ويسكت

المنطيق.

ولكن يبدو ومن خلال الروايات أن سيدة نساء العالمين (صلوات الله عليها) كانت تشجّع الإمام الحسن عليه السلام في اكتساب الجرأة والشجاعة.

إنّ دور الأم في إثراء الشخصية بصفات سامية يكتسب أهمية خاصة، وقد أخذت الزهراء (صلوات الله عليها) على عاتقها مسؤولية إثراء شخصية الإمام الحسن عليه السلام بصفات مهمّة، وكانت عاملاً مهماً في استواء شخصية الإمام الحسن عليه السلام .

ورد أن: «السيدة الزهراء عليها السلام عندما كانت تقوم لصلاة الليل، تُنهض الإمام الحسن عليه السلام وعمره أربع سنوات، فكان يصلّي إلى جانبها، وقد استمرت الزهراء عليها السلام على هذه السنّة المباركة، فحفرت في ذهن الإمام الحسن عليه السلام صورة طيّبة عن صلاة الليل، فظل الإمام (صلوات الله عليه) يقيمها تباعاً، فتنشّبت عروقها، وامتدّت إلى أعماق قلبه.

إنّ اهتمام الزهراء عليها السلام يترجم الحرص الشديد على استواء شخصية الإمام عليه السلام ، ومن جانبٍ يكشف عن حقيقة مهمّة فيما يخصّ التربية والتوجيه، فهي توجه رسالةً مهمة إلى الأمهات والآباء الذين يتردّدون في توجيه أبنائهم، إمّا خوفاً عليهم، إذ لا يريدون ـ حسب قولهم ـ أن يحمّلوا أولادهم فوق طاقتهم، أو جبناً منهم في خوض غمار التوجيه والتربية.

لقد سمعت من بعض الآباء تعليلاتٍ هزيلةً في قصورها، ومن بعضها:

ماذا يفهم الصغير من مفردات التربية؟

وماذا يجدي التوجيه للطفل وهو في مقتَبل عمره؟

وماذا تنفع الصلاة والآداب وهو بعد لم يكتمل عقله؟

وما شابه من هذه التعليلات السّقيمة التي إن دلّت على شيء فإنَّما تدل على القصور، وضيق الأفق، وكلنا نعلم أنّ الصغير يستوعب جيداً، وفي بعض الأحيان يستوعب كاملاً، لأنّ قواه العقلية والنفسية في طور النمو والاكتمال، لذا فهو يكتسب من محيطه الكثير وبالذات البيت.

جاء في كتاب (التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة):

«وتعتبر الأسرة الحضن الصحي الآمن، لتفتّح مدارك الأبناء، وتوسيع رؤاهم في كنفها وإشعاعاتها، فإنهم يبصرون ما حولهم فيميزون بين ما أحلّ الله من طيبات وما أمر من معروف، وما وجّه إليهم من فرائض، وبين ما حرّم من خبائث، وما نهى عنه من منكر، وما أنذر من الوقوع في الظلم واقتراف الآثام، بين ما يرضي الله وما يجلب سخطه، ما يقرِّب من الجنة من صدق الإيمان وصدق العمل، وما يبعد عن النار، إذا انتهى المرء عمّا نهى عنه الله.

إنّ مكانة الأسرة في نفوس أبنائها تخوّلها فرصة التأثير والتوجيه لهم بما لا يتهيّأ لمؤسسة تربوية أخرى مهما رصدت لها من الإمكانيات، لأن الأسرة باعتبارها الحاضنة للتربية الأساسية، فإن لديها من رصيد الفطرة ما يضمن قدراً كافياً لتربية هادفة بعيدة عن الانحراف والخلل»[1].

أخذ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ولده الإمام الحسن عليه السلام فأذّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ثم أدخل لسانه في فيه، فجعل الحسن عليه السلام يمصّه،

---

[1] التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة: الدكتور عبد السلام الجقندي، ص١٧٢، نقلاً عن مجلة التربية كلية الدعوة الإسلامية، الأردن.

ثمّ قال لعليّ عليه السلام: ما سميته؟

قال: ما كنت لأسبقك باسمه.

فقال صلى الله عليه وآله: ما كنت لأسبق ربّي باسمه.

فأوحى الله عزّ ذكره إلى جبرئيل عليه السلام: أنه قد ولد لمحمد ابنٌ، فاهبط إليه فأقرئه السلام، وهنّئه مني ومنك، وقل له: إنّ علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون.

فهبط جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله وهنّأه من الله عزّ وجلّ ومنه، ثم قال: إنّ الله عزّ وجلّ يأمرك أن تسمّيه باسم ابن هارون.

قال: وما كان اسمه؟

قال: شبّر.

قال: لساني عربي.

قال: سمّه الحسن.

فسمّاه الحسن.

إنّ اختيار اسم الإمام عليه السلام من قِبل الله عزّ وجلّ لَهو من أسمى آيات التكريم والعلو، ومن جانب يدلّ على أهمية الاسم، وأثره البالغ في سلوك الإنسان، لذلك علينا أن نُسمّي أولادنا بأحسن الأسماء، فهو أحد الأسباب لحسن السلوك، وضبط مسار الإنسان.

١- فالاسم الحسن له وقع في القلب والنفس، وإن الأسماء تتناغم مع مشاعر الإنسان وأحاسيسه.

٢- وفي بعض الأحيان تغيّر سلوك الإنسان، حيث تُوحي إليه فعل

الخير، ومنها من يغيّر.

٣- وإن منها لما يهبط من خشيتها الإنسان، فمحمد وعلي وحسن وحسين وفاطمة وزهراء.. يخشع لها القلب، وتطمئنّ إليها النفس، فالأسماء تتكلم، وتوحي إلى صاحبها الكثير من عمل الخير، وهذه نقطة جديرة بالاهتمام.

٤- ويمكن أن نقول إن الاسم هو من الوسائل المهمة في ربط الإنسان بعمالقة الإنسانية، لذلك فإنّ الأمم التي تتغنّى برجالها لا تخطئ هذه السنّة.

جاء في كتاب (أولادنا وكيف نربي أولادنا في ضوء الإسلام) ص٨٥-٨٦:

«ويُسمى المولود بأحسن الأسماء التي فيها ذكر الله عزّ وجلّ، ويبعد عن الأسماء التي فيها تشبّه بغير الملتزمين بخلق الإسلام، ودين الإسلام، ففي ذلك اعتزاز بالشخصية الإسلامية، وما تحمله من مُثل ومبادئ وقيم، ويُسمّى الولد بأسماء تدلّ على الخير، وتحمل على التفاؤل، ويبعد عن عكسها من الأسماء الذّميمة، ومن مسؤولية الوالدين حسن اختيار اسم المولود لما ورد في الأحاديث الشريفة الكثيرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «حقّ الولد على الوالد أن يُحسن اسمه ويُعلّمه الكتابة، ويُزوّجه إذا بلغ»[١].

وبالنّظر إلى مضمون الحديث النبوي الشريف نجده يتضمّن ناحية نفسية، وهي اختيار الاسم الحسن للمولود، لأن ذلك سيكون له أكبر الأثر

[١] تفسير القرطبي: ج١٨/ص١٩٥.

في نفسيته وشخصيته مستقبلاً.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال:

قالوا: يا رسول الله علّمنا ما حق الولد؟

قال: «أن يُحسن اسمه ويُحسن أدبه»[١].

وفي هذا المضمون التربوي تكليف الوالدين بواجب التربية والإعداد والتثقيف والتوجيه لما يحبّه الله ويرضاه، فيلتزم الوالدان بتنشئة أولادهما على الإيمان الكامل، والعقيدة الصحيحة، وأن يعوّداهم على التكاليف الشرعية والآداب الإسلامية، والأخلاق الفاضلة، فالوالدان هما (الأنا الأعلى) بالتعبير التربوي الحديث، لأنّ الاسم له علاقة بارزة بالوسائل التربوية غير المباشرة، ولذلك أثرٌ على نفسية الطفل، وعلاقته مع زملائه، وأفراد مجتمعه، وقد يُسبّب الاسم القبيح المستهجَن للطفل أحقاداً أو ضغائنَ وعقداً نفسية، وعزلة وانطوائية لا تُحمد عقباها، فقد تعوّد البعض على اختيار الأسماء القبيحة للمولود رغبة في أن يعيش الولد، أو خوفاً من أن تصيبه العين، ويسمّي بعضهم الأولاد بأسماء البنات لدفع الحسد عن إنجاب الأبناء، ويسمّي بعضهم بأسماء الغرب إظهاراً للتمدّن، وخوفاً من النظرة المحتقرة، ويسمّي بعضهم البنات بأسماء تدلّ على عدم احترامهم لإنجابهنّ، وعدم رغبتهم بالبنت، ومن ذلك التسمية: نهاية، ومنتهى، وكفاية، وغير ذلك».

إنّ الموضات التي أخذت تترى على الأمة الإسلامية أنهكت جسدها، وحوّلتها إلى جسد هزيل لا تقوى على تضميد ما أصابها، وأخشى أن

---

[١] مستدرك الوسائل: الحر العاملي، ج١٥/ص١٢٨، باب ١٤، استحباب تسمية الولد باسم حسن.

تصاب الأمة باليأس، ويقبع فيها الإحباط من جانب، فإنّ بعض أنصاف المثقّفين يضعون اللوم على الدين بسبب ما كسبت أيدي الناس.

لقد عادت النغمة من جديد، وبإيقاع تشمئزُّ منه النفوس من قبيل: إنّ ما أصاب الأمة من هزائم بسبب تمسّكها بالدين.

والحال فإن واقع الأمة لا يجسّد القيم الإسلامية بالشكل المطلوب، وبعضها عارٌ على الإسلام، وليتها تتبرَّأ منه حتى لا يختلط الحابل بالنابل، فيحكم من يرى بعين واحدة على الدين بالقصور والتخلف.

لو كان الدين الإسلامي حاكماً، أو على الأقل مهيمناً على سلوك المجتمعات الإسلامية لما رأينا سهولة تلقّف ما يسوّقه اليهود، وفي مصانع ليست ملكاً لهم، وإنما برأسمال إسلامي عربي.. يا للمصيبة.

إنّ الدين الإسلامي الحنيف شدّد على أهمية «الواقع الحي»، وجعله معياراً للتمايز، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

فالواقع الحيُّ يتجسّد في القول الحسن الذي يستهدف رضا الله، والعمل الصالح من خلال خدمة الناس، وعندما يتحقّق الواقع يصحّ بعد ذلك أن يقول الإنسان: ﴿إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2]..

وهكذا كان يسطّر النبي صلى الله عليه وآله في إثراء الواقع الإنساني بمفردات عالية، ويولي اهتماماً خاصاً في رفعة الإنسان وسموّه، فكان يستبدل الأسماء

---

(1) فصلت: ٣٣.

(2) فصلت: ٣٣.

القبيحة مثل: حرب، والحارث، والغاضب، وغيرها، إلى أسماء جميلة، لها معان كبيرة.

والنبي الأكرم ﷺ هو أوّل من أطلق الأسماء الجميلة والألقاب بعد أن اندرست هذه السنّة، وكادت أن تتلاشى من حياة الأمم، والنبي ﷺ هو أوّل من كنّى..

فقد كنّى الإمام علياً عليه السلام: «أبو تراب».

والإمام الحسن الزكي عليه السلام: «أبو محمد».

والإمام الحسين عليه السلام: «أبو عبد الله».

وكذلك الأصحاب.

معاوية يطوّع كلّ الحقائق لإثبات نظريته أو فرضيّته:

لقد فتح الرسول الأعظم ﷺ الباب واسعاً لسموّ الإنسان ورُقيّه، فتربّع الكثير عرش الفضائل، وأصبحوا نماذج يُحتذى بهم، وكاد الواقع الجديد يأخذ مداه ويصل إلى مستويات عالية إلا أنّ المؤامرات التي تناسلت بُعيد وفاة الرسول الأعظم ﷺ أجهزت على مقومات «السموّ»، وقوّضت أركان المجتمع التي شيّدها النبي الأكرم ﷺ مع أصحابه الكرام، فأخذت جرّافة المصالح الذاتية تكتسح القلاع، وتحيلها إلى ركام.

وقد عملت السلطة مع عميلها في الشام «معاوية بن أبي سفيان» على تقويض دعائم الواقع الإسلامي، وتحطيم كلّ ما من شأنه ربط الإنسان بالإسلام وبرسوله الكريم محمد ﷺ.

جاء في كتاب (من قصص التاريخ):

«ذكر المدائني: نقل لي أحد الأشخاص، فقال: كنت في الشام، ولم أسمع أحداً ينادي بأسماء: علي وحسن وحسين، بل كانت الأسماء: معاوية، ويزيد، ووليد، وهشام، حتى وقع بصري يوماً على رجل طلبت منه ماء، فنادى أولاده: علي، حسن، حسين.

فقلت له: لم يسمِّ الناس بهذه الأسماء، فكيف سميت أبناءك بها؟

فقال: الناس يسمّون أولادهم بأسماء الخلفاء، وعندما يتضجّرون منهم يلعنونهم ويفحّشونهم، وهذا اعتداء وتضعيف للخلفاء، وأما أنا فقد سميت أولادي بهذه الأسماء، فإذا فحّشتهم كنت كمن فحّش أعداء الله (والعياذ بالله)[1].

إنّ هذا الواقع المريع يترجم بوضوح محاولات السلطة الغاشمة لتغيير الطابع الإسلامي، وتشويه معالمه المشرقة، ومن ثم إرجاع الدماء ثانية إلى الحياة الجاهلية.

جاء في كتاب (معاوية بن أبي سفيان) للعقاد:

«يقال في مصطلحات عصرنا عن الحيلة التي لا تخفى ولا حاجة بها إلى إخفاء إنها «لعب على المكشوف».. كأنها هي لعبة تلعب نفسها بنفسها، ولا محلَّ فيها لتدبير اللاعبين لظهوره، واتباعه في اللعب منهجاً لا محيد عنه، وهكذا كانت الحيلة بين عمرو ومعاوية.

قال عمرو لمعاوية: أترى أننا خالفنا علياً لفضل منّا عليه؟.. لا والله إنّ

---

[1] قصص من التاريخ: المرجع الديني السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره ، ص١٣٠.

هـي إلا الـدنيا نتكالـب عليهـا، وأيـم الله لَـتقطعنّ لـي قطعـة مـن دنيـاك وإلا نابذتك.

وعلى هذه الخطة (المكشوفة) بدأت المعاملة بين الرجلين، وكان حـظ عمرو فيها أكبر من حظّ معاوية، بالقياس إلى ما بذل فيه»[١].

وسوف نستعرض أساليب معاوية الجاهلية التي اضطرّت الإمام الحسن عليه السلام إلى التنازل عن الخلافة.

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يرتضع من أمه الزهراء عليها السلام :

تُشكّل الرضاعة من الأم إحدى أهمّ الضـمانات لحيـاة الإنسـان، ويعتبـر حليب الأم أحد الرّوافد المهمّة في بناء عقل الإنسان، وقدراته النفسـية، وإذا ما استمرت الأم فـي إرضـاع وليـدها حـولين كـاملين، فإنهـا تكسـب الوليـد المناعة الكافية ضد الأمراض العقلية والنفسية والعضوية، وقد تكون المناعة ضدّ الأمراض العقلية والنفسية لها أهمية خاصة.

فليس حليب الأم كما يتصوّر البعض يوفّر للطفل مناعةً ضـد الأمـراض العضوية فحسب، وإنما ضد الأمراض العقليـة والنفسـية التـي أصبحت الآن طافحة في كل المجتمعات، وقد يكتسـب الطفـل قـدرات عاليـة إذا كانـت الأم تكتنز الإيمان والنضوج، لذلك فإن الأنبياء والأوصـياء والأوليـاء كلّهـم ارتضعوا من أمهاتهم، خلا سيد الشهداء الإمام الحسين بن علـي عليه السلام الـذي ارتضع من إبهام جده رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ، وقـد بيـّنا وجـه الحكمـة فـي

[١] معاوية بن أبي سفيان: عباس العقاد، ص٢٩.

كتاب (قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام)، ولكن تبقى العلّة الحقيقية في علم الله عزّ وجلّ، وهناك أسرار كثيرة تكتنف حياة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، وعند استقرائي حياة العظماء، والذين تسلّقوا مدارج الكمال المعنوي وجدت من أهم أسباب رقيّهم إرضاع الأم لولدها، وهي في أرقى حالات العبادة، فعلى سبيل المثال وليس الحصر، فإن والدة الشيخ عباس القمي قدس سره كانت ترضعه وهي على طهر، فقد أفصحت عن نشأة ولدها، وقالت: «كنت أمتنع من إرضاع ولدي الشيخ حينما كنت في الدورة الشهرية».

وبفضل الرعاية والاهتمام نشأ الشيخ عباس القمي قدس سره نشأة عالية، وبلغ مرتبة سامية في التقوى.

وعندما نأتي إلى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام التي هي سيدة نساء أهل الجنة فإنّ الأمر يختلف، فهي:

أولاً: البتول.. إذ لم ترَ الحمرة، ففي الحديث النبوي الشريف: «إنّ بنات الأنبياء لا يطمثن»[(١)]، فقد اتصلت عبادتها وكانت في أرقى درجات السموِّ، وبعد فهي كانت تعيش أجواء الجنة، قال رسول الله محمد صلى الله عليه وآله : «كلّما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة»[(٢)].

فعبادة الزهراء (صلوات الله عليها) تختلف، فهي عندما تكون في أجواء الجنة فإنّ عبادتها تختلف كثيراً عن عبادة الآخرين، إذ تكون بعيدة عن كل

---

(١) مستدرك الوسائل: النوري، ج٢/ص٣٧، باب نوادر ما يتعلق بأبواب الحيض.

(٢) التوحيد: ص١١٧، باب ٨.

شائبة، ولا يمكن أن تخترق عبادتها أيّ شكل من أشكال الدنيا، وهذا ممّا سهّل عليها امتزاج العبادة بحليبها الطّاهر، فكان أحد الروافد المهمة في بناء شخصية سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

ثانياً: فإن عطر الجنة التي جمعتها الزهراء عليها السلام في كيانها كان له الأثر في الإرضاع، لأنّ عبق الجنة يصنع جواً مثالياً مشبّعاً بالاطمئنان والاستقرار، وهذا ما يؤثر في الطفل حيث يزرع فيه الطمأنينة والاستقرار.

وقد أثبت العلم الحديث أهمية استقرار «المرضعة» عند الإرضاع[1]، كما أنه أثبت انتقال الصفات الوراثية للأم عبر الحليب، وتطور الرابطة الروحية والعاطفية بين الأم ووليدها، ويجعل الأم أكثر عطفاً وارتباطاً بطفلها.

جاء في كتاب (مع الطب في القرآن الكريم):

«الإرضاع الأمي يقوي الرابطة الروحية والعاطفية بين الأم ووليدها، ويجعل الأم أكثر عطفاً وارتباطاً بطفلها، وهذه الرابطة هي الضمان الوحيد الذي يحدو بالأم للاعتناء بوليدها بنفسها، فهو ليس مجرد عملية مادية بل هو رابطة مقدّسة بين كائنين، تشعر فيه الأم بسعادة عظمى لأنها أصبحت أماً، تقوم على تربية طفل صغير، ليكون غرساً طيباً في بستان الحياة.

أما بالنسبة إلى الطفل فالإرضاع الثّديي يهبه توازناً عاطفياً ونفسياً، يجعله فرحاً مسروراً، وعندما يضع ثغره على ثدي أمه، يصبح على مقربة من دقّات قلبها.

وهذا النغم الرّقيق، واللحن الحنون، يمنحه السكن والطمأنينة، ومن ثم

(1) الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب.

الخلود إلى الراحة والنوم.

هذه الرّابطة القوية، وما ينجم عنها من تأثير، تكون ضعيفة عندما يوضع الطفل على الإرضاع الصناعي، ويكون الأمر أسوأ من ذلك عندما يقوم على العناية بالطفل غير الأم، كالخادمة، أو المسؤولة في روضة الأطفال، أو أي شخص آخر، لأنّ هذا الوضع يحطّم ما يسمى بالاستمرار أو الاستقرار الذي هو أكثر ما يحتاجه الطفل في سنواته الأولى كي يحقق تطوراً انفعالياً سليماً، و«إنّ العلاقة الحكمية الشخصية الوثيقة بين الطفل وشخص ما ـ ذلك الذي يؤمن له الغذاء والدفء والراحة ـ تبدو هذه العلاقة وكأنها من أولى الضرورات، ومن الطبيعي أن يكون هذا الشخص هو الأم»[1].

ولأهمية الرضاع جاء في الحديث الشريف، قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأسماء بنت أبي بكر: «أرضعيه ولو بماء عينيك»[2].

وجاء في كتاب (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان):

«أودع الله سبحانه وتعالى رحمةً في قلوب الأمهات، إضافةً إلى رحمة الأمهات بأبنائهنّ، التي هي في الحقيقة رحمة الله بهم، فقد جَعَلَ المرأةَ يسيلُ ثدياها حليباً من نوع خاص.

إنّ حليب المرأة كما يقول العلماء: مبهرٌ، ومدهشٌ، تعجز عن تركيبه

---

(1) مع الطب في القرآن الكريم: الدكتور عبد الحميد دياب، ص١٠٢-١٠٣، والدكتور أحمد قرقوز، نقلاً عن كتاب الوجيز في أمراض الأطفال.

(2) مع الطب في القرآن الكريم: ص٩٩، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سوريا.

بخصائصه قوى البشر، ولو اجتمعت، وتعجزُ عن صنعه أضخم المعامل، ولو تظاهرت.

أمّا الشيء الذي يلفت النظر فهو أنّ هذا الطفل الذي خَلَقه الله عزّ وجلّ أودعَ فيه خمائرَ هاضمة بمقادير تتناسب مع حليب الأم، فلو أرضعناه حليب البقر، ولو كان طازجاً، أو كان مجفّفاً لعجز الطفل عن هضمه، وتبقى كمياتٌ كبيرة من الموادّ الدسمةِ، والبروتينات والأحماض الأمينية دونَ هضم، وإنّ طَرْح هذه المواد عن طريق الكلية يُجهدها، لذلك نجد الطفل الذي يرضع حليب البقر تجهد كُليتاه في طرح المواد الدسمة، والأحماض الأمينية، والبروتينات التي لم يستطع هضمها، فخمائر الهضم عنده متوافقة مع حليب الأم، وليست متوافقةً مع حليبِ البقر، ففي حليب البقر أربعة أمثال ما في حليب الأم من الأحماض الأمينية.

قال العلماء: إنّ ارتفاع نسبة الأحماض الأمينية في الدم تسبّب للطفل الرضيع القصور العقلي، والآفات القلبية، والآفات الوعائية، وأمراض جهاز الهضم، والكبد، والأمراض المزمنة التي تلازم الإنسان طوال حياته».

أمّا تركيب حليب الأم فإنه في تبدُّل مستمر، بحسب حاجات الرضيع، ومتطلّباته، وبحسب احتمال أجهزته وأعضائه وهو أكثر ملاءمة، وأكثر تركيزاً، وأكثر احتمالاً، وأقلّ ضرراً، وهو آمن طُرُق التّغذية، من حيث الطّهارة، والتعقيم، إذ يؤخذ من الحَلَمة مباشرة دون التعرّض للتلوّث الجرثومي، وحرارته ثابتة خلال الرضعة الواحدة، ويصعب وجود هذا الشرط في الإرضاع الصناعي، وفوق ذلك فهو لطيف الحرارة في الصيف

دافئ في الشتاء، وهو سهل الهضم، لا تتجاوز فترة هضمه الساعة والنصف، بينما تزيد هضم حليب القوارير على ثلاث ساعات، والطفل الذي يرضع من ثدي أمّه يكتسب مناعةً ضدّ كل الأمراض، لأن في حليب الأم موادّ مضادةً للالتهابات المعوية، والتنفسية، إضافةً إلى أنه حليب اقتصادي، وأقل كلفةً.

إنّ معظم حالات الربو عند الأطفال، وإنتان الأمعاء، وغيرها من الأمراض الشائعة ينجو منها الصغير بالإرضاع الطبيعي، وفي حليب الأم مواد تمنع التصاق الجراثيم بجدار الأمعاء، وفي حليب الأم مواد حامضية لقتل الجراثيم، والإرضاع الطبيعي يقي من أمراض الكوليرا، والزحار، ومن أمراض شلل الأطفال، والكزاز، لأن مناعة الأم كلها في حليبها»[1].

وجاء في كتاب (التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة):

«فوائد ومزايا الرضاعة الطبيعية للطفل:

أولاً - الفوائد الصحية:

١- يحتوي على كميات كافية من الفيتامينات والمعادن والأملاح والمواد الدهنية، وخمائر بما يلائم جسم الطفل ويقيه من الأمراض.

٢- درجة حرارة حليب الأم مناسبة فهو لا يحتاج إلى تسخين أو تبريد وجاهز في جميع الأوقات بأقلّ التكاليف، وهو خال من الجراثيم، ولا يحتاج إلى تعقيم، ولا يتطلّب الأمر سوى غسل ثدي الأم قبل وبعد عملية الإرضاع.

---

[1] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: الدكتور محمد راتب النابلسي، ص١٨١-١٨٢.

٣- الرضاعة من الثدي تُقلّل نسبة حدوث سرطان الثدي عند الأمهات.

٤- الأطفال الذين يرضعون حليب الصدر أقل عرضة للإصابة بأمراض الحساسية كالربو والحكاك التي يسببها البروتين الغريب غير البشري مثل البروتين الموجود في حليب البقر.

ثانياً - الفوائد النفسية والاجتماعية:

١- الإرضاع الطبيعي يعطي الأم الشعور بالراحة والاطمئنان بأنها أدّت واجبها، ولم تحرم ابنها من غذائه الذي خلقه الله له، فالطفل الذي يرضع من ثدي أمه يكون أكثر اطمئناناً وثقةً وسعادةً، ويعود عليه بالفائدة، ويؤثر في سلوكه وتصرفاته، الأمر الذي يُعدّ من العوامل الأساسية في الاستقرار النفسي للطفل والأم على حدٍ سواء.

٢- تعتبر عملية الرضاعة الطبيعية مظهراً من مظاهر السعادة والاستقرار الاجتماعي في الأسرة، كما أن هذه العملية تمنع الحمل حتى الفطام، وبذلك تكون وسيلة ميسورة وطبيعية لتنظيم النسل، وهذا يؤثر فعلاً في نظام الأسرة وانسجامها مع بعضها، ويسود الوئام والوفاق بين الزوجين، ولا يقدم الرجل بعد الإنجاب على هدم عشّ الزوجية في أكثر الأحيان»[1].

اهتمام النبيِّ الأكرم محمّد ﷺ بالإمام الحسن عليه السلام :

اهتمّ النبي الأكرم محمد ﷺ بالإمام أبي محمد الحسن عليه السلام بشكل

[1] التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة: الدكتور عبد السلام عبد الله الجقندي، ص١٣١-١٣٢.

فريد، فكان يسقيه من رحيقه المختوم، ويفرغ من قلبه الكبير الشيء الكثير من العطف والحنان والحب، ممّا أثر تباعاً في سلوكه.

جاء في كتاب (الإمام المجتبى) للمحقّق والمفسّر المصطفوي:

قال مصعب بن عمير: تذاكرنا من أشبه الناس بالنبي صلى الله عليه وآله من أهله، فدخل علينا عبد الله بن الزبير، فقال: «أنا أحدّثكم بأشبه أهله به، وأحبّهم إليه: الحسن بن علي، رأيته صلى الله عليه وآله وهو يصلّي، فإذا سجد ركب الحسن على رقبته، (أو قال: على ظهره)، فما يتركه حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته يجيء وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر، وكان يقول فيه: إنّه ريحانتي من الدنيا، وإنّ ابني هذا سيد (وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين)، وقال: اللهمّ إني أحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه»[1].

وهكذا كان النبي صلى الله عليه وآله يرفع له من أخلاقه علماً، ويكتب على صفحات قلب الإمام أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام آيات العطف والحنان، لذلك تعمّقت في قلب الإمام (صلوات الله عليه وآله) قيم العطف والحنان، فكان الإمام عليه السلام آية من آيات الله في الشّفقة والعطف.

جاء في أخلاق الإمام (صلوات الله عليه):

رُوي عن الحسن عليه السلام أنه كان ماراً في بعض حيطان المدينة، فرأى أسود بيده رغيف يأكل لقمة ويطعم الكلب لقمة إلى أن شاطره الرغيف، فقال له الحسن: ما حملك على أن شاطرته فلم تعاتبه فيه بشيء؟

---

[1] الإمام المجتبى عليه السلام: المحقق المصطفوي، ص٦٢.

فقال: استحت عيناي من عينيه أن أعاتبه.

فقال له: غلام من أنت؟

قال: غلام أبان بن عثمان.

قال: والحائط؟

قال: لأبان.

فقال له الحسن: أقسمت عليك لا برحت حتى أعود إليك.

فمرّ فاشترى الغلام والحائط وجاء إلى الغل٤٣ام، فقال له: قد اشتريتك!

فقام قائماً، فقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي.

ثم قال: قد اشتريت الحائط وأنت حرٌّ لوجه الله والحائط هبة منّي إليك.

فقال الغلام: يا مولاي! قد وهبت الحائط للذي وهبتني له[1].

إنها الرحمة بأرفع صورها، والشفقة بأسمى معانيها.

فإذا كانت الأمم الحاضرة تفتخر في أنها سنّت قوانين لحقوق الحيوان، فإنّ الإسلام سبقها في ذلك، وسطّر صفحات مشرقة.

ومن صور اهتمام النبي الأكرم محمد ﷺ بالإمام أبي محمد الحسن ابن علي عليهما السلام التّعليم والتّرشيد.

فقد بالغ النبي محمد ﷺ بتعليم ولده الزكي المجتبى عليه السلام وترشيد ذهنه في سن مبكرة، إذ كان في الثالثة من عمره الشريف.

تقول الروايات الثابتة: إنّ سيدة نساء العالمين الزهراء عليها السلام كانت ترسل الإمام المجتبى عليه السلام إلى المسجد النبوي وهو لم يبلغ العاشرة، وهي لفتة

[1] الإمام المجتبى عليه السلام: المحقق المصطفوي، ص١٠٠، نقلاً عن تهذيب ابن عساكر: ج٤.

جداً مهمة، فالإنسان في هذه السنّ يتلقّف الصور ويضعها في قلبه، ثم يجترها تباعاً.

وكانت الزهراء عليها السلام تُلبس الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أحسن الثياب، وترسله إلى المسجد النبوي ليستمع إلى جدّه النبي محمد صلى الله عليه وآله، وبعد استماعه كانت تطلب منه سيدة نساء العالمين أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وآله، فكان يحدّثها بما سمع من جده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وكانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بدورها تحدّث سيد الوصيين الإمام علياً عليه السلام، فكان الإمام عليه السلام يُكبر في ولده هذه الخصلة.

وفي أحد الأيّام طلب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يحدّثه ولده الإمام الحسن عليه السلام فلم يجرؤ، عندها توارى الإمام علي عليه السلام ليرى كيف يتحدّث الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، فلم يتكلم، فقالت الزهراء عليها السلام: بنيّ تكلم.

فردّ الإمام الحسن عليه السلام: أمّاه كَلّ لساني وقَلّ بياني لعل سيداً يرعاني.

فخرج الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وضمّه إلى صدره، وقبّل جبينه[1].

إنّ الأجواء المفتوحة تفجّر في الطفل ينابيع الطلاقة والبلاغة، وتزيل عن لسانه التأتأة والتلعثم، وغيرها من معوّقات الكلام، أمّا إذا كان الجو معقّداً ومتأزّماً نفسياً، فإن حالات التلعثم والتاتأة تظهر.

جاء في (مجلة العربي):

«أسباب التأتأة stammering مثل نطق: ت ت ت ت معقّدة: عوامل فيسولوجية عصبية اجتماعية ولغوية.

---

[1] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٣/ص٣٣٨، باب ١٦، مكارم أخلاقه وعمله وعلمه.

ولكن الرأي بأنّ المنشأ بسبب عوامل نفسية يُعدّ من أكثر الآراء قبولاً، من ذلك إفراط الأبوين في تدليل الطفل أو محاباته على إخوته، أو العكس افتقاره إلى عطف الأبوين، والحياة في جو يسوده العقاب الجسدي والإهانة والشقاق، أو لتضارب أساليب التربية، أو للإخفاق المدرسي، كما أن إهمال الآباء للأبناء ومحاولتهم إسكاتهم عند التحدّث أمام الآخرين يؤدّي إلى خلق رواسب نفسية سلبية، تعمل على زعزعة ثقتهم بأنفسهم وقدراتهم على التحدث والنطق بشكل صحيح، ويمكن تبيُّن أثر القلق وانعدام الأمن عند الطفل من الأثر الانفعالي الذي يعانيه عندما يتكلم، فالقلق (التخوُّف من مواجهة المواقف (والأشخاص) يسبّب توتّره، فيتلكّأ في إخراج الكلام بصورة تامة، وبمرور الأيام يتعوّد (اللجلجة) ممّا يزيد شعوره بالنقص وعدم الكفاءة، بيد أنه أحياناً عندما يكون في ظروف نفسية إيجابية أو بمعزل عن الناس.. فإنّه يستطيع التكلم بطلاقة.

وفي معظم الحالات تنشأ «التأتأة» الحقيقية عندما يعاني الطفل من التعثر الطبيعي، أو صعوبة النطق الطبيعي، ثم يقوم الأهل بالضغط عليه لتصحيح كلامه، الأمر الذي يزيد من حساسيته لقصوره وفشله في تصحيحه، ويصبح متوتراً عندما يتكلم، وكلما حاول أن يتحكم في كلامه ازداد الأمر سوءاً بزيادة «التأتأة».

وهكذا يدور الطفل في حلقة مفرغة، ويتضاعف تكرار الكلام بدلاً من نطقه مرة واحدة، وقد تحدث مؤقّتاً في أي مرحلة من العمر إذا أصبح الشخص مرتبكاً خائفاً من طريقة تحدّثه، فتزداد «التأتأة» الحقيقية، وتستمر

إلى سن البلوغ إذا لم يتمّ علاجها[١].

وهكذا بقيّة الظواهر السّلبية مثل العيّ Inarticulateness وهو عجز المتحدث عن النطق بأيّ كلمة بسبب توتّر حادٍ في العضلات الصوتية وجمودها، وهو أيضاً يرجع إلى أسباب نفسية.

والتّلعثم stuttering عدم قدرة المصاب على التعبير عن نفسه بسهولة، بسبب شعور بخجل ورهبة.

وهذه الحالات إنما تظهر عند الطفل بسبب الأجواء الضّاغطة في البيت وخارج البيت.

لقد بات واضحاً أنّ معظم البيوت أصبحت متخمة بوسائل الترفيه (الظاهرية) من البلايستيشن إلى السيدي والتلفزيون ذات الأحجام الكبيرة وغيرها.

وهذه الوسائل الترفيهية التي هي بمثابة «المورفين القاتل» إنما هي وسائل تحطيم القدرة على التفُّهم والتفكير والتكلم والنطق الصحيح والتعاطي السليم، لأنّ الفرد الذي يجلس ويشاهد هذه الوسائل القاتلة، والذي تجذبه ساعات طوالاً، يتحول إلى (متلقٍّ دائم)، فتعدم فيه القدرة على التفكير السليم والنطق السليم.

ومن جانب فإن حالة التلقّي الدائمة تُضيّق عنده أفق التفكير، مما يؤدي بالإنسان إلى عدم القدرة على الاستنتاج الصحيح، وهذه حالة جداً خطيرة حالة الاستنتاج الخاطئ بالذّات إذا كان يخصّ الجانب الأخلاقي

[١] مجلة العربي: العدد ٦٢٤، بحث الدكتور ناصر أحمد سنة ٢٠١٠.

والاجتماعي يخلق جّواً متأزّماً قد يودّي بحياة الكثير، فالبعض ممّن يعدم الاستنتاج السليم يحكم على الإنسان بالقتل لأجل قضيّة تافهة لا تستحق الاعتراض، فقد وقعت حادثة بسبب سوء الاستنتاج كادت أن تجري أنهاراً من الدماء.

إنّ الكثير من الشباب والشابات باتوا الآن يفتقدون صفة «الاستنتاج الجيد»، فيقعون ضحيّةً لهذه الحالة، كل ذلك بسبب التلقّي المستمر والتعاطي الخاطئ مع المسلسلات الغرامية التي باتت تعجّ بها الفضائيات المأجورة.

إنّ الكثير من المسلسلات الغرامية، والتي لفظتها الكثير من الدول، ومنها سنغافورة وماليزيا أضحت تهيمن على عقول الشباب العربي والإسلامي، وتشكّل «شرنقة» محكمة على عقولهم ممّا يمنعهم من أي تفكير سليم.

إنّك إن تسأل أحد هؤلاء عمّا يفكر وكيف ينظر إلى المستقبل يأتي الجواب: «لا أدري»، أو «دعنا الآن»، «المهم أن نقضي يومنا»، وهذه العبارات إنما مستوحاة من الأفلام التي تعرضها الفضائيات بين الفينة والأخرى، وبشكل «منهجي مدروس» يختلف كثيراً عن السابق.

لقد استغلت «الصهيونية» الكثير من الأفلام والمسلسلات وجيّرتها لأهدافها الضيّقة مما جعل بعض الممثّلين يقعون تحت تأثير الإعلام الصهيوني، فيمثّلون الأدوار التي تخدم الصهيونية من حيث لا يشعرون.

إن الأفلام التي تُظهر الفتاة نصف عارية وهي تحتضن الحبيب، ويأتيها

في منامها وهي تتقلب على المخدع بثوب فاضح، وغيرها من المشاهد المتهتّكة التي يندى لها الجبين، تدخل في إطار خدمة الأهداف الصهيونية.

وعلى كل حال، فإنّ معظم شبابنا وشاباتنا باتوا يتلقّون المشاهد بكل أحاسيسهم، ثم يتلهّفون لتمثيلها، وهذه حالة طبيعية كما يقول علماء النفس التربوي.

فالأولاد الصغار الذين يشاهدون المجرم يطلق الرصاص، ويلكم الروّاد في حانات الخمور، تجعلهم يطبقون هذا السلوك الأهوج بكل اندفاع لوجود نزعة التقليد في اجترار هذا السلوك الإجرامي.

لذلك فإنّ الأب والمؤسسات الاجتماعية والثقافية مدعوّان إلى تأسيس منهج حيوي يسدّ الفراغ الذي يعالج هذه الظاهرة، وقد التفتت بعض المؤسسات الإعلامية لهذا الخطر المحدق فطفقت تنتج مسلسلاتٍ وأفلاماً تعالج ظاهرة «التلقّي المشين»، فنجحت أيّما نجاح في تقليص ظاهرة «التلقي المشين»، ومن جانب بعثت الروح في «عقلية المتلقّي» بالذات الشباب، فأخذوا يستفسرون عمّا يحدث، ويستوضحون أسباب الظّواهر التي استأثرت باهتمامهم.

فمثلاً «مسلسل الإمام الرضا عليه السلام» الذي هو قمّة الإبداع الفنّي استأثر باهتمام الشباب، وأخذ مساحة مهمة من عقولهم ممّا حدا بالكثير منهم إلى الاستيضاح والاستفسار عمّا يجري من مكائد ومؤامرات ومناقشات فيما يخصّ السلطة، وولاية العهد.

نعم... لقد كان النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله يكرّم الإمام الحسن عليه السلام،

ويزرع في كيانه القِيم المُثلى:

جاء في (مناقب ابن شهر آشوب) بإسناده عن الإمام محمد بن علي عليهما السلام أنه قال: أذنب رجلٌ ذنباً في حياة رسول الله، فتغيّب حتى وجد الحسن والحسين عليهما السلام في طريق خالٍ، فأخذهما فاحتملهما على عاتقيه، وأتى بهما النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا رسول الله، إني مستجير بالله وبهما.

فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله حتى ردَّ يده إلى فمه، ثم قال للرجل: اذهب وأنت طليق.

وقال للحسن والحسين: قد شفّعتكما فيه أيْ فتيان.

فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1].

إنّ هذه الواقعة لَتدلّ على التكريم السّامي للإمام الحسن عليه السلام من قبل رسول الله محمد صلى الله عليه وآله.

وكما هو ثابت في علم النفس التربوي فإنّ تكريم الإنسان في سنيّه الأولى يعمّق فيه خصال الطيْب وقيم الفضيلة، ومن جانب يجعله يميل إلى تمثيلها بشكل جاد.

جاء في كتاب (حديث إلى الأمهات):

«إنّ التجربة الأساسية للتربية السليمة هي حب الأبوين للابن، ومقدار التفاني الذي يبذله كلٌّ منهما من أجله، ورغبة كلّ منهما العميقة في نجاحه، والاغتباط الكبير بمميّزاته الحسنة وليست السيئة طبعاً، إن دفء حب

[1] النساء: ٦٤.

الأبوين هو الذي يغرس في الطفل حبه للآخرين وحب الآخرين له، إن الطفل الذي يعامل الآخرين معاملة رقيقة، يفعل ذلك لأنه تعلّم أن يحبّ الآخرين من والديه، ويحب أن يكون محبوباً من الآخرين، ولهذا فإنه يسلك السلوك المهذّب، ويعرف مدى إحساس الآخرين بالترحيب به والارتياح له عندما يمنحهم حبه، ويستمتع أيضاً بحبهم»[١].

إنّ ما يأخذه الإنسان في الصغر يعكسه في الكبر سواء كان طيّباً أم سيّئاً، وهذا السلوك ـ أو قلْ القانون ـ أصبح من البديهيات.

لذلك فإنّ النبي الأكرم محمداً صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام أعطوا مساحة مهمّة لهذه المرحلة، فوضعوا المناهج التربوية العالية التي تضبط سلوك الإنسان.

فقد كان النبي صلى الله عليه وآله يبالغ في إكرام «الصبي» حتى قال: «خمس لا أدعهنّ حتى الممات: الأكل على الحضيض مع العبد، وركوبي الحمار مؤكفاً، وحلبي العنز بيدي، ولبسي الصوف، والتسليم على الصبيان، لتكون سنّةً من بعدي»[٢].

لقد زرع النبي صلى الله عليه وآله في كيان الإمام الحسن عليه السلام منذ السنين الأولى أهم الصفات ممّا خلق دافعاً قوياً في كيان الإمام ليتسلّق سلّم الكمال وبزمن قياسي.

ومن الصور العالية: جاء في كتاب (بحار الأنوار) للعلامة المجلسي عن

---

[١] حديث إلى الأمهات: الدكتور سبوك، ص٥١٥، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

[٢] مستدرك الوسائل: النوري، ج٨/ص٢٧١، باب استحباب ركوب الحمار.

حذيفة بن اليمان:

«بينما كان رسول الله ﷺ وجماعة من أصحابه إذ أقبل إليه الإمام الحسن عليه السلام، فأخذ النبي ﷺ في مدحه، فما قطع رسول الله ﷺ كلامه حتى أقبل إلينا أعرابي يجرّ هراوة له، فلما نظر رسول الله ﷺ، قال: قد جاءكم رجل يكلّمكم بكلام غليظ تقشعرّ منه جلودكم، وإنه يسألكم عن أمور، وإن لكلامه جفوةً.

فجاء الإعرابي، فلم يسلّم، وقال: أيّكم محمد؟

قلنا: ما تريد؟

قال رسول الله ﷺ: مهلاً.

فقال: يا محمد، لقد كنت أبغضك ولم أرك، والآن فقد ازددت لك بغضاً.

فتبسّم رسول الله ﷺ وغضبنا لذلك، وأردنا بالأعرابي إرادة، فأومأ إلينا رسول الله ﷺ أن اسكتوا.

فقال الأعرابي: يا محمد، إنّك تزعم أنّك نبيٌّ، وإنك قد كذبت على الأنبياء، وما معك من برهانك شيء.

فقال له ﷺ: وما يدريك؟

قال: فخبّرني ببرهانك.

قال ﷺ: إن أحببت أخبَرك عضوٌ من أعضائي فيكون ذلك أوكد لبرهاني.

قال: أو يتكلم العضو؟!

قال صلى الله عليه وآله: نعم، يا حسن قم.

فازدرى الأعرابي نفسه، وقال: هو ما يأتي، ويقيم صبياً ليكلمني؟

قال صلى الله عليه وآله : إنك ستجده عالماً بما تريد.

فابتدره الحسن عليه السلام ، وقال: مهلاً يا أعرابي..

مـا غبيّـاً سـألتَ وابـنَ غبـيٍّ بـل فقيهـاً إذاً وأنـت الجهـولُ
فإنْ تَـكُ قـد جهلـتَ فـإنّ عنـدي شـفاءَ الجهـل مـا سـأل السّـؤولُ
وبحـراً لا تُقسِّـمه الـدّوالي تُراثـاً كـانَ أوْرَثـهُ الرَّسـولُ

لقد بسطت لسانك، وعدوت طورك، وخادعت نفسك، غير أنك لا تبرح حتى تؤمن إن شاء الله.

فتبسّم الأعرابي، وقال: هيه.

فقال له الإمام الحسن عليه السلام : نعم، اجتمعتم في نادي قومك، وتذاكرتم ما جرى بينكم، على جهل وخرق منكم، فزعمتم أنّ محمداً صنبور (أي لا خلف له)، والعرب قاطبة تبغضه، ولا طالب له بثأره، وزعمت أنك قاتله، وكان في قومك مؤنته، فحملت نفسك على ذلك، وقد أخذت قناتك بيدك تؤمّه تريد قتله، فعسر عليك مسلكك، وعمي عليك بصرك، وأبيت إلا ذلك، فأتيتنا خوفاً من أن يشتهر، وإنك إنما جئت بخير يراد بك، أنبئك عن سفرك: خرجت في ليلة ضحياء إذ عصفت ريح شديدة، اشتدّ منها ظلماؤها، وأطلّت سماؤها، وأعصر سحابها، فبقيت مُحْرَنْجماً كالأشقر، إن تقدّم نُحِر، وإن تأخّر عُقر، لا تسمع لواطئ حسّاً، ولا لنافخ نارٍ جرساً، تراكمت عليك غيومها، وتوارت عنك نجومها، فلا تهتدي بنجم طالع، ولا بعلم لامع، تقطع

محجّةٍ، وتهبط لجّة، في ديمومة قفر، بعيدة القعر، مجحفة بالسّفر، إذا علوت مصعداً ازددت بعداً، الريح تخطفك، والشوك تخبطك، في ريح عاصف، وبرق خاطف، قد أوحشتك آكامها، وقطعتك سلامها، فأبصرت فإذا أنت عندنا فقرّت عينك، وظهر رينك، وذهب أنينك.

قال الأعرابي متعجّباً: من أين قلت يا غلام هذا؟! كأنّك كشفت عن سويداء قلبي، ولقد كنت كأنك شاهدتني، وما خفي عليك شيء من أمري، وكأنه علم الغيب.

ثم قال الأعرابي للإمام الحسن عليه السلام: ما الإسلام؟

فأجاب الإمام الحسن عليه السلام: الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله.

فأسلم الأعرابي، وحسن إسلامه، وعلّمه رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً من القرآن، فقال: يا رسول الله، أرجع إلى قومي فأعرّفهم ذلك؟

فأذن له صلى الله عليه وآله، فانصرف إلى قومه، ثم رجع ومعه جماعة من قومه، فدخلوا الإسلام، وكان الناس إذا نظروا إلى الإمام الحسن عليه السلام قالوا: لقد أعطي ما لم يُعْطَ أحدٌ من الناس»[1].

هكذا هو الإمام الحسن عليه السلام يفرغ عن لسان جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا غرابة في ذلك، وقد تفيّأ ظلال سيّد الكائنات عليه السلام، وقد أكّد علماء النفس التربوي أنّ الاقتراب من شخصية كبيرة يفجّر في المتقرِّب ينابيع المنطق والعلم والقدرة، ويزيح عن نفسه أغطية كثيرة فيظهر الإلهام، ثم إنّ هذه

---

[1] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٣/ص٣٣٣، حياة الإمام الحسن عليه السلام.

الواقعة تدلّل:

١- على أسلوب النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله السّليم في تثبيت أسس الشخصية القويمة في الإنسان، وتعميق خصال الكرامة والإقدام.

٢- وعلى كشف قدرات الإنسان في انتهاج السلوك الأمثل في تعامله مع الآخرين.

٣- مراعاة النبي صلى الله عليه وآله لقدرة الإنسان العقلية، التي تنمو مبكراً وسريعة، خصوصاً إذا كان الإنسان يعيش وسطاً اجتماعياً عالياً ومتكاملاً في قدراته العقلية.

جاء في كتاب (علم النفس التربوي) لفاضل عاقل:

«إنّ نمو القدرة العقلية سريع جداً خلال الطفولة الباكرة والسنين الوسيطة، ثم يتباطأ تدريجياً خلال السنين المتأخّرة من المراهقة، لكننا نستطيع القول منذ الآن إن الطفل يصل نصف قدراته العقلية الذكائية في نهاية الثالثة من عمره، وإنّ هذا النمو يستمر متباطئاً فيما بعد إلى وقت يتراوح بين العشرين والثلاثين»[1].

وقد أشار إمامنا أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا الاكتشاف العملاق قبل أكثر من ١٤٠٠ سنة حينما قال: «ويستكمل عقله في ثمانٍ وعشرين سنة فما كان بعد ذلك فإنما هو بالتجارب»[2].

ولكن ممّا يؤسف له أنّ هذه القدرات العملاقة تُقبر عند الإنسان،

---

[1] علم النفس التربوي: فاضل عاقل، ص ١٠٠.

[2] مستدرك الوسائل: الشيخ النوري، ج٢/ص٦٢٥.

ويُضرب عليها طوقٌ حديديٌ، بحيث لا يمكن أن تعبر عن نفسها ولو بمشروع بسيط، بالذات في بلداننا العربية، والكثير من البلدان الإسلامية، بسبب إهمال الدولة وقصورها في توفير محفّزات لشحذ القدرات.

لقد بات واضحاً أنّ الكثير من الآباء يستعملون أولادهم في مجالات ضحلة تقتُل فيهم مقوّمات النهوض العلمي، كل ذلك حتى يدرّ عليهم الابن بعض «الدنانير»، وعلى حساب قدراته العملاقة.

وهكذا فإنّ الكثير من الآباء أخذ يزهّد ولده في المدرسة، وفي طلب العلم يزرع أمامه المعوّقات والعقبات لئلا يفكر في المدرسة، فينصرف «الابن» إلى أعمال بعيدة كل البعد عن إثراء عقله.

إنّ بعض الآباء يرتكبون بهذه الخطوة خطأً فادحاً لأنه يعطّل طاقاته ويجعله فرداً عاطلاً يعيش في دائرة ضيّقة، صحيح أنّه يدرّ على العائلة «دنانير معدودة»، ولكن الأب حرمه من فرص مهمة وضيّق عليه الآفاق والفرص التي لو استغلّت لكانت تدرّ فكراً وثقافةً وأموالاً، ليس فقط على العائلة وإنما على المجتمع.

إنّ بعض الآباء تستبدّ به الأنانية، فهو يريد من الأولاد جسراً لمصالحه ومنافعه، بغضّ النّظر عن جسامة النتائج المترتّبة على هذا العمل..

قال تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ: «يا علي، لعن الله والدين أعانا ولدهما على

---

[1] النساء: ١١.

عقوقهما»[1].

ومن ناحية الحكومات فهي لا تملك تصوّراً أو خطّة لاستثمار العقول وإثرائها بقيم تجعل عقول أبنائنا طاقة عملاقة تخدم البلد، فكل ما تملك الدولة من تصوّر يكمن في كيفية ترتيب البعثات إلى الخارج، فهي تعوُّل كثيراً على هذا المشروع الذي هو سلاح ذو حدّين.

فالكثير من الطلاب الذين يذهبون إلى الخارج لا يعودون، وإن عادوا فإنهم لا يعملون بكامل طاقاتهم بسبب شحّة المؤسسات العلمية في استيعاب الطّاقات لأنها تعمل وفق المعلومات التي تحملها، والشيء الخطير في «البعثات» أنّ الدول الأجنبية لا تقوم بتوفير ما يخدم المجتمع في الصميم، أو بعبارة أوضح فإنّها لا تعطي العلوم التي تطوّر البلد، وإنما تقدّم «الفتات» الذي لا يغني ولا يسمن من جوع.

سألتُ أحد الدكاترة الذي ينوي الحصول على الاختصاص من دولة أجنبية عمّا إذا كان بإمكانه أن يختصّ في طب الجراحة.

قال الدكتور: هو ممنوع علينا، فإن الدولة لا تسمح لنا إلا في مجالات محدودة، مثل جراحة العين، وطب الأطفال، والداخلية.

ومن جانبٍ لا زالت هناك ظواهر مشينة عالقة في سلوك مجتمعاتنا ألا وهي الوقوف بحزم أمام أيّ محاولة إبداعية، فالشاعر والكاتب والروائي والخطيب والقصصي والمسرحي وغيرهم ممّن يخدمون المجتمع يعانون العنت، والمؤسف في الأمر أنّ هؤلاء يعانون الأمرّين ممّن لهم باع.

---

[1] وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج٢١/ص٣٨٩، باب استحباب تسمية الولد باسم حسن.

لقد ذكرت في كتابي (قبس من نور الإسلام): أنّ أحد الشعراء ألّف قصيدة، وكان في مستهلّ عمره، فجاء بها إلى أحد الشعراء المخضرمين حتى يقيّمها، فقال الشّاعر المخضرم: «هذا بعر وليس بشعر».

يقول الشاعر (وهو الآن من الشعراء المجيدين): إنّ هذه العبارة أوقفتني عن الشعر لمدة خمسٍ وعشرين سنة.

فقلت في نفسي: إذا كان هذا السلوك يصدر من شخصية معروفة ولها باع، فلا عتب على الآخرين.

ثم إنّ العجب يستبدّ بي: كيف أنّ رحم الأمة ينجب عمالقة والكثير من أفرادها يقفون أمام المبدعين.

إنّ من المفارقات العجيبة والتي تسترعي الانتباه أننا نرى بعض المجتمعات تهزّ الدنيا وتملؤها صدى إذا برز منها كاتب أو شاعر أو مسرحي قد لا يرقى إلى مستوى كفاءاتنا ورجالنا.

وفي مجتمعاتنا العربية والإسلامية التي تمتلئ بالكفاءات العملاقة لا نعير لها اهتماماً، بل نقف أمامها كما ذكرت، ونحاول أن نصنع حواجزَ كؤُودةً.

إنّ ظاهرة «الاشمئزاز من الكفاءات» بدت طاغية بسبب الجهل المطبق، وقلّة المعرفة والعلم.

جاء في كتاب (قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة) للشيخ محمد الغزالي:

«إنّ حاجة العالم إلى الإسلام مُلحّة، بيد أنّ ناساً من ذوي الجهالة

والجراءة لا يعلمون ويكرهون من يعلم، لا يعملون ويكرهون من يعمل، وقفوا في هذا العصر سدّاً أمام تيار الإسلام، يعكرون صفوه، ويمنعون وِرْدَه! ويصدّون الأمم عنه، هؤلاء الأصدقاء الجهلة أخطر على دين الله من الأعداء الحاقدين، والغريب أنّ صوتهم بعيد المدى كأنّ هناك شياطينَ خفيّةً تمدّه بالقوة، هل هؤلاء الشياطين هم أعوان المستعمرين؟»[١].

ومن الصور الرائعة:

جاء في كتاب (الإمام الحسن عليه السلام القائد والتاريخ) للمؤلف فؤاد الأحمد:

«كانت الزهراء عليها السلام تأخذ الحسنين عليهما السلام إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فيأتيانه وهما في شوق شديد إليه، فيتسابقان في الوصول إليه، فإذا وصلا إليه ضمّهما وأجلسهما في حجره، فيجلس الإمام الحسن عليه السلام على فخذه الأيمن، والإمام الحسين عليه السلام على فخذه الأيسر، فيشعران بالأمان والحنان والعطف، بل إنه في بعض الليالي التي كانت تأتي بهما الزهراء عليها السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يمكثان طويلاً، فتضطر فاطمة عليها السلام إلى العودة إلى البيت وحدها، ويبقى الحسنان مع جدّهما رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيتوسّدان اليدين الكريمتين لرسول الله صلى الله عليه وآله وينامان إلى جنبه صلى الله عليه وآله »[٢].

لقد كان اهتمام النبي صلى الله عليه وآله بالإمامين الهمامين عالياً، فترك أثراً بالغاً في الكيان المبارك لكلٍ منهما، فأشرقت قيم الأخلاق المحمدية بأرفع صورها

---

[١] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة: الشيخ محمد الغزالي المصري، ص٣١.

[٢] الإمام الحسن عليه السلام القائد والتاريخ: فؤاد الأحمد، ص١٢-١٣.

في كيان الإمام الحسن عليه السلام ممّا جعلته يسمو في أخلاقه، ويتربّع عرش الفضيلة، الأمر الذي أدّى بكبار الصحابة إلى إجلالهما، ومنهم عبد الله بن عباس.

جاء في (مناقب ابن شهر آشوب):

«عن مدرك بن أبي زياد: قلت لابن عباس، وقد أمسك للحسن والحسين عليهما السلام بالرّكاب، وسوّى عليهما: أنت أسنّ منهما تمسك لهما بالركاب؟!!

فقال: يا لكع (الأحمق) وما تدري من هذان؟ هذان ابنا رسول، أوليس ممّا أنعم الله به عليّ أن أمسك لهما وأسوي عليهما؟»[1].

وجاء في (علم النفس التربوي):

«إنّ التوجيه الفذّ من قِبَل الكبار يترك أثراً كبيراً في نفوس من يحملون معدناً طيّباً، ليتحوّلوا إلى كبار في زمن قياسي».

إن طيَّ صفحة الطفولة، أو بعبارة أدق مرحلة الطفولة يعتمد بشكل أساسي على معطيات التوجيه الفذّ، بالذات في محيط الأسرة، وتوجيهات الأب والأم داخل الأسرة، فالبيت هو المطبخ الأساسي إن صحّ التعبير (لفخر شخصية الإنسان)، بحيث يكسبه القدرة على التّفاعل في المحيط الاجتماعي الذي يوجد فيه.

جاء في كتاب (المرجع في علم النفس) لسعد جلال:

«تبدأ عمليات التّنشئة الاجتماعية والتّطبيع الاجتماعي للطفل في محيط

---

[1] مناقب ابن شهر آشوب: ج٣/ص٤٠٠.

الأسرة، وبواسطة هذه العمليات يتحوّل الوليد البشري من كائن بيولوجي إلى فرد اجتماعي له شخصيته الاجتماعية التي تكسبه القدرة على التّفاعل في المحيط الاجتماعي الذي يوجد فيه، وتساعد أيضاً على التّوافق والتكيّف مع هذا المحيط وظروفه ومطالبه، وتعتبر التنشئة الاجتماعية من أهم وظائف الأسرة تجاه أطفالها، فالأسرة تساعد أطفالها على اكتساب لغة وقيم ومعتقدات وعادات وتقاليد مجتمعهم»[1].

لقد ذكرت مراراً في مجالسي وكتبي أهمية البيت، ودوره البنّاء في صياغة الإنسان، وضمان مسيرته، ولكن ممّا يحزّ في النفس أننا نرى إهمالاً واسعاً لهذه المحطّة الإستراتيجية.

فبعض الآباء يعتبر البيت محلاً لتخزين المواد الغذائية، فهو يتزوّد من البيت الطعام لا غير.

والبعض يجعله «فندقاً» يستريح فيه عند التعب، وبالذّات الآن، لأن الكثير من الآباء يقضون السّاعات الطوال في العمل، فيأخذ منهم التعب مأخذاً عظيماً، ولكن المشكلة التي برزت مؤخّراً تكمن في جعل البيت مفرغاً لمشاكل العمل وتصفية حسابات، فتحوّل البيت إلى كتلة من نار، فما إن يحتدّ الأب مع عماله أو مع شركائه، ولا يستطيع مجابهتهم لأسباب عديدة، ينتظر اللحظة التي يرجع فيها إلى البيت، ليفرغ فيه ما أغضبه، لأنّ البيت بالنسبة إليه هو أفضل مكان، وهكذا يتحوّل البيت إلى جحيم لا يُطاق.

---

[1] المرجع في علم النفس: سعد جلال، ص ١٤٠-١٤١.

لقد بات الكثير من الأولاد ينفرون من بيوتهم وينفضّون من حول الآباء، ويُيَمّمون وجوههم شطر الكازينوهات، والكباريهات، والسينماءات، وغيرها من بؤر الفساد، كل ذلك بسبب الأجواء الملتهبة داخل البيت، وعندما يقعون في الخطأ القاتل نضع كامل اللوم عليهم.

نعود ونقول: إنّ ثلاثة أرباع المسؤولية تقع على الأب، وإنّ من الأخطاء الفاحشة والتي تُعدّ خرقاً لقوانين الأسرة تكمن في تحويل البيت إلى مفرغة مفتوحة، أو (بوفيه) مفتوحة للأب، فيفرغ الأب غضبه كيفما يشاء، ومتى ما شاء، ثمّ إن البيت ـ كما يقول علماء النفس التربوي ـ «نقطة الانطلاق الأساسية في حياة الإنسان»، فإذا تحوّل إلى مفرغة أو بوفيه فقد موقعه، وبالتالي يفقد الإنسان نقطة الانطلاق الأساسية، وبفقدانها تتلاشى البوصلة الحقيقية التي بواسطتها نضبط مسار البيت نحو برّ الأمان.

إننا الآن أمام خطر حقيقي داهم يفوق كثيراً خطر المواخير، والكازينوهات وغيرها من بؤر الفساد.

إنّ الخطر كل الخطر في تراجع البيت عن موقعه الأساسي في حياة الإنسان، وبتراجعه تظهر آثارٌ مقيتة، تتمثّل في استلاب الشخصية، وسيطرة الأجواء الفاسدة.

ومن صور التكريم:

عن زر بن حبيش، قال: كان رسول الله ﷺ ذات يوم يصلّي، فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام وهما غلامان، فجعلا يتوثّبان على ظهره إذا سجد، فأقبل الناس عليهما ينحّونهما عن ذلك.

قال صلى الله عليه وآله : «دعوهما بأبي وأمي، من أحبّني فليحبّ هذين»[١].

إنّ الحب الكبير الذي امتلأ به قلب الرسول صلى الله عليه وآله للإمامين الهمامين عليهما السلام له معانٍ عظيمة، أولى المعاني سموُّ مكانتهما عند الله عزّ وجلّ.

فالنبي صلى الله عليه وآله لا يحب الإنسان بهذا الحجم «دعوهما بأبي وأمي»، إلا إذا كان هناك واقع كبير ينطوي عليه الإنسان.

ومن الدلالات للحبّ النبوي استشرافه للحوادث المؤلمة التي تلمّ بالإمامين الهمامين (صلوات الله عليهما)، لذا فإنّ النبي صلى الله عليه وآله أراد أن يقول للأمة الإسلامية التي ظلمت الإمامين عليهما السلام: «إنّ حبي الكبير «دعوهما بأبي وأمي» علّه يكون حاجزاً أمام من يجرؤ على إيذائهما، والتعدّي عليهما.

ولكن مع هذا الحب الكبير للإمامين عليهما السلام فإنّ الأمة تجاوزت كلَّ الحدود في إيذائهما، والانتقاص من حقهما.

حتى قال بعض العلماء: «لو أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد أوصى وأمر بإيذائهما، لما زادوا على ما عملوا بالأئمة من آل البيت عليهم السلام ».

إنّ ما تعرّض له أئمة أهل البيت عليهم السلام من إيذاء وتجاوز لم يسبق له مثيل في تاريخ الأمم، وقد تنبّأ رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، إذ قال: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت»[٢].

ومن عادة الأمم الراقية أنها تحترم شخصياتها، وتقدّر جهودها، وبهذا

---

[١] سنن البيهقي الكبرى: ج٢/ص٢٦٣، ومسند الطيالسي: ج١/ص٣٢٧، مسند ابن أبي شيبة: ج١/ص١/ ص٢٦٥، وسنن النسائي الكبرى: ج٥/ص٥٠.

[٢] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٩/ص٥٥.

الاحترام والتقدير فإنها تستلهم قيمها المثلى، وتنسج من مفاهيمها أطراً لحياة أفضل.

وهذا قانونٌ حياتيٌّ مضطردٌ عند الأمم المتقدّمة والمتحضّرة، ولكن يبدو أن الأمة العربية والإسلامية تسير على عكس الأمم، فهي تحاول طمس آثار شخصياتها، ومحوَ معالمها، كل ذلك لهزال الواقع الذي تعيشه الأمم العربية والإسلامية، ومن جانب فإنها تخلق ذرائعَ عدّة، يبدو الهزال عليها تماماً.

ومن هذه الذرائع أنّ هذه الشخصيات مضى عليها دهرٌ، فهي لم تعد تغني وتثري حياة الأمم الحاضرة، وهذا «عذر أقبح من ذنب»، ومتى كانت الشخصيات المثالية «تَبلى وتَخلق»، وبالذّات الشخصيات الإسلامية مثل الإمام أمير المؤمنين، والإمام الحسن، والإمام الحسين، والأئمة الباقين عليهم السلام، والعلماء كجابر بن حيان الكوفي، والبيروني، والرازي، وابن سينا، والخليل ابن أحمد الفراهيدي، والحسن بن الهيثم، وغيرهم من الأفذاذ، الذين أثروا حياة الأمم.

إنّ وجود مثل هذه الشخصيات يُعدّ جزءاً من قوانين الحياة وسننها الثّابتة، وهؤلاء الأفذاذ إنما وضعوا الأساس لحضارة اليوم، كما يقول «غوستاف لوبون» في كتابه القيّم (حضارة العرب).

حيث يقول: «لولا هؤلاء العلماء لما كان هناك علم وحضارة».

فحبّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله للإمامين عليهما السلام إنما يترجم النّظرة الثّاقبة لقابل الأيام، وللحوادث المرّة التي تلمّ بالإمامين عليهما السلام، ثم لصنع حاجز أمام محاولات الجبناء للنيل منهم.

ومن الدلالات العظيمة، على أنّ حب الكبير لأبنائه يزرع فيهم الهمّة لامتثال أرفع الصفات.

جاء في كتاب (وحدة التنمية والشعور الديني عند الأطفال):

«وينصح الغزالي ـ ويقصد الشيخ (أبو حامد الغزالي) ـ بأن يُربَّى الطفل تربية دينية عملية منذ صغره، فيفهم كيفية الوضوء ويتعلّم الصلاة، ويُؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان حينما يستطيع الصيام، ويشجّع على التصدّق على المحتاجين، حتى يعتاد الصلاة والصوم والتصدّق، فيستمر عليها وهو كبير، كما ينصح أبويه وإخوته ومعلّميه بأن يكونوا قدوةً طيّبة له»[1].

وقد وجد الإمام أبو محمد الزكي عليه السلام الحبّ الكبير في قلب جده رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ يغرف منه.

حتى امتلأ قلب الإمام عليه السلام فامتزج بدمه ولحمه ممّا أثّر في أخلاقه، فصار عظيماً في أخلاقه وفضائله.

يقول واصل بن عطاء: «كان الحسن بن علي عليه السلام عليه سيماء وبهاء الملوك».

إنّ دور الأب كبير في استواء أولاده، لذا يصح القول: «قل لي من أبوك أقل لك من أنت».

من هنا فإنّ الإسلام أكّد على دور الأب في استقامة الأبناء واستوائهم، ومنحه دوراً ريادياً في قيادة البيت.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ

---

[1] وحدة التنمية عند الأطفال: عواطف إبراهيم محمد، ص٢٨.

عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾[(١)].

ومعنى «قوّامون» قائمون على إدارة البيت الزوجي بما فيها تربية الأولاد، وهي مهمّة تقع أولاً على عاتق الآباء؛ لأنّ الأب يملك القدرة الكافية في إدارة البيت.

وإذا كان الإسلام قد منح الرجل القوامة فلأنه قادر على القيام بمشاقّ الأمور بسبب ما أودعه الله سبحانه فيه من قوة جسمية وتحكيم العقل وعدم الانقياد للعواطف، وقدرته ومسؤوليته عن الإنفاق ورعاية الأسرة كلّها، وهذا يعني أنّ حق اتخاذ القرار النهائي Decision making يكون للرجل، ولكن هذا القرار لا يصدر عن تسلّط، ولكن عن شورى[(٢)].

ولكنّ هناك رأياً قرأته للدكتورة الأستاذة سعاد إبراهيم صالح، فهي تقول: «ومن حقّ الأبناء على والديهم أن يحسنا تربيتهم، والحق في التربية واجب على الأم والأب معاً، ففي السنوات الأولى من حياة الطفل يكون واجباً على الأم، ثم ينتقل هذا الواجب إلى الأب بعد ذلك، وتتضمن التربية إعداد الطفل بدنياً وعقلياً وروحياً واجتماعياً، حتى يصبح مواطناً صالحاً لنفسه ولوطنه، ويجب أن تقوم التربية على مبادئ الإسلام وأصوله»[(٣)].

١- لا أعرف من أين استقت الدكتورة إبراهيم صالح رأيها في أن التربية واجب على الأم والأب معاً، وفي السنوات الأولى من حياة الطفل

---

(١) النساء: ٣٤

(٢) بناء المجتمع الإسلامي ونظمه: الدكتور نبيل السمالوطي، ص٨٥.

(٣) علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة: الدكتورة سعاد إبراهيم صالح، ط بيروت، ص٥٦.

تكون واجباً على الأم، ثم ينتقل هذا الواجب إلى الأب بعد ذلك.

وكما هو ثابت في علم التربية والنفس الاجتماعي، فإنّ مهمة التربية في السنوات الأولى من حياة الطفل تقع على عاتق الأب، وبإمكان الأم أن تشارك الأب في ذلك، فالتربية مسؤولية مشتركة يتقاسمها الأب والأم.

٢- إنّ الأحاديث الشريفة تؤكّد على دور الأب، ففي الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله: «حقّ الولد على الوالد ثلاث: أن يحسن اسمه، ويحسن تربيته، وأن يزوّجه إذا بلغ»[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «لأن يؤدّب الرجل ولده خير له من أن يتصدّق كل يوم بنصف صاع»[٢].

وقال الإمام زين العابدين عليه السلام في (رسالة الحقوق): «وإنّك مسؤول عما وليته من حسن الأدب»[٣].

٣- إنّ الهيبة التي يملكها الأب لها دور كبير في ضبط البيت، وهي منحة من الله عزّ وجلّ، وتزداد كلما استقام الأب، واستوعب دوره البنّاء، وممّا يزيد الهيبة ألقاً إذا علم الأب دور البناء في ترشيد البيت.

٤- إنّ هناك فروقاً بيولوجية بين المرأة والرجل، وميزات تمنح الأب إدارة تفوق المرأة في ضبط السلوك عند الأبناء.

جاء في (كتاب موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة): «أنقل

[١] تفسير القرطبي: ج١٨/ص١٩٥.

[٢] مستدرك الوسائل: النوري، ج١٥/ص١٦٦، باب استحباب تعليم الصبي الكتابة.

[٣] تحف العقول: الحراني، ص٢٦٣، وأما حق الرحم.

لكم رأي بعض العلماء في الفرق الدقيق المادي والجسمي بين المرأة والرجل، يقول أحد العلماء الأطباء بعد دراسة طويلة أثبتها في كتب معتمدة: «إنّ قامة المرأة في جميع الأجناس أقصر من قامة الرجل، بل إن معدّل الفرق عند تمام النمو عشرة سنتيمترات، وكذلك الوزن، فهيكل المرأة العظمي أخفّ من هيكل الرجل العظمي، وتركيب هيكلها يجعلها أقلّ قدرةً على الحركة والانتقال، وعضلاتها أضعف من عضلات الرجل بمقدار الثُّلث، لكنها تفضله بنسيجها الخلويّ الذي يحتوي على كثير من الأوعية الدموية، والأعصاب الحسّاسة، ونسيجها الخلوي يسمح لها باختزان طبقة دهنية، وبفضل هذه الطبقة الدهنية تكون استدارة الشكل، إنّ مُخّ الرجل يزيد على مُخّ المرأة بمئة غرام، ونسبة مخ الرجل إلى جسمه واحد من أربعين، وأمّا نسبة مخ المرأة إلى جسمها فهي واحد من أربعة وأربعين، مُخّها أقل ثنياتٍ، وتلافيفها أقل نظاماً، أما القسم السنجابي (القسم الإدراكي في المخ) فهو أقل مساحةً، لكن مراكز الإحساس والإثارة والتهيّج أشدّ فاعلية بكثير من مراكز الرجل وصدر المرأة، ورئتاها أقل سعةً من صدر الرجل ورئتيه، لكنّ تنفّسها أسرع من تنفّسه، وقلبها أصغر من قلبه، لكن نبْضها أسرع من نبْضه.

هذه الفروق الدّقيقة من حيث القلب، والتنفس، ومراكز الإحساس، والدماغ، ومن حيث الهيكل العظمي، ومن حيث القامة، ومن حيث الوزن، تبيّن أنّ هناك خلقاً محكماً من لدن حكيم عليم»[1].

---

[1] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: الدكتور أحمد راتب النابلسي، ص٥٣-٥٤.

إنّ هذه الفروق البيولوجية تجعل المرأة أقلّ قدرةً من الرجل في الهيمنة على البيت، وبالتّالي فإنّ الأم في كثير من الأحايين تلجأ إلى الأب في فضّ المشاكل التي تطفح داخل البيت.

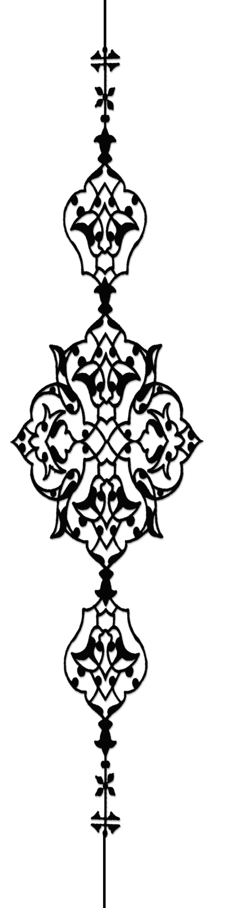
والفروق البيولوجية بين الرجل والمرأة لا تعني ضعف المرأة؛ فهي كبيرة وخلقت من نفس طينة آدم عليه السلام، وفوق كل ذلك فهي تحمل عاطفة أكثر من الرجل وهذه الميّزة لها دور بناء في استواء شخصية الإنسان فهي تساهم في ترميم الجانب العاطفي للأولاد، وسدّ الثّغرات داخل البيت، وهي مهمة ليست بالسهلة، وبعض الأحيان تشتدّ عندما تتأزّم العلاقات بين الأولاد، وخاصة بين الذكور والإناث.

إنّ بعض الأولاد ينظر بغضب إلى «الطفل المدلّل»، فيحاول الانتقاص من شخصيته، ورميه باتهامات علّها تزيحه عن موقعه المتميّز.

وقد تُعاني الأم من هذه الظّاهرة أكثر من الأب لأنّ ما يعانيه الطفل المدلّل يضعه عند أعتاب أمه، وعلى كل حال فإن مسؤولية إدارة البيت الأساسية تقع على الأب أولاً، فهو صاحب القرار وصاحب السيادة المقيّدة بأصول القيم الإسلامية، وعليه أن يراعي دور الأم، فهي المستشارة كما ورد في الحديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ولها قدمها في الحمل، والرضاعة، والحضانة.

إنّ إلغاء دور الأم من قِبل بعض الآباء يُعدّ خطأً فاحشاً، إذ يلغي الجانب العاطفي داخل البيت، ممّا يؤثّر سلبياً في الأولاد، فالكثير من الأولاد عندما يحرم من العاطفة ينشأ قاسياً، وحادَّ المزاج، وبعضهم يحمل روحاً انتقامية ضد الجميع بما فيهم البيت.

الفَصْلُ الثَّالِث



في ظل أبيه عليه السلام

الإمام الحسن في ظل أبيه أمير المؤمنين عليه السلام

ترعرع الإمام أبو محمد الحسن عليه السلام بعد جدّه في أحضان أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد تعاهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هذه النبتة المباركة فاستوت على سوقها.

وقد زرع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام القيم الحقّة في قلب الإمام أبي محمد عليه السلام ، وقد أخذت هذه القيم تتعمّق عبر أخلاق الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وسلوكه الفذّ.

لقد استعمل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسائلَ مهمّة في تثبيت القيم الحقّة، منها التشجيع، وهو أسلوب تربوي متين في استواء الشخصية المثالية.

وقد أدّى عامل التشجيع دوراً مهماً في نمو شخصية الإمام أبي محمد عليه السلام حتى إنه اكتسب قابلية استثنائية في تقمّص شخصية الإمام علي عليه السلام العلمية والأخلاقية والإيمانية، فكان نسخة ثانية عن والده (صلوات الله عليهما).

روي أنّ أباه علياً عليه السلام قال له: قم فاخطب لأسمع كلامك.

فقام عليه السلام وقال: «الحمد لله الذي من تكلّم سمع كلامه، ومن سكت علم ما في نفسه، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه معاده.

أمّا بعد: فإنّ القبور محلّتنا، والقيامة موعدنا، والله عارضنا.

إنّ علياً بابٌ من دخله كان مؤمناً، ومن خرج عنه كان كافراً».

فقام إليه علي عليه السلام فالتزمه، فقال: «بأبي أنت وأمي، ذريّة بعضها من بعض والله سميع عليم»[(١)]. وهكذا كان يرعاه وينمّي فيه الخصال الحميدة.

جاءه فقير، وقال: يا بن أمير المؤمنين، بالذي أنعم عليك بهذه النعمة التي ما تليها منه بشفيع منك إليه، بل إنعاماً منه عليك إلا ما أنصفتني من خصمي، فإنه غشوم ظلوم، لا يوقّر الشيخ الكبير، ولا يرحم الطفل الصغير.

وكان عليه السلام متّكئاً فاستوى جالساً، وقال عليه السلام: من خصمك حتى أنتصف لك منه؟ فقال: الفقر.

فأطرق عليه السلام ساعة، ثم رفع رأسه إلى خادمه، وقال له: أحضر ما عندك من موجود. فأحضر خمسة آلاف درهم، فقال: ادفعها إليه.

ثم قال عليه السلام له: بحقّ هذه الأقسام التي أقسمتَ بها عليّ، متى أتاك خصمك جائراً إلا ما أتيتني منه متظلّماً»[(٢)].

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يجلّ الإمام الحسن عليه السلام ويرعى حرمته، فالإمام الحسن عليه السلام سيد شباب أهل الجنة، وأشبه الناس خَلْقاً وخُلُقاً برسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد استوعب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تماماً الأحاديث التي قيلت بحق ولده الإمام الحسن عليه السلام، ومنها حديث:

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»[(٣)].

---

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٧٥/ص١١٢.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٧٤/ص٢٣٦.

(٣) فضائل الصحابة لابن حنبل: ج٢/ص٧٧٩، ومسند أحمد بن حنبل: ج٣/ص٣، وسنن ابن ماجه: ج١/ص٤٤، والمعرفة والتاريخ: الغسوي، ج٣/ص١٩، وسنن الترمذي: ج٥/ص٦٥٦، وأنساب الأشراف: البلاذري، ج١/ص٣٨٩، وخصائص علي عليه السلام: النسائي، ج١/ص١٤٢، وفضائل الصحابة

وحديث: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»[١].

وقبلها الآيات العظيمة التي نزلت بحقّ الإمامين الهمامين عليهما السلام، فكان الاحترام والإجلال قد بلغ غايته، فأضحى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يكرّر: «هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله»[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كل بني آدم ينتمون إلى عصبة غير وُلْد فاطمة، فأنا أبوهم وأنا عصبتهم»[٣].

وقد تكاملت صور التّكريم بحقّ الإمام أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام، فقد شارك في صياغته ثلاث شخصيات من أنبل ما خلق الله عزّ وجلّ: الرسول محمد صلى الله عليه وآله، وفاطمة البتول عليها السلام، وأمير المؤمنين عليه السلام.

فإذا كانت هذه الشخصيات العملاقة قد شاركت في صياغة الإمام أبي محمد الحسن عليه السلام، فلا غرو أن بلغت شخصية الإمام أبي محمد عليه السلام الكمال في كافة جوانبها.

يقول صاحب كتاب (مناقب ابن شهر آشوب)، عن محمد بن إسحاق: «ما بلغ أحد من الشّرف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما بلغ الإمام الحسن عليه السلام، كان يبسط له على باب داره، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما مرّ أحد من خلق الله إجلالاً له، فإذا علم قام ودخل بيته، فمرّ الناس، ولقد رأيته في

للنسائي: ج١/ص٢٠، وسنن النسائي الكبرى: ج٥/ص٥٠، ومسند أبي يعلى: أبو يعلى الموصلي، ج٢/ص٣٩٥، والعقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي، ج٤/ص٢٥١.

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٣/ص٢٩١/باب ١٢، فضائلهما ومناقبهما.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٣/ص٢٣٨.

(٣) تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، ج١١/ص٢٨٥، وتهذيب الكمال: المزي، ج١٩/ص٤٨٤، والصواعق المحرقة: ابن حجر الهيثمي، ج٢/ص٦٧٧.

طريق مكة ماشياً، فما من خلق الله أحد رآه إلا نزل ومشى، حتى رأيت سعد بن أبي وقاص يمشي»[١].

وحينما قيل للإمام الحسن عليه السلام: إن فيك عظمة.

قال: بل فيّ عزة، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢].

إنّ من الخصائص التي امتاز بها سلوك أئمة أهل البيت عليهم السلام تواضعهم الجمّ مع سموّهم الفائق، وهذا شيء فريد في سلوك الإنسان، وخلاف طبع البشر. فالبعض عندما يتسلّق موقعاً بالذّات السياسيون يتبيغ فيهم الكبر والاستعلاء.

حدّثني أحد المؤمنين وقال: «التقيت أحد المسؤولين، وكانت تربطني به علاقة قديمة، وكان هشاً وبشاً قبل أن يكون مسؤولاً، وعندما التقيته، سلّمت عليه، ولكن فوجئت بامتعاضه وبرودته.

فقلت: يا فلان، أتعرفني؟ فقال بامتعاض: نعم أعرفك.

فقلت: لمَ هذا الجفاء؟ ما الذي حصل؟

فسكت، بعدها علمت أنه تسلّم منصب «محافظ الـ..».

إنّ الإنسان قلّما يفلت من حالة الكبرياء والعنجهية، وبالذات السياسيين وأهل العلم، وعلى الذين يتصدّرون مواقع المسؤولية السياسية أخذ الحيطة والحذر من تسرّب هذا الداء الخطير «الكبرياء والاستعلاء»، وكذلك الذين يسلكون طريق العلم والخطابة والكتابة.

وأنا الأن أشاهد صوراً غريبة من بعض الخطباء الذين يظهرون على شاشات التلفزيون، فقد استبدّ بالبعض الكبرياء والعنجهية.

---

[١] المناقب: ابن شهر آشوب، ج٤/ص٧، فصل في معجزاته عليه السلام.

[٢] المنافقون: ٨.

يقول أحد الخطباء: كانت لي قضية عند أحد الخطباء الذين يظهرون على فضائية (الا...)، وتربطني معه صلة قديمة، فاتصلت به مراراً، فلم يرفع سماعة التلفون، وحاولت الاتصال به ولكن دون جدوى، فتركت القضية التي هي مهمّة ومفيدة.

ونقل أحد المؤمنين هذه الحادثة المُرّة: يقول: كانت تربطني بأحد الخطباء المشهورين علاقة قويّة، تمتد لأكثر من أربعين سنة، عشنا خلالها في المُرّة والحلوة، فصار هذا الخطيب يظهر على الفضائيات، فحمدت الله عزّ وجلّ على هذا الإنجاز وطلبت من الله التوفيق والتسديد له.

فأحببت أن أزوره، بعد أن قطعت مرحلة طويلة وأتزوّد من بركاته ومعارفه، فجئت إلى بيته، وعرّفت له بنفسي، وعندما رجعت زوجته، قالت: إنه غير موجود. وعلمت أنها غير صادقة، لأنها كانت تتردّد في كلامها.

يقول: وبعد فترة التقيت الخطيب المشهور في بيت أحد الشيوخ، فعرضت عليه الأمر، فأخذ يُشرّق ويُغرِّب، ويفتعل الأعذار.

والتقيت أحد الخطباء في جلسة حوار، فكان الخطيب يعبث بلحيته ويقلّب طرفيه باشمئزاز، وكأنّ الحوار الذي كان بين الأخوة دون مستواه بكثير. وهذا ينطبق على السياسيين أيضاً.

وفي نظري فإنّ الفضائيات «فخ كبير» أخذ يوقع الكثير في مصائد الشيطان فهو يعدّ شباكه لمن لم يبصر في نفسه. وألفيت الذين يتكبّرون لا يملكون الفهم العميق، والثّقافة الواسعة، وهذا طبيعي؛ لأنّ المتكبّر لا يسعه الإكثار باعتباره أنه ختم العلم من الألف إلى الياء!

وهذه النّظرة كانت تتملّك «آنشتاين» كما جاء في كتاب (كيف

تكسب الأصدقاء)، ولكن ما إن تخلّص منها وكنسها تماماً من نفسه وقلبه حتى انفتحت الآفاق أمامه، فأخذ يجود عقله بالنّظريات العملاقة، ومنها «النظرية النسبية». وكذلك نحن فإذا تخلّصنا من حالة الكبرياء والاستعلاء فإنّ بإمكاننا أن نسمو ونحلّق في سماء العلم والمعرفة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[١].

لاحظ عزيزي القارئ الآية وتمعّن فيها: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾[٢]، فالباري عزّ وجلّ أطلق كلمة (الجهاد)، وتشمل النفس، وجهادها يُعدّ من أفضل الجهاد كما في الروايات، لأنها العدو اللّدود الذي يكمن داخل الإنسان، فقد ورد في الحديث: «أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك»[٣]، فما لم يسيطر الإنسان على نفسه ويقيّدها لا يمكن أن ينطلق، وهذه قاعدة ثابتة.

فالنّفس أمّارة بالسوء، وأقوى حاجز أمام الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾[٤].

ثم إنّ السيطرة عليها يفجّر «قوة الإلهام» لأنّ هناك ثلاث أنفس: الأمّارة واللوّامة، والمطمئنّة، قال تعالى: ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[٥]. فإذا سيطر الإنسان على نفسه الأمّارة بالكذب

---

[١] العنكبوت: ٦٩.

[٢] العنكبوت: ٦٩.

[٣] آداب الصحبة: السلمي، ج١/ص٦٨، والزهد الكبير: البيهقي، ج١/ص١٥٧.

[٤] يوسف: ٥٣.

[٥] الشمس: ٨-١٠.

فإنّ ينبوع الصدق يظهر.

وكذلك إذا سيطر على البخل والشحّ، فإن ينبوع الجود والكرم ينبجس.

والباري عزّ وجلّ أتى بـ«سبلنا»، فجهاد النفس والسيطرة عليها يرشد إلى أفضل السُّبل، حيث أضاف الباري عزّ وجلّ (سبلنا) إليه.

ثم إنّ الإنسان مهما بلغ من العلم لا يبلغ معشار ما بلغه الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين)، فإذا كان الكبر يستبدُّ به فماذا تكون النسبة؟

وعاش الإمام الحسن عليه السلام فترةً مهمّة من حياته في ظل أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي نظري فإنّ خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كانت فاصلة، ووضعت حداً للكثير من الانحرافات التي كادت أن تجهز على الإسلام، وتقوّض دعائمه، لأنّ العهود التي سبقت أخذت تقضم القيم الإسلامية، وتنسخ الكثير من التّعاليم ممّا شوّه معالم الإسلام الحقيقية.

جاء في (مسند أحمد بن حنبل):

قال أبو موسى الأشعري: «لقد ذكّرنا عليُّ بن أبي طالب صلاةً كنّا نُصلّيها مع رسول الله صلى الله عليه وآله إمّا نسيناها، وإمّا تركناها عمداً، يكبّر كلما ركع وكلما رفع وكلما سجد»[1].

وفي (صحيح البخاري)، كتاب مواقيت الصلاة، باب تضييع الصلاة عن وقتها: في حديث أنس، قال: «ما أعرف شيئاً ممّا كان على عهد النبي صلى الله عليه وآله.

قيل: الصلاة.

---

[1] مسند أحمد بن حنبل: ج٤/ص٣٩٢.

قال: أليس ضيّعتم ما ضيّعتم فيها»[(١)].

فخلافة الإمام (صلوات الله عليه) أرجعت الروح ثانية إلى جسد الإسلام بعد أن ثبت أسسه في عمق المجتمع، وأوقف النّزيف الذي أصاب القيم الإسلامية، وطفق يضمّد الجراحات العميقة التي فتحها الحكّام في جسد الإسلام.

ثم أخذ الإمام عليه السلام يجهز على جيوب الفساد التي انتشرت في كافة مرافق الدولة الإسلامية، وأخذت تتناسل بشكل رهيب مستفيدةً من الأجواء التي وفّرها الحكّام.

ولذلك سعى لترتيب شؤون الدولة بأقصر وقت، ووفق آليات متطوّرة تتمثّل في انتخاب الولاة المخلصين الذين لم تتلوّث نفوسهم بثروات الفتوحات.

جاء في كتاب (الإمام الحسن القائد والتاريخ) للأستاذ فؤاد الأحمد:

«بينما كان الإمام عليه السلام في صدد تصفية جيوب الفساد الواقع على كافة أصعدة النظام الحاكم على المجتمع، ولذلك سعى جاهداً لترتيب شؤون الدولة، فكان يرسل العمال الثّقات في أماكن العمّال المعزولين من عناصر النظام السابق لإدارة المناطق الواقعة تحت سلطة الدولة الإسلامية في سبيل البدء بحركة إصلاحية جديدة تهدف إلى إرساء أسس العدل والمساواة في توزيع الثروة، وبناء مؤسسات تنموية عن طريق استقبال أموال الخراج، ثم تدوير هذه الأموال بما يغطّي احتياجات الداخل.

[(١)] صحيح البخاري، ج١/ص١٩٧، وعمدة القاري: العيني، ج٥/ص١٦.

ولعلّ من أبرز العمليات الإصلاحية التي قام بها الإمام علي عليه السلام في نظام الدولة الإسلامية أنه أكّد على نظام اللامركزية الإدارية في الأمور الاقتصادية بعد أن وصلت مناطق الدولة الإسلامية إلى مستوى الاكتفاء الذاتي، وذلك بهدف التّركيز على التنمية، ودفع الولاة وأفراد المجتمع للبناء والإعمار، بدلاً من التركيز على حجم الإنتاج ومعدل الخراج، وهذا يتبيّن بوضوح في رسالة الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر حينما تسلم ولاية مصر، فبعد أن يُوصي الإمام علي عليه السلام مالكاً، يقول له:

«اعلم يا مالك، أنّي قد وجّهتك إلى بلادٍ قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأنّ الناس ينظرون في أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك، ويقولون فيك ما كنت تقوله فيهم، وإنّما يستدلّ على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسنة عباده»[1].

وأقدم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على خطوة تُعدّ في نظر العلماء من أهم الخطوات الإستراتيجية، وهي تجفيف منابع الإرهاب في البصرة والشام والنهروان.

فقد تحوّلت هذه المدن التي كانت تشكّل عمقاً إستراتيجياً للدولة الإسلامية إلى بؤر لتصدير الإرهاب بكل قوة، وبالذات الشام، فقد حوّلها معاوية إلى حاضنة أخذت تجمع العناصر التي كانت تناصب العداء للإسلام منذ لحظة بزوغه.

وقد حذّر النبي صلى الله عليه وآله من اجتماعها تحت مظلّة معاوية، فقد قال رسول

---

[1] الإمام الحسن القائد والتاريخ: الأستاذ فؤاد الأحمد، ص٣١.

الله صلى الله عليه وآله: «إذا رأيتم معاوية على منبري يخطب فاقتلوه»[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في تفسير الشجرة، في آية: ﴿ٱلرُّءۡيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيۡنَٰكَ إِلَّا فِتۡنَةً﴾[٢]، قام حزيناً.

عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى في منامه بني الحكم ينزون على منبره وينزلون، فأصبح كالمتيقّظ، فقال: «ما لي رأيت بني الحكم ينزون على منبري نزوَ القردة»..

قال: فما رُؤي رسول الله صلى الله عليه وآله مستجمعاً ضاحكاً بعد ذلك حتى مات[٣].

وقد حاول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تطويق بؤر الفساد والإرهاب، وقطع الإمدادات عنهم، إلا أنّ النفاق والخذلان كما في عهد رسول الله

---

[١] وقعة صفين: المنقري، ج١/٢٢١، والعلل ومعرفة الرجال: أحمد بن حنبل، ج١/ص٤٠٦، وج٢/ص٤١٤، وفيه: «على المنبر فاقتلوه»، وأنساب الأشراف: البلاذري، ج٢/ص١٢١، وفيه: «على منبري فاقتلوه»، والسنة: عبد الله بن أحمد، ج٢/ص٤٣٨، وتاريخ الطبري: ج٥/ص٦٢٢، وتاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، ج١٢/ص١٨٠، وذخيرة الحفاظ: المقدسي، ج١/ص٣٢٠، ومعرفة التذكرة: المقدسي، ج١/ص٩٢، والفردوس بمأثور الخطاب: شيرويه الديلمي ابن الكيا، ج١/ص٢٦٢، والأنساب: التميمي السمعاني، ج٣/ص٩٥، وتاريخ دمشق: ابن عساكر، ج٥٩/ص١٥٥، ومختصر تاريخ دمشق: ابن منظور الأفريقي، ج٧/ص٣٤٠، والمختصر في أخبار البشر: عماد الدين اسماعيل بن علي، ج١/ص١٨٧، وسير أعلام النبلاء: الذهبي، ج٣/ص١٤٩، وأحاديث مختارة: الذهبي، ج١/ ص٩٠، وتاريخ الإسلام: الذهبي، ج٤/ص٣١٢، والبداية والنهاية: ابن كثير، ج٨/ص١٣٣، وتهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، ج٢/ص٣٦٨، وسمط النجوم العوالي: العاصمي المكي، ج٣/ ص١٥٧.

[٢] الإسراء: ٦٠.

[٣] مجمع الزوائد: الهيثمي، ج٥/ص٢٤٤، وتاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج٥٧/ص٢٦٦، ومسند أبي يعلى: ج١١/ص٣٤٨، والعلل المتناهية: ابن الجوزي، ج٢/ص٧٠١، والبداية والنهاية: ابن كثير، ج٢/ص٢٥٩.

محمد صلى الله عليه وآله حال دون ذلك.

وهكذا الأمر في البصرة عندما وطئها طلحة، والزبير، والسيدة عائشة، فعاثوا، وأكثروا فيها الفساد.

وقد تحوّلت البصرة في فترة قصيرة إلى حاضنة أخذت بُعداً خطيراً، ممّا شكّل تهديداً خطيراً للدولة الإسلامية، فاضطرّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى إعداد خطة سريعة للقضاء عليها.

إنّ الأسى يستولي عليّ وأنا أذكر «معركة الجمل» فهي التي فتحت جرحاً غائراً في جسد الإسلام لم يندمل لحدٍّ هذه اللحظة.

وفي نظري فإنّ معركة الجمل خلقت جواً ملبّداً بغيوم الشكّ والارتياب، وقد عانى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً من حالة الشكّ التي تسرّبت إلى النُّفوس ممّا جعلت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يبذل جهوداً مُضنية لمسح بقعة الشك التي افترشت النفوس، ومن ناحية فإنّ معركة الجمل أفرزت ثلّةً مؤمنة وقفت إلى جانب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في محنهِ العديدة.

وهي أيضاً باعدت بين جبهة الحق والباطل، فبرز الحق بأجلى صوره.

جاء في كتاب (مناقب أبي حنيفة) للخوارزمي:

قال أبو حنيفة:

«ما قاتل أحدٌ علياً إلا وعلي أولى بالحق منه، ولولا ما سار عليٌّ فيهم ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين»[1].

---

[1] مناقب أبي حنيفة للخوارزمي: ج٢/ص٨٤، وبغية الطلب في تاريخ حلب: كمال الدين عمر بن

وسُئل أبو حنيفة عن يوم الجمل، فقال:

«سار عليٌّ فيه بالعدل، وهو علّم المسلمين السنَّة في قتال أهل البغي».

وقال تلميذه محمد بن الحسن: «لو لم يقاتل معاوية علياً ظالماً له متعدّياً باغياً كنّا لا نهتدي لقتال أهل البغي»[1].

وعلى كل حال فإنّ الإمام أمير المؤمنين علياً عليه السلام خاض الغمار بنفسٍ مطمئنّة، وقناعة راسخة، وقد حقّق عبر معاركه ضد الباطل أهدافاً إستراتيجية غاية في الأهمية؛ منها تأكيد الحق وزرع المُثل في عمق المجتمع لينكشف الباطل الذي ظهر بأبشع صوره، ممّا رسّخ القناعة لدى العامة والخاصة ببطلان دعاوى معاوية وطلحة والزبير والسيدة عائشة، وأصحاب اللحى الطويلة في النهروان، وقد حاول الباطل تلميع صورته، ووضع طبقات من الرتوش على وجهه إلا أن محاولاته باءت بالفشل لأن الحق ظهر بأجلى صوره.

مواقف الإمام أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام:

لقد كانت مواقف الإمام أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام إزاء الأزمات التي تعرّض لها حكم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام واضحةً، فقد اصطفّ إلى جنب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ودافع عنها بحرارة وبقناعة راسخة.

أحمد بن أبي جرادة، ج١/ص٢٩١، وص٣٠٢.

[1] مناقب أبي حنيفة للخوارزمي: ج٢/ص٨٤، وطبقات الحنفية: عبد القادر القرشي، ج٢/ص٢٦، والجواهر المضيئة: عبد القادر القرشي، ج٢/ص٢٦.

إلا أنّ البعض ممّن لم يطّلع على حياة الإمام أبي محمد الحسن عليه السلام طعن في مواقف الإمام الحسن عليه السلام وحاول إيجاد رؤية ضبابية حول مواقفه، فقد اتهم الإمام الحسن عليه السلام بالشّقاق.

منهم الدكتور طه حسين في كتابه (علي وبنوه)، فهو يتّهم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بالخلاف مع أبيه، وعدم رضاه عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، بالذات ما يخصّ الأحداث التي جرت على عثمان.. وكما هو ثابت في التاريخ فإن الإمام الحسن عليه السلام سطّر مواقفَ مشرقة فيما يخصّ حق الإمام في الخلافة ومنها:

١- عندما آزرَ أمير المؤمنين عليه السلام في مواقفه الصلبة إزاء استلاب الخلافة. فكان يتحدّى السلطة بفكر عملاق، ورؤية صائبة، وجرأة هاشمية، فطالما كان يأتي إلى المسجد النبوي، ويخاطب أبا بكر، ويقول: «انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك».

وفي رواية: «انزل من على منبر أبي».

فيردّ أبو بكر ويقول مداهناً: «صدقت، إنه منبر أبيك لا منبر أبي»[1].

وعندما ينزل أبو بكر يتوجّه إلى الإمام الحسن عليه السلام، ويقول له: من علّمك هذا؟

وهذا السؤال مشينٌ من أبي بكر!!

أفلا يعلم أبو بكر أنّ أهل البيت عليهم السلام زُقُّوا العلم زقاً، فكبيرهم لا يُقاس،

[1] حياة الإمام الحسن: العلامة الشيخ باقر شريف القرشي، ج١/ص٢٠٦، وأنساب الأشراف: البلاذري، ج١/ص٣٨٣، ونثر الدرر: الآبي، ج١/ص٢٢٧.

وصغيرهم جمرة لا تداس؟ فهم نشؤوا في ظل رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وترعرعوا في حجر سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين عليها السلام.

٢- أو يريد أن يسقط ما في داخله، وهو ما يسمى في علم النفس «الاستبطان الذاتي»، فهو يقيس الإنسان بحجمه، وهذه هي الطّامّة الكبرى، فالبعض من الناس يزن الناس وفق موازينه، وليس موازين الشرع والدين.

٣- أم هو الطبع العربي آنذاك الذي تشبّع بالروح الجاهلية، فيرى كل شيء بعين صغيرة ممّا أدّى به إلى أوخم العواقب.

٤- أو يبتغي التّعمية حتى يُقلّل من أهمية النتائج المترتّبة عن مقولة سيد شباب أهل الجنة (صلوات الله عليه).

ثم لماذا ذكر سيد شباب أهل الجنة عليه السلام المنبر «انزل عن منبر أبي»؟ لأنه طالما سمع مِن على المنبر لساناً صادقاً، وحكماً متعالية، ونوراً يشعّ إلى السماء، وقد انتقشت هذه الصورة في قلبه ومخيّلته، لذلك أصبح غريباً عليه منظر هذا الرجل.. المليء بالتردّد والعي: «أقيلوني أقيلوني فلست بخيركم»[1].

ثم هو لم يعهد السبّ والشتم للطاهرات المعصومات (كأم طحال)، أو للعظماء الأفذاذ الذين تركوا أعظم الآثار في حياة الإنسانية (كثعالة شاهدة)، وقد تكرّرت المواقف الصّلبة لسيد شباب أهل الجنة في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، فكان ينبري سيد شباب أهل الجنة للخليفة، ويقول له:

[1] تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: الباقلاني، ج١/ص٤٩٤، والغنية في أصول الدين: عبد الرحمن النيسابوري، ج١/ص١٨٦.

«انزل من على منبر أبي».

فيردّ عمر بن الخطاب: نعم هو منبر أبيك، وهل أنبت الشعر في رأسنا غير أبيك؟

ماذا تعني هذه الطلاءات والرُّتوش والألوان المزيّفة؟

أهي المخرج والحل؟

أم هي المداهنة والتّعمية وذرّ الرماد في العيون؟

كان ينبغي للخليفة الثاني الإقرار بالحقيقة الثابتة، والتنازل للصالح العام، ولكن أنّى للإنسان ذلك؟!! وقد تشبّع قلبه بالمنافع الذاتية، فأصبح لا يرى إلا مصلحته، لقد انقلب الكثير، فقلب ظهر المِجَنّ للإسلام، ولقيمه الفذّة التي كادت أن تنشر في جميع الأرض بذور الاطمئنان والاستقرار، وتتخذ الإنسانية منحىً متكاملاً لكي تتكامل سلسلة الأنبياء والأوصياء في جوٍ مشبع بالخلق والقيم، حتى يسهل للإنسان هضمها، ولكنه الانقلاب المرُّ الذي تنبّأ به رسول الله محمد صلى الله عليه وآله.

جاء في (صحيح البخاري)، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا ترجِعَنّ بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا فرطكم على الحوض، ولأنازعنّ أقواماً ثم لأغلبنّ عليهم، فأقول: يا ربّ أصحابي!! فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[2].

---

[1] الطبقات الكبرى: الزهري، ج٢/ص١٨٤.

[2] مسند أحمد بن حنبل: ج١/ص٤٢٥، وصحيح البخاري: ج٥/ص٢٣٩١، وفيه: سيُجاء برجال من

وجاء عن السيدة عائشة كما في (السنن الكبرى) للبيهقي: «عن عائشة: أنه لما توفي النبي صلى الله عليه وآله اشرأبّ النّفاق بالمدينة»[١].

وجاء في (مسند الإمام أحمد بن حنبل): عن حذيفة، أنه قال: «إن كان الرجل ليتكلّم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فيصير منافقاً، وإني لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات»[٢].

ثم إنّ الإمام الحسن الزكي (صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين) وقف يؤازر أباه في محنة عثمان، ويا لها من محنة، فصاحبها على حدِّ تعبير الإمام كراكب الصعبة إن أسلس لها تقحّم، وإن أشنق لها تخرّم، فصيّرها في حوزة خشناء، يصعب كلامها، ويكثر العثار فيها.

لقد دافع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن مركز القيادة، ليس حباً بعثمان، وإنما درءاً للفتن التي أطلّت بقرنها.

وأراد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام النصح للخليفة عثمان حتى يستتبّ أمر الأمة، ثم تسير سُجُحاً نحو شاطئ الأمان، ولكن النّفعيين، وعلى رأسهم مروان بن الحكم أبوا إلا أن يثقبوا قارب النجاة: فتلاقفتها الأمواج من كل جانب فأنتجت الوهن الذي تسرّب إلى مرافق الدولة فبدأ الاعوجاج بالذات على صعيد القيادة، ويتحول بمرور الزمن والأيام إلى ضعف فهزال، ليجمع كل حقير وتافه.

أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا ربّ أصحابي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

(١) سنن البيهقي الكبرى: ج٨/ص١٩٩، والأم: محمد بن إدريس الشافعي، ج٦/ص١٦٦، وتاريخ خليفة بن خياط: الليثي العصفري، ج١/ص١٠٢، وعيون الأخبار: ابن قتيبة الدينوري، ج١/ص٢٥٣.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج٥/ص٣٩٠.

وأراد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إصلاح ذات البين، ولكن قريشاً وخيلاءَها وكبرياءها أبت إلا ركوب رأسها، وظلّت سكرة الملك تلعب برأسها.

كيف يعود محمد صلى الله عليه وآله مرّة أخرى، ويرغم أنف الجبابرة والطغاة؟ أعيدوها جذعة.

جاء في (شرح النهج): «مرّ أبو سفيان بن حرب بقبر أسد الله ورسوله حمزة بن عبد المطلب (رضوان الله عليه)، فضربه برجله، وقال: يا أبا عمارة إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمسى في يد غلماننا اليوم يتلعّبون به»[(١)].

وجاء في (تاريخ دمشق) لابن عساكر: عن أنس: أنّ أبا سفيان بن حرب دخل على عثمان بعدما عمي، فقال: ها هنا أحد؟ قالوا: لا. فقال أبو سفيان: «اللهمّ اجعل الأمر أمر جاهلية، والملك ملك غاصبية، واجعل أوتاد الأرض لبني أمية»[(٢)].

وفي رواية مشهورة: قال أبو سفيان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان بالخلافة، فدخل داره ومعه بنو أمية، فقال: «أفيكم أحد من غيركم؟ قالوا: لا، قال: يا بني أمية، تلقّفوها تلقّف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان لا جنّة ولا نار»[(٣)].

وجاء في (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبد البر: ترجمة أبي

---

(١) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، ج١٦/ص٨١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج٢٣/ص٤٧١.

(٣) تاريخ الطبري، ج٥/ص٦٢٢، ومروج الذهب: المسعودي، ج١/ص٣١٠، والأغاني: أبو الفرج الأصبهاني، ج٦/ص٣٧١، وجمهرة أمثال العرب: أبو هلال العسكري، ج٢/ص٥٧.

سفيان: عن الحسن: أنّ أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافة إليه، فقال: «قد صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنما هو الملك، ولا أدري ما جنة ولا نار»[1].

لتهنأ قريش، لقد انتشت تماماً، فها هي تفصح عن نواياها تباعاً، وتؤكّد خُططها الجهنّمية في القضاء على الإسلام.

من هنا فإنّ الإمام علياً عليه السلام وقف بقوة ليقطع دابر الخطط القرشية، ويردّ الفتنة على أعقابها، وإن تطلّب الأمر الحفاظ على عثمان بن عفان، باعتبار أنّ قريشاً أرادت الملك، ولكن وجود الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والثلّة المخلصة من الصحابة الكبار أمثال عمار، والمقداد، وأبي ذر، وحذيفة، فوّتوا الفرصة على قريش في استغلال عثمان على ما تشتهي نفسها، وهكذا أرسل الإمامين الهمامين سيدي شباب أهل الجنة عليهما السلام، ليدفعا الثوار عن اقتحام البيت الأموي.

ولكن يبدو أنّ التاريخ ظالم على عادته، فهو ينصف الظّالم، وينتقص من المظلوم.

فيتّهم الإمامين عليهما السلام بالتواطؤ والتنسيق، وبتوجيه من إمام المتقين عليه السلام ما زالت قريش ترمي سهامها الطائشة، ويسجّلها التاريخ بكل افتخار.. ونحن لا نستغرب من تاريخ كتبه وعّاظ السلاطين، وبأبخس الأثمان، ولكن تبقى الحقيقة في منأى عن التحريف والتزييف.

فالحقّ له بريقه الخاص، فهو لا يخضع لمشتهيات الوعّاظ والنفعيين،

---

[1] الاستيعاب: ابن عبد البر، ج٤/ص١٦٧٩.

فعليه فإنّ الإمام الحسن والمولى أبا عبد الله الحسين عليهما السلام وقفا يدفعان الثوار ويبديان النصح لهم.

وقد حاصر الثوار بيت عثمان بن عفان، وقطعوا الماء عليه، ممّا اضطر الإمام الحسن عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام إلى المكوث وإيصال الماء.

وحاول الثوار اقتحام البيت، ولكن وجود الإمامين عليهما السلام جعل الثوار يتردّدون في ذلك. فجاء الثوار إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتكلموا معه بضرورة سحب الإمامين عليهما السلام ، فامتنع عليهما.

ولا أريد أن أخوض في الروايات المفتعلة التي تقول: إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ضرب الإمامين الحسنين عليهما السلام لمّا أبديا من التهاون إزاء اقتحام الثوار لبيت عثمان.

فحاشى للإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يقدم على هذا السلوك ولاسيّما وهو يعرف منزلتهما من الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، فهما سيدا شباب أهل الجنة، وإمامان قاما أو قعدا، وإنّ الله عزّ وجلّ قد طهّرهما بنص الآية، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾[1].

ثمّ ما الذي بدر منهما حتى يهوي الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عليهما كما يذكر بعض المؤرّخين ممّا لا حريجة له في الدين، ولا إثارة له من العلم؟!

لقد دافع الإمامان عليهما السلام بما فيه الكفاية، ولكن مروان بن الحكم قد أحدث ثغرة واسعة في بيت عثمان، وذلك عندما كتب إلى والي مصر بقتل رؤوس الثوار، فرجعوا إلى المدينة، وكشفوا الكتاب للإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

---

[1] الأحزاب: ٣٣.

فجاء الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى بيت عثمان، وأراه الكتاب، فردّ عثمان وقال: إني ما أمضيته وإنما مروان.

فقال: إذاً يكفيك مروان، فإني قدمت بما فيه الكفاية.

راجع كتاب: (الفتنة الكبرى) لطه حسين، و(سيرة الأئمة الاثني عشر) للسيد هاشم معروف الحسني.

وقد جرت الأحداث الدامية التي أحدثت شرخاً واسعاً في جدار الأمة، الأمر الذي أورث جيلاً من التراكمات السيّئة كان لها أسوأ الأثر في حياة المسلمين[1].

وقد آزرَ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام أباه في معاركه الحقّة ضد الناكثين والقاسطين والمارقين، وكان الساعد الأيمن للإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام. فهو الذي عبّأ الكوفيين بعد أن خذلهم أبو موسى الأشعري.

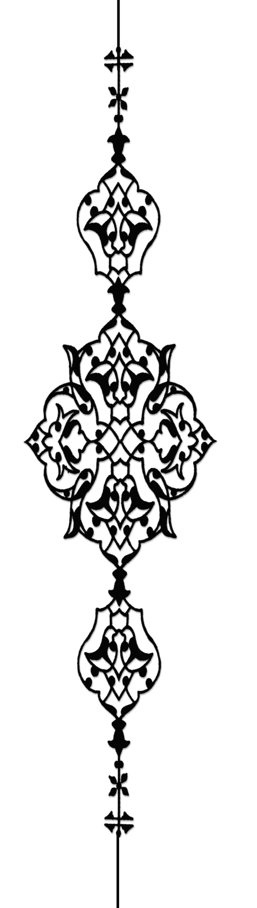
فجاء الإمام الحسن عليه السلام مع عمار بن ياسر يستثيرهم بخطاب بليغ ألهب الحماس، وفجّر الهمم، فاندفع الكثير منهم ممّا شكّل قوّة مهمة لنصرة الحق.

وقد أدّت قوّة الكوفيين دوراً مهماً في معارك الحق ضد الباطل، مما أورث الموقف حقداً في قلوب بني أمية وبالذّات معاوية ويزيد، فانتقما منهما شرّ انتقام.

---

[1] حياة أمير المؤمنين عليه السلام: للشيخ محمد باقر القرشي.

الفصل الرابع



أخلاق الإمام عليه السلام

أخلاق الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

مشتقّة من رسول الله صلى الله عليه وآله نبعتهم:

من مقوّمات الحياة عامل الأخلاق، وقد أدّت الأخلاق وما زالت دوراً مهمّاً في تقدّم الأمم وديمومتها، قال الشّاعر:

وإنّما الأمـم الأخـلاق ما بقيـتْ   فـإن هُـمُ ذَهبـتْ أخلاقهـمْ ذهبـوا

ويعتبر عامل الأخلاق صمّام أمان لكل مرافق الدولة، فهو الضابط المكين الذي يضبط النشاط الاقتصادي والسياسي والثقافي.

وقد اهتمت الأمم بأخلاقها، ووضعت الضوابط الأساسية لحفظ القيم الأخلاقية.

ويعتبر الدين الإلهي أحد أهمّ الرّوافد الأساسية للأخلاق، فهو يمدّها بالرُّوح والحيوية عن طريق ربط الإنسان بالله تعالى وبالآخرة.

فالله عزّ وجلّ هو مصدر الأخلاق، وكما هو ثابت فإنّ القيم الأخلاقية مصدرها الدين المنزل من قبل الله عزّ وجلّ.

وتظلّ الأخلاق فوق الزمان والمكان، فلا تُحَدُّ بمكان كما لا تخضع لزمان.. فصفتا الصدق والعدل فوق الزمان والمكان، ولا تخضعان لأيّ من الاعتبارات، فتجريان كما تجري الشمس والقمر.

وتحتاج القيم الأخلاقية ـ وهي نقطة جديرة بالملاحظة ـ إلى قيَّمٍ طاهر

ومكين يستطيع تطبيقها بكل كفاءة وجدارة، وكما هو ثابت فإنّ التطبيق الفذّ يُكسب القيم الأخلاقية ميّزة الحيوية والواقعية، فالأخلاق تنأى عن الوصف، وبمعنى آخر فإنّ القيم الأخلاقية لابد وأن تتحول إلى واقع يعيشه المجتمع.

من هنا فإنّ الأنبياء والأوصياء (صلوات الله عليهم أجمعين) جاؤوا بطاقة خلّاقة لتطبيق القيم الأخلاقية، ممّا سهّل استيعابها وتطبيقها، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[١].

وقال تعالى عن رسول الله محمد صلى الله عليه وآله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[٢].. فالعروج إلى الله عزّ وجلّ مكّن رسول الله صلى الله عليه وآله من اكتساب قدرة استثنائية في تطبيق الأخلاق الإلهية.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٣].. وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله الكمال في أخلاقه..

بلغ العُلا بكماله كشف الدُّجى بجماله
حسُنتْ جميعُ خصاله صلُّوا عليه وآله

وعند بلوغه الكمال أثّر بالصميم في تغيير الواقع الجاهلي الذي انطوت

---

[١] الحج: ٤١.

[٢] النجم: ٨-١٤.

[٣] القلم: ٤.

عليه حياة الأمم، وقد ذكرت مراراً أنّ تغيير الأمم إنّما يتمّ عبر الأخلاق، فهي القوّة الوحيدة التي تغيّر فكر الإنسان وتصوّراته مهما تكلّست في دماغه.

إنّ التصوّرات التي كانت تجول في أذهان الجاهلين كانت ضاربة في عمق عقولهم، ولو أنك أتيت بكل آية ما تبعوا قبلة الإسلام، ولكنّ الرسول محمداً صلى الله عليه وآله استطاع بأخلاقه الفذّة اجتثاث التصوّرات والأفكار التي أتى عليها حينٌ من الدهر، وهذه تعتبر معجزة باهرة لرسول الله محمد صلى الله عليه وآله .

لقد استطاع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في فترة قياسية تكوين عقل خلاق، وقلب رقيق، ونفس كبيرة.

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[1] .

فاستطاع أن يزكّيهم (يطهّر نفوسهم)، ويعلّمهم الكتاب والحكمة (تكوين قلب رقيق، وعقل كبير).

وما لم يتمّ تطهير هذه المناطق الثلاث في الإنسان لا يمكن أن تستوي شخصيّته، وتستقيم على سوقها.

وقد أحدثت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وآله نقلةً نوعيّةً في مسار البشرية بحيث تسلّقت بفترة قياسية قمّة الفضائل، والخلق الرفيع، وقد خلقت أخلاق رسول الله محمد صلى الله عليه وآله قناعةً لدى الكثير بواقعية القيم الإلهية وحيويتها، وقد تمكنت الأخلاق الإسلامية من قلوب الذين مردوا على الجهل، وتشقّ

---

[1] الجمعة: ٢.

طريقها إلى نفوسهم، فتحوّلت إلى حقل خصب أخذ يحتضن الأخلاق الرفيعة، ويجسّدها بشكل صاروا أمثلةً رائعةً في الاستقامة والصمود، وقد تجلّت صور الاستقامة والصمود في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنهم: الصحابي عبد الله بن مسعود، وابن مسعود يُعدّ من الشخصيات الفذّة، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : «من سرّه أن يقرأ القرآن غضّاً (أو رطباً) كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم معبد»[1].

وكان عبد الله بن مسعود في الكوفة يفقّه المسلمين، ويعلّمهم كتاب الله، ولمّا آل الأمر إلى عثمان بن عفان حصلت مشادّة بين عبد الله بن مسعود وبين والي الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي نهب الأموال، وشرب الخمر وقاءها في المصلّى، ممّا أغضب الكثير، ومنهم الصحابي عبد الله بن مسعود، عندها طلبه الخليفة عثمان بن عفان بطلب من الوليد بن عقبة، وعندما وصل إلى المدينة المنورة ودخل المسجد النبوي كان عثمان على المنبر يخطب، فلمّا رآه قال للمسلمين وأشار إلى ابن مسعود: «ألا إنّه قدمت عليكم دويبة سوء من تمش على طعامه يقئ ويسلح».

وردّ عليه ابن مسعود قائلاً: «لست كذلك، ولكنّي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، ويوم بيعة الرضوان».

فأمر عثمان جلاوزته فأخرجوا الصحابي عبد الله بن مسعود من المسجد إخراجاً عنيفاً، وقام إليه عبد الله بن زمعة، فضرب به الأرض.

وقيل: بل احتمله «يحموم» غلام عثمان، ورجلاه تختلفان على عنقه

---

[1] صفة الصفوة: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ج١/ص٣٩٩.

حتى ضرب به الأرض فدقَّ ضلعه.

وثار أمير المؤمنين عليه السلام ، فانبرى إلى عثمان، فقال له: «يا عثمان، أتفعل هذا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وآله بقول ابن عقبة؟!»[١].

وحمل أمير المؤمنين عليه السلام ابن مسعود إلى منزله وقام برعايته، حتى أبل من مرضه، فقاطعه عثمان وهجره، ولم يأذن له في الخروج من المدينة المنورة، كما قطع عطاءه.

ولما مرض ابن مسعود مرضه الذي توفّي فيه، أتاه عثمان بن عفان عائداً.

فقال: ما تشتكي؟

قال: ذنوبي.

فقال: فما تشتهي؟

قال: رحمة ربّي.

فقال: ألا أدعو لك طبيباً؟

قال: الطبيب أمرضني.

فقال: أفلا آمر لك بعطائك؟

قال: منعتنيه وأنا محتاج إليه، وتعطينيه وأنا مستغنٍ عنه؟!

فقال: يكون لوُلدك؟

قال: رزقهم على الله.

فقال: استغفر لي يا أبا عبد الرحمن.

---

[١] أنساب الأشراف: البلاذري، ج٢/ص٢٦٩.

قال: أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقّي.

وأوصى ألا يُصلّي عليه عثمان، وأن يصلّي عليه صاحبه عمّار بن ياسر، ولمّا انتقل إلى دار الحق دفنوه بالبقيع، ولم يخبروا عثمان بن عفان.

فلمّا علم عثمان بن عفان غضب، وقال: سبقتموني به.

فردّ عمّار بن ياسر قائلاً: إنّه أوصى ألا تصلّي عليه[(١)].

صفحات مشرقة:

وهكذا أورقت الشجرة النبوية فأعطت أكلُها كلّ حين بإذن ربّها، فملأت الخافقين، وكان من الشجرة المحمدية الإمام أبو محمد الحسن بن علي الزكي (عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام).

فالإمام الحسن عليه السلام نسخة أصيلة من شخصية سيد الكائنات رسول الله محمد صلى الله عليه وآله.. فقد تجلّت في شخصية الإمام عليه السلام صفات جدّه رسول الله محمد صلى الله عليه وآله بكل صورها، ممّا يدل على عُمق العلاقة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين الإمام أبي محمد الحسن المجتبى (صلوات الله عليه وآله).

جاء في (كنز العمال): روى أنس بن مالك، قال: دخل الحسن على النبي صلى الله عليه وآله فأردت أن أميطه عنه.

فقال صلى الله عليه وآله : «ويحك يا أنس! دع ابني وثمرة فؤادي، فإنّ من آذى هذا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»[(٢)].

---

(١) أنساب الأشراف: البلاذري، ج٢/ص٢٦٩.

(٢) كنز العمال: المتقي الهندي، ج٦/ص٢٢٢، والمعجم الكبير: الطبراني، ج٣/ص٤٢، والبدر المنير:

وجاء في (تاريخ دمشق) لابن عساكر: عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم بعرفات وعليّ تجاهه: «يا عليُّ، ادنُ مني، ضع خمسك في خمسي (يعني كفك في كفي)، يا عليّ، خُلِقْتُ أنا وأنت من شجرة، أنا أصلها، وأنت فرعها، والحسن والحسين أغصانها، فمن تعلّق بغصن منها أدخله الله الجنة»[1].

ولا أعرف إنساناً في الدنيا دخل في عمق إنسان كما دخل الإمام الحسن عليه السلام في عمق رسول الله صلى الله عليه وآله، لذلك فلا غرابة أن يكون الإمام الحسن عليه السلام الامتداد الحيّ لرسول الكائنات (صلوات الله عليه وعلى آله).

جاء في (نور الأبصار) للشبلنجي: حينما قيل للإمام الحسن المجتبى عليه السلام: لأيّ شيء لا نراك تردّ سائلاً؟

فأجاب: إني سائل وفيه راغب، وأنا أستحي أن أكون سائلاً وأردّ سائلاً، وإنّ الله عوَّدني عادةً أن يفيض نعمه عليّ، وعوّدته أن أفيض نعمه على الناس، فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة، وأنشأ عليه السلام يقول:

إذا ما أتاني سائلٌ، قلتُ: مرحباً ... بمن فضلُه فرضٌ عليّ معجّل
ومَن فضله فضلٌ على كلّ فاضلٍ ... وأفضل أيّام الفتى حين يُسأل[2]

وما عساني أن أقول إزاء هذا السلوك العالي إلا أن أقف مدهوشاً ومأخوذاً ومأسوراً؟

ابن الملقن، ج١/ص٥٣٨، والبيان والتعريف: إبراهيم بن محمد الحسيني، ج٢/ص٢٦٥.

(١) تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج٤٢/ص٦٤، وص٨٤، وذخيرة الحفاظ: المقدسي، ج٢/ص٨١٦، ومختصر تاريخ دمشق: ابن منظور الأفريقي، ج٥/ص٤١١.

(٢) نور الأبصار: الشبلنجي، ص١١١.

إنّ الكلمات لَتعجز، والعبارات لَتخجل عند وصف هذه اللوحة الرائعة، ولكنه الخُلق الحَسَنيُّ الذي اشتقّ من رسول الله صلى الله عليه وآله نبعته، فجاء سامياً يسمو على العلو، ووِتراً يعلو على الزمان، لقد تعوّدنا أن نرى الأئمة من آل البيت عليهم السلام يصيغون المعنى الأصيل للصفات الخلقية، فتأتي بأبهى حلّة لها.

لذلك فإنّ الصفات الخُلقية لا تظهر صورتها الحقيقية إلا عند الأئمة من آل البيت عليهم السلام .

إنّ الإمام الحسن عليه السلام يستشعر حالة السّائل إلى الله عزّ وجلّ، فعليه أن يؤدّي حقّ السؤال في إجابة السائل بكلمات تشعر السائل بالعزة والكرامة وكأنه هو المدلّ.

جاءه شخص يظهر الإعواز والحاجة، فقال عليه السلام : ما هذا حق سؤلك، يعظم لديّ معرفتي بما يجب لك، ويكبر عليّ ويداي تعجزان عن نيلك بما أنت أهله، والكثير في ذات الله تعالى قليل، وما في ملكي وفاء يشكرك، فإن قبلت منّا الميسور، ورفعت عنّا مؤونة الاحتفال والاهتمام فعلت.

فأجابه الرجل: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله أقبل القليل، وأشكر العطية، وأعذر على المنع.

فأحضر عليه السلام وكيله وحاسبه، وقال له: هات الفاضل من المال.

وكان الفاضل خمسين ألف درهم، فدفعها إليه.. ولم يكتف عليه السلام بذلك، بل قال لوكيله: ما فعلت بالخمسمئة دينار عندك؟

فقال: هي عندي.

فأمره بإحضارها، ثم دفعها إلى الرجل، وهو يعتذر إليه.

وهكذا هو عطاء الأئمة عليهم السلام فإنه غير مجذوذ، ولقد تأدّبوا بآداب الإسلام والقرآن الكريم، فظهر الإسلام بسلوكهم بأبهى صوره، وبأسمى معانيه، وقد يسأل سائل: لماذا هذا العطاء الوفير؟ أليس هو تشجيع على الفقر والبطالة؟

والجواب: أنّ الإمام عليه السلام يعرف السائل، فهو الخبير بما تنطوي عليه النفوس والمتوسّم بدوافع السؤال، ثم إن الإمام عليه السلام كان يعطي ليرفع العوز ويقضي على الفقر.

لماذا الفقر:

بات البعض يتّهم الخالق جلَّ وعلا باختلاق التّفاوت الطبقي بين البشر، ويعزو إليه السبب في تكوين الطبقات، وأمّا اليهود فيتّهمون الباري عزّ وجلّ بالبخل، قال تعالى عن لسان اليهود: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[1].

وقد ظهرت نظريات عصرية تتّهم الباري عزّ وجلّ بالضيق، وهي تشابه نظرية اليهود من حيث لا تعلم أو تعلم، ومنها نظرية «مالتوس» التي تتهم الأرض بالضيق، وأنها تقبض يدها، وقد ردّ الكثير عليها، واعتبرها تناقض العلم والتطور التكنولوجي، وقد قرأتُ مقالة في مجلّة (العربي) وجدتها مفيدة في هذا المجال، وهي بعنوان: «مالتوس والمالتوسيون الجدد».

---

[1] المائدة: ٦٤.

فقد أكّد «توماس روبرت مالتوس: ١٧٦٦-١٨٣٤)، الباحث السكاني والاقتصادي الإنجليزي في حينه: «إن ثمّة علاقة وطيدة بين تطوّر عدد السكان وتطور كمية الإنتاج».

ولكنّه على النّقيض من ابن خلدون الذي تحدّث منذ القرن الرابع عشر عن الصلة الوطيدة بين عدد السكان ومستوى الحضارة، حيث إنّ عدد السكان يُشكّل عاملاً مهمّاً في تقسيم العمل والنمو.

زعم مالتوس بأنّ نموّ عدد السكان يفوق الزيادة في إنتاج المواد الغذائية، قائلاً بحتمية النقص في المواد الغذائية نسبة إلى زيادة عدد السكان، إذ: «إنّ قوّة السكان على التناسل أعظم من قوة الأرض على إنتاج القوت للإنسان».

فقد اعتبر «مالتوس» أن عدد السكان يزيد وفق متوالية هندسية بينما يزيد الإنتاج الزراعي وفق متوالية حسابية، ممّا يؤدّي حتماً إلى نقص الغذاء والسكن.

وصاغ «مالتوس» نظريته حول السكان في كتابه (بحث في مبدأ السكان) الصادر عام ١٧٩٨م، ويقول: «إن الرجل الذي ليس له من يعيله، والذي لا يستطيع أن يجد عملاً له في المجتمع سوف يجد أنْ ليس له نصيب من الغذاء على أرضه، فهو عضو زائد في (وليمة الطبيعة) حيث لا صحن له بين الصحون، فإنّ الطبيعة تأمره بمغادرة الزمن».

أثارت هذه النّظرية غير الإنسانية انتقاداتٍ حادّةً، كونها شكّلت أساساً نظرياً للكثير من الممارسات اللاإنسانية في عدد من الدول، ومسوّغاً للإبادة

الجماعية لكثير من الشعوب، حيث أجبرت بعض العرقيات، كالسود والهنود الحمر في أمريكا، على إجراء التّعقيم القسري.

رحل «مالتوس» ولكن نظريته ظلّت تجد لها مناصرين جُدداً، يرون ثمّة ارتباطاً وثيقاً بين مشكلة «الديموغرافية» والمشكلة الغذائية في العالم، معتبرين بأنّ نموّ سكان الكوكب يجري اليوم بوتائر أسرع بكثير من وتائر نمو إنتاج المواد الغذائية، والجدير بالذّكر أن المالتوسية تنتعش دائماً، وتجد لها أنصاراً جُدداً، كلّما واجهت الرأسمالية أزماتٍ جديدة، فيسعى هؤلاء لإثبات أنّ البؤس والجوع ليسا وليدي النّظام غير العادل نفسه، وإنما هما نتيجة مباشرة لظهور أفواه جديدة، وبأعداد كبيرة ومتزايدة على نحو يعجز الكوكب بموارده المحدودة والمتناقصة باستمرار عن إطعامهم.

وأحد هؤلاء المالتوسيين الجدد «وليام بلوم» يرى بأنّ عدد سكان الكوكب تضخّم على نحو مبالغ فيه، ويقترح «تخفيض نسبة الولادة بصورة حادّة، لأنّ خفض عدد السكان سيترك أثراً إيجابياً فيما يتعلّق بمسألة تزايد الدفء على المستوى الكوني وتوافر الماء والطعام».

ولتعليل رأيهم يقول «المالتوسيون الجدد»: بأن البشرية احتاجت إلى: «أربعة ملايين سنة لكي يصل عددها إلى مليارين نسمة، وإلى ٤٦ سنة لتضيف إلى عدد مليارين آخرين، ثم إلى ٢٢ سنة فقط لكي نضيف المليارين التاليين».

ولا ينفي المالتوسيون الجدد بأنّ نمو إنتاج المواد الغذائية في الماضي جرى على نحو أسرع من نمو عدد السكان، الأمر الذي أتاح زيادة حصّة

الفرد من المـواد الغذائيـة، وذلـك بفضـل التطـوّر التكنولـوجي فـي المجـال الزراعي، غير أنهـم يزعمـون بـأن بدايـة القـرن الحـادي والعشـرين شـهدت أمرين جديدين مثيرين للقلق فيما يتعلّق بإنتاج المواد الغذائية.

الردّ على نظرية «مالتوس»:

ردّاً علـى هـذه المـزاعم، يقـول «فريـد ماغـدوف» فـي (the monthly Review): «أنه لا توجد أيّ علاقة بين وجود مئات ملايين الجياع في العالم ونمو عدد السكان، فالسبب الفعلي يكمن في النظام الرأسمالي نفسـه، وفـي آلية عمله، والعلاقات الإنتاجية والاجتماعية في داخله».

ويؤكّد بأن ما يُنتج في الولايات المتحدة من مـواد غذائيـة يفـيض عـن حاجة سكّانها، ومع ذلـك يبقـى «الجـوع مشـكلة خطيـرة ولـو تقلّـص عـدد السكان الولايات المتحدة إلـى النصـف، فـإن الفـائض فـي المـواد الغذائيـة سيزيد، ولكن الجوع لن يزول، والأمر نفسه ينطبق على البلدان الأخرى».

ويضيف: «إنّ الفقراء في الهند يعانون الجوع فيما يـتعفّن فـائض القمـح في المخازن».

ويضيف: «فإنّ التقاليد الهندوسية تقضي بأن يبقى البقـر حيّـاً وحـرّاً فـي تصرّفاته، فيأكل مـا طـاب لـه ولا يؤكـل، مع العلـم أنّ الكثيـر مـن الشـعب الهندي يحتاج إليه، ولو تخلّصت الهندوسية مـن هـذا التقليـد الأجـوف لمـا بقي فقير فيها».

ومن الردود المهمة للردّ على نظرية مالتوس:

١- «نمط الإنتاج الكولونيالي».

٢- نمط الإنتاج المشوّه الأحادي الجانب الذي يقوم على التخصّص في إنتاج عدد محدود من السلع التقليدية، أو تلك الموجّهة للتصدير، والمرتبطة إلى حدّ التبعية الكاملة باقتصادات البلدان الصناعية المتقدّمة، كمثال على ذلك «فإنّ أمريكا أمرت بعض دول أمريكا الجنوبية بزراعة المطّاط لحسابها، وقد أخذت زراعة المطّاط مساحة واسعة من أراضي كوستاريكا، بحيث أثّر في اقتصادها، ممّا أثّر في الدخل القومي وفي المستوى المعيشي.

٣- إنّ تخلُّف غالبية البلدان النامية يتجلّى في تدنّي مستوى تطوّر القوى المنتجة في الزراعة، وفي تخصّصها الضيّق في مجالي الزراعة، وإنتاج المواد الأولية، وفي فقر السّواد الأعظم من السكان، وضعف قدراتهم الشّرائية، يفاقم بدوره المشكلةَ الغذائيةَ في هذه البلدان نسبةُ الأمية في البلدان العربية ٧٠٪ ، أمّا على صعيد العلم فإنّ ميزانية جميع الجامعات العربية لا تساوي ميزانية جامعة «بيركلي» بكاليفورنيا في الولايات المتحدة.

٤- والعامل الآخر في تفاقم مشكلة الفقر، والذي يعتبر ردّاً على نظرية مالتوس يتمثّل في الدور الذي تقوم به الشركات العابرة للقوميات في الاقتصاد العالمي، وفي اقتصادات البلدان النامية تحديداً، فهذه الشركات فرضت نفسها كلاعب رئيسي في أسواق المواد الغذائية، إنتاجاً وتسويقاً حيث تمارس احتكار المواد الغذائية، وتستخدمها في حالات عدّة كسلعة للمضاربة في أسواق أخضعت كلّ شيء للتسليع والمنطق والربح: الأرض

والماء والغذاء والدواء، وربّما الهواء، فقد صارت هذه الشركات تسيطر اليوم على مساحات شاسعة من الأراضي في الأرياف في البلدان النامية، سواء من خلال شرائها أم استئجارها لسنوات طويلة بمبالغ رمزية[١].

٥- استغلال الحكام للموارد والمصادر: ففي نظري فإن استغلال الحكام للموارد من أسوأ العوامل في تفاقم ظاهرة الفقر قديماً وحديثاً.

فعلى سبيل المثال فإنّ حاكم اليمن ـ وحتى يستغفل شعبه ـ استبدل زراعة الحمضيات وغيرها وهي أطيب ما تكون إلى زراعة «القات» الذي أخذ يلتهم العقول بشكل يثير الاستغراب، والمعروف عن القات أنه مخدّر ويؤدّي إلى أسوأ النتائج.

وهكذا في بقية البلدان فإنّ الحكّام استبدلوا الأدنى بالذي هو خير.

٦- ومن الأسباب في بقاء الفقر وتفاقمه: الإنفاق العسكري، والنزاعات الحربية، وتعاظم الإنفاق العسكري، هو من الأسباب الرئيسية في بروز ظاهرة الفقر وتفاقمها، فهناك أرقام فلكية في الإنفاق العسكري.

جاء في إحدى المقالات: «مجموع الإنفاق العسكري على مستوى العالم ككل سنة ٢٠٠٨م بلغ ١،٤٦٤ مليار دولار، بزيادة قدرها ٤٪ ».

وجاء في التقرير: «إنّ إنتاج غوّاصة نووية واحدة يساوي ميزانية التعليم السنوي لأكثر من ٢٦ بلداً نامياً فيها (١٨٠) مليون طفل في سنّ السادسة»[٢].

إنّ الإنفاق العسكري كما هو معروف مستهلك تماماً، وقد أخذت

---

[١] مجلة العربي الكويتية: العدد: ٦١٨، مقالة الدكتور محمد دياب.

[٢] مجلة العربي الكويتية: العدد: ٦٢٤، تاريخ: ٢٠١٠م.

الدول العظمى تساهم في تفاقم ظاهرة الفقر، باستيلائها على ثروات الشعوب، واستغلال كل مصدر حيوي يمكن أن يطوّر البلد النامي، ويجعله في مصاف الدول المتقدمة، ولكنها الأثرة والسيطرة والجشع استبدّت في حياة الدول العظمى، وهكذا أخذت تسيطر على مناجم الذهب والألماس وغيرها من المعادن في أفريقيا، وغيرها من الدول الفقيرة.

ثمّ إن الدول الاستعمارية أخذت في الآونة الأخيرة تنهج سلوكاً فجّاً للغاية يتمثّل في افتعال الأزمات السياسية في البلاد النامية، الأمر الذي أدّى إلى هجرة العقول والكفاءات والأموال، وبهجرتها حرمت البلاد من مصدر مهمّ في إثراء الاقتصاد والسياسة والثقافة.

إنّ معظم الأزمات الآن مفتعلة، وبأيدي استعمارية لها باع طويل في افتعال الأزمات، فهي تعرف الزمن المطلوب، والرجال المقتدرين لهذه المهمة القذرة.. فالاستعمار يصنع رجالاً من الداخل لهذه المهمّة «افتعال الأزمات». راجع (بروتوكولات حكماء صهيون) ترجمة محمد خليفة التونسي.

ويحزّ في نفسي أنّ هؤلاء الخونة يقومون بهذه المهمة كما لو أنهم يخدمون أوطانهم بكل اقتدار.

إنّ بقيام هؤلاء بخدمة الاستعمار إنما يساهمون في قتل الأجيال اللاحقة، وليس فقط الحاضرة، لأنهم يقضون بعملهم هذا على البُنى التحتية للوطن.

قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام لمالك الأشتر: «وإنّ أعظم الخيانة خيانة الأمة»[١].

---

[١] تاريخ الطبري: ج٣/ص١٤٧.

هذه جملة عوامل في تفاقم الفقر، وهناك عوامل أخرى مهمة، ولكن المجال لا يسع في استطرادها، وأتمنى من الكتّاب إشباع هذا الموضوع، كما أطلب من الباحثين والمخلصين إيلاء هذا الموضوع أهمية خاصة، ولاسيّما أن الفقر أخذ يطبق على الكثير من الدول ويتجاوز الحدود المعقولة بمسافات بعيدة مخلّفاً أسوأ الآثار والكوارث الاجتماعية والخُلُقية.

ولا يفوتني أن أذكر وأنا في نهاية المطاف أنّ الله عزّ وجلّ سخّر السماوات والأرض للإنسان.. قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1].

فإذا كان الباري عزّ وجلّ سخّر السماوات والأرض وأسبغ نعمه ظاهرة وباطنة.. فأيُّ فقر يبقى ويطول أمده؟؟!!

جاء في (مجلة العربي) العدد ٦٢٤: «ويكفي أن نعرف أن ما يصل من إشعاعات شمسية إلى كوكبنا خلال ساعة واحدة فقط من اليوم الواحد يكفي لسدّ احتياجاتنا من الطّاقة لمدة عام كامل، فمن المعروف أن ما يصلنا من أشعة الشمس يمكن تحويله بصورة مباشرة إلى طاقة نظيفة تعادل ما قيمته (١٠٠،٠٠٠) تيراوات، والتيراوات يساوي ألف مليار واط، وتلك القيمة تناظر ما يقرب من ٦٠٠٠ ضعف حجم استهلاك البشرية من الطاقة الأولية البالغة في عام ٢٠٠٩م نحو ١٣،٧ تيراوات أي ١٣،٧ ألف مليار وات».

ويمكن للبشرية استغلال هذه الطّاقة النظيفة كما يقول العلماء لتوفير

[1] لقمان: ٢٠.

المناخات العلمية المثالية، ولكن أنّى يكون ذلك والأنظمة الفاسدة تحول دون ذلك؟ كان يمكن لهذه المناخات العلمية أن تساهم بشكل فعّال في توفير الفرص للقضاء على الفقر، وتقليل منسوبه إلى أدنى ما يكون، ولكن ماذا تفعل بالجشع والأثرة والكفر؟..

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[1].

لقد أرجعت الأنظمة الحديثة البشرية إلى الوراء، كما لو أنها تعيش في القرون الوسطى، وشاهدت بنفسي مظاهر التخلّف.

فقد زُرتُ «ولاية أريزونا» وعندما تجوّلت رأيت فيها صوراً بشعة تحكي المأساة بعينها، فقد افترش الكثير من أبنائها الأرض بأغطية وسخة إلى جانب الأوساخ.

وقد حدّثني أكثر من واحد بهذه العبارة:

«وما جلبت لنا الحضارة الغربية غير الحروب والدمار والأمراض»..

وقالت الفتاة التي تدرس الطب في أمريكا: إنّ أستاذنا يقول:

«ماذا نصنع؟ إننا نقضي على مرض واحد فتظهر عشرة أمراض لا نعرف كيف نعالجها».

---

(1) المائدة: ٦٦.

صفحات خالدة:

جاء في (بحار الأنوار) للعلامة المجلسي قدس سره: دخل على الإمام الحسن عليه السلام جماعة وهو يأكل، فسلّموا وقعدوا. فقال عليه السلام: «هلمّوا فإنما وُضع الطعام ليُؤكل»[(١)].

وجاء أيضاً: مرّ الإمام الحسن عليه السلام على فقراء، وقد وضعوا كسيرات على الأرض، وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها.

فقالوا له: هلمّ يا بن بنت رسول الله إلى الغداء.

فنزل الإمام عليه السلام وقال: «إن الله لا يحب المستكبرين».

وجعل يأكل معهم، حتى اكتفوا، والزاد على حاله ببركته عليه السلام، ثم دعاهم إلى ضيافته وأطعمهم وكساهم[(٢)].

ثمّة علاقة وطيدة بين الإيمان والسلوك، فكما أنّ الإيمان يوفّر الطمأنينة في القلب، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[(٣)].. فإنّه يحدّد السلوك الإنساني، ويعمّق الحسّ الإنساني لدى الإنسان، والحسُّ الإنساني هو أحد الأحاسيس الأربعة في الإنسان، وينمو الحسُّ الإنساني عبر الممارسة العملية للسلوك الحميد وباضطراد السلوك الحميد، فإنه يدفع بالحس الإنساني إلى القمّة، عند ذلك

---

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٣/ص٣٤٢.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٣/ص٣٥١.

(٣) الرعد: ٢٨.

يربأ الإنسان عن الهبوط إلى السفح، وحتى إذا نزل إلى السفح فإنه قد أحاط علماً بكل تفاصيله، والتضاريس الصغرى، والإنسان إذا ارتقى سلّم الكمال يزداد قوةً في الصعود، وهذه نقطة جديرة بالملاحظة، حيث يزداد الإنسان بصيرة وشجاعة فيما إذا تطلّب منه موقفٌ سامٍ مثل الإيثار، فإنه يُقدم بكل اقتدار.

وصفة الإيثار تُعدّ من العوامل المهمة في إنجاح الثورات والنهضات الإنسانية، وقد أدّت دوراً مهماً في نهضة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، فقد امتاز أصحاب الإمام أبي عبد الله عليه السلام بالإيثار والشهامة والإقدام، وفي مقدمتهم قمر بني هاشم عليه السلام الذي ضرب أروع الأمثلة في الصفات العالية، ومنها الإيثار، فقد آثر أخاه الإمام المولى عليه السلام بكل ما يملك، فقدّم إخوته الثلاثة قرباناً على مذبح العقيدة، ثم تلاهم في الشهادة، ولو كان أبو الفضل العباس عليه السلام يملك أغلى من نفسه لقدّمها قرباناً في سبيل الله والإسلام لنفاد بصيرته، وصلب إيمانه.

قال الإمام الصادق عليه السلام : «كان عمّي العباس نافذ البصيرة، صلب الإيمان، آثر أخاه الحسين عليه السلام ، فقتل بين يديه».

وقد ارتقت همّة أبي الفضل عليه السلام بعد أن تحلّى بالصّفات السّامية من قبيل الجود والكرم والشهامة والبطولة واحترام المولى الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، فالمرء إذا تحلّى بصفة سامية فإنها تدفعه إلى اكتساب صفة أخرى، وهكذا إلى أن يتسلّق قمّة الفضائل، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾[1].

---

[1] محمد: ١٧.

إنّ الممارسة الفعلية لعمل الخير تُعدّ من أهمّ العوامل في اكتساب الصفات الأخلاقية، حيث تحدث وقعاً في طيّباً قلب العامل فيهفو إلى الطيب، لذلك فإنّ الأئمة عليهم السلام مارسوها بكل إخلاص وتفانٍ، فتجلّت الصفات الخلقية بأروع صورها في سلوكهم العالي.

لقد سلك الإمام الحسن عليه السلام مع المجتمع الإسلامي سلوكاً عالياً ترصّعت فيه صفات جدّه رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، ممّا عزّز الثّقة في نفوس الناس بالدين الحنيف بعد أن تعرّضت ثقتهم بالإسلام إلى ضربات موجعة من قبل الحكام الأمويين، وغيرهم.

التكافل الاجتماعي.. عطاء الإمام الكثير:

وقد يسأل البعض: لماذا هذا العطاء الكثير من الإمام أبي محمد عليه السلام ؟

الجواب:

أولاً: إنّ الإمام الحسن (صلوات الله عليه) كان ينطلق بعطائه السخيِّ من فهمه العميق للمعاني العظيمة التي يتضمّنها العطاء، فهو من الصفات التي تقرّب الإنسان إلى الله عزّ وجلّ، فقد ورد في الحديث: «السخيُّ قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار»[1].

وفي الحديث: «إنّ الجود شجرة في الجنة، وأغصانها في الدنيا، فمن تعلّق بها قادته إلى الجنة، وإنّ البخل شجرة أصلها في النار، وأوراقها في

[1] سنن الترمذي: ج٤/ص٣٤٢.

الدنيا، فمن تعلّق بها قادته إلى النار»[١].

ثانياً: إنّ الإمام الحسن عليه السلام قد اكتنز الصورة الحقيقية للآخرة، فهي أقرب ما تكون إليه، لذلك استحقر الدنيا وزينتها وزخرفها، فهي متاع ليس إلا، وما على الإنسان إلا أن يتزوّد منها لآخرته، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[٢].

وهناك قاعدة مهمّة؛ فمن تعلّق بالآخرة زهد في الدنيا.

ثالثاً: إنّ عطاء الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) كان يمثّل سمواً للإنسان، وتكريماً، وليس استحقاراً واستصغاراً لشأنه.

فعطاء الإمام أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام كان يمثّل عملية إنقاذ حقيقي من وحشة الفقر والمسكنة.

فجود الإمام عليه السلام كان يطوي صفحة الفقر والذلّ إلى الأبد، بحيث يبدأ الإنسان مشواره الإنساني الرفيع، فكان يجسّد مبدأ التكافل الاجتماعي بأروع صوره.

إنّ مبدأ التكافل الاجتماعي في الإسلام قائم على قطع جذور الفقر، وكل أشكال الاستجداء.. فالدولة الإسلامية التي كانت قائمة بقيادة أمير المؤمنين عليه السلام طبّقت مبدأ التكافل الاجتماعي بشكل رائع، فقد أقدم الإمام على خطوات اجتثّت أصول الفقر، وذلك عندما وفّر العطاء لكل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي.

---

[١] قبس من نور فاطمة: (المؤلف) الشيخ حسن الشمري، حكم الزهراء عليها السلام.

[٢] البقرة: ١٩٧.

ثانياً: قضى على الطبقية التي أحدثها عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وبذلك وفّر أموالاً غطّت جميع طبقات المجتمع.

ثالثاً: وفّر فرص العمل لجميع طبقات المجتمع بما فيهم الأقليات الدينية.

رابعاً: هو أول رئيس دولة يعتمد الضمان الاجتماعي، ففي الواقعة المشهورة كما ينقلها «جورج جرداق» في كتابه (علي صوت العدالة الإنسانية) فإنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان يتمشّى، فرأى شيخاً مسناً يستعطي.

فقال الإمام عليه السلام: «ما هذا؟». (ولم يقل من هذا؟)

فردّ بعض الأصحاب، وقال: يا أمير المؤمنين «هذا كتابيٌّ».

فقال الإمام (صلوات الله عليه): «وإن كان كتابياً، استعملتموه شاباً وعندما كبر تركتموه يتسوّل! أجروا له من بيت المال».

خامساً: فإنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وحتى يثبت أعمدة التكافل الاجتماعي ساوى نفسه مع أضعف الناس، وقال عبارته المشهورة: «ولعل بالحجاز أو اليمامة مَن لا طَمَعَ له في القرص، ولا عهْدَ له بالشبع، أوَ أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى، وأكباد حرّى»[1].

سادساً: أعطى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام المعنى الحقيقي للتكافل الاجتماعي وذلك عندما شنّ حملة واسعة ضدّ الولاة المفسدين الذين تلاعبوا بأموال الدولة في زمن عثمان بن عفان، وبهذه الخطوة فإن الإمام

[1] شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، ج١٦/ص٢٨١.

(صلوات الله عليه) عبّد الطريق أمام تطبيق مبدأ التكافل الاجتماعي.

ومن جانب فإنّ الإمام (صلوات الله عليه وعلى آله) كان يشرف بنفسه على تطبيق مفردات التكافل الاجتماعي، فوضع «العيون» لتفقّد الولاة، فكانت الأخبار تترى عليه تباعاً.

حسن الاستماع وحسن الإجابة:

جاء في (الروايات): أنّ الإمام الحسن عليه السلام سار في بعض طرقات المدينة المنورة، وقد لبس حلّةً فاخرة، وركب بغلة فارهة، ووجهه الشّريف يشرق حُسناً وجَمالاً، وقد حفّت به خدمه وحاشيته، فرآه يهودي، فبادر إليه، وقال له: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله عندي سؤال.

فقال عليه السلام: ما هو؟

قال: إنّ جدّك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[1]، وأنت مؤمن وأنا كافر، فما أرى الدنيا إلا جنة تتنعّم بها، وتستلذّ بها، وما أراها إلا سجناً لي قد أهلكني ضرّها، وأتلفني فقرها.

فأجاب الإمام عليه السلام:

«لو نظرت إلى ما أعدّ الله لي وللمؤمنين في الدار الآخرة ممّا لا عينٌ رأت و لا أذن سمعت، لعلمت أني قبل انتقالي إليه في هذه الدنيا في سجن ضنك، ولو نظرتَ إلى ما أعدّ الله لك، ولكل كافر في الدار الآخرة من سعير نار جهنّم، ونكال العذاب الأليم المقيم لرأيت أنك قبل مصيرك إليه الآن في

---

[1] صحيح مسلم: ج٤/ص٢٢٧٢.

جنة واسعة ونعمة جامعة»[١].

لقد مارست الأقليات الدينية طقوسها الدينية في حاضرة المدينة المنورة، وغيرها من المدن بحرية تامة وأمان، فالإسلام ضمن للأقليات حقوقاً أساسية، منها حرية التعبير والرأي والعمل وغيرها من الحقوق الأساسية.

جاء في كتاب (نظرة جديدة لرسول الله صلى الله عليه وآله) لوزير خارجية رومانيا السابق: «إنّ الدستور الإسلامي في المدينة المنورة تضمّن (٥٦ مادة) ٢٧ منها تخصّ الأقليات الدينية»[٢].

وقد مارس اليهود ـ على خطورتهم ـ كافة حقوقهم الأساسية في المدينة المنورة، حتى أضحى كيانهم في المدينة المنورة أقوى بكثير من خيبر وغيرها، فكانت قبائل قينقاع وبني النضير وبني قريظة تساكن المسلمين.

وقد نظّم الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله العلاقة مع الكيانات اليهودية على أساس الاحترام المتبادل، والمصالح المشتركة على تعبير عصرنا، وقد تضمنت الاتفاقية بنوداً مهمّة تحفظ الكيان اليهودي من أي اعتداء قد يقع عليهم من خارج المدينة ومن داخلها، وكانت تحلم الكيانات اليهودية بهذه المنافع والحقوق، وقد تكون فوجئت بهذه البنود التي تصبّ في صالح الكيان اليهودي.

---

[١] الفصول المهمة: لابن الصباغ المالكي، ص١٦١، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٣/ص٣٤٦.

[٢] نظرة جديدة لرسول الله صلى الله عليه وآله : لوزير خارجية رومانيا السابق.

لأن اليهود ـ وعلى مرّ التاريخ ـ كانوا يتعرّضون لحملات إبادة من جرّاء مؤامراتهم القذرة، قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾[1]، فكانت الدول تضيّق الخناق عليهم، بل في بعض الأحيان يبنون سوراً محكماً حول بيوتهم.

ومن جانب فإن اليهود في المدينة المنورة كانوا يبغون الغوائل للمسلمين، ويوغرون صدور المنافقين، بقيادة عبد الله بن أُبي، الذي تحوَّل إلى ندٍ خطير للإسلام ولرسول الله محمد صلى الله عليه وآله ، وفي نظري فإنّ اليهود هم الذين صنعوا المنافقين، وجعلوا منهم حجر عثرة في طريق الإسلام، كما وأنهم تحالفوا مع قريش، فشكّلوا حلفاً غير مقدَّس للقضاء على الدولة الفتيّة.

فقد تحالفت بنو قريظة في معركة الخندق مع قريش، ممّا شكّل خطراً حقيقياً على الإسلام.

وكاد الحلف أن يحقّق مآربه الخطرة، ولكن حنكة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله أفشلت الخطّة، فتراجعَ الخطر.

واللافت للنّظر أنّ الإسلام بقيادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لم يبن سياسته على الردّ بالمثل، بالرغم من حجم المؤامرات اليهودية، فكان يقتصّ من رؤوسهم، ثم يفسح المجال للبقية بممارسة شعائرهم، بعكس التّعاليم اليهودية التي تبني سياستها على السحق والدماء والإبادة الجماعية، وعندما حطّم المسلمون بقيادة بطل الإسلام الخالد علي بن أبي طالب عليه السلام

[1] المائدة: ٦٤.

حصونهم الأساسية في خيبر، قضت السياسة الإسلامية ببقائهم بشرط عدم التعرُّض للمسلمين، وإعطاء حقوق أهل الذمة.

إنّ السياسة الإسلامية مبنيّة على احتواء الآخرين بطرق سلمية، وإعطاء هامشٍ للحوارات وللدبلوماسية، وهذا ما حدث في جميع خطوات الرسول محمد صلى الله عليه وآله .

ويعتبر الحوار وتهيئة الأجواء للطرق السلمية من الثوابت المهمة في السياسة الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾[1]..

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾[2]..

فمبدأ السّلم من الثوابت الأساسية في السياسة الإسلامية، أما إذا كان بعض الحكام يلتجئ إلى الطرق العنيفة، وشنّ الحروب، فهذه السياسة ليست من الإسلام في شيء، وإنما هي اجتهادات شخصية جاءت وفق رؤى تخالف الإسلام.

فالإسلام يتوسّل الحلول السلمية ويعتبرها الحل الأمثل في فضّ النزاعات بين الأمم، كما هو منصوص في قرارات الأمم المتحدة.

وهو يعالج الأزمات بأساليب حضارية بعيدة عن التهوّر، ونزعة الهيمنة.

جاء في كتاب للدكتور مصطفى الرافعي: يقول آنشتاين: «عظمة الإسلام تكمن في ثلاثة عوامل:

١- أنه أحدثُ الأديان.

---

[1] الأنفال: ٦١.

[2] البقرة: ٢٠٨.

٢- لم يخاصم العلمَ.

٣- أنه يعالج أزمات العالم الحاضر»[1].

وإذا كنا نستحضر اعتراض اليهودي على الإمام الحسن (عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام) فإنّ الإمام (صلوات الله عليه) ردّ على اليهودي بكلام ذي معنى كبير وغزير، ينمّ عن الفهم الواسع لحياة الدنيا والآخرة، وصدق الله تعالى حيث يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]..

فقد بيّن الإمام عليه السلام حقيقةً مهمّةً ينبغي وضعها في خَلَد الإنسان.. فـ«الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»[3].

وقد تكونان سجناً للكافر بالذات في هذا العصر الذي كثرت فيه الأزمات الخانقة، ويمكن أن نطلق عليه «عصر الأزمات الخانقة» لأن المدنيّة الحديثة طلّقت الأخلاق، والدين الصحيح، فباتا على طرفي نقيض ممّا ولّد آثاراً سلبية، لذلك فإنّ الإنسان يحتاج إلى حبل نجاة (أو طوق نجاة) ليتخلّص من تداعيات عصر الأزمات، وآثاره السلبية التي باتت تقلّص فرص الأمان والاطمئنان.

جاء في تقرير (وهو معروف لدى الأوساط العلمية): «إنّ الولايات المتحدة الأمريكية تُعدّ من أكثر الدول التي تُعاني من الأزمات النفسية، لذلك فإن الشعب الأمريكي هو الأول في العالم في تناول الحبوب المهدّئة

---

[1] نقلاً عن كتاب للدكتور مصطفى الرافعي، ص١٤.

[2] النحل: ٤٣.

[3] صحيح مسلم: ج٤/ص٢٢٧٢.

للأعصاب».

وأنا عشت في أمريكا ما ينوف على أحد عشر عاماً فوجدت الشعب الأمريكي غاطساً إلى أذنيه في الأزمات الأخلاقية والنفسية، فهناك أزمات نفسية عاصفة، وحوادث مرّة للغاية، وقد تكون قضية المخدرات من أخطر المشكلات التي يتعرّض لها الشعب الأمريكي، وكنت أطابق بين المعلومات التي قرأتها في كتاب (خمسون حقيقة ينبغي أن تغيّر العالم) لجيسيكا، وبين الواقع الأمريكي، فوجدت الأرقام تُعدّ نسبية، وحتى يتخلّص الشعب الأمريكي من السجن عليه أن يفيء إلى الإسلام، ويتمسّك به، لأنه يشكّل الحلّ الأمثل لجميع الأزمات، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾[1].

وقد شاهدت الذين أسلموا في أمريكا كيف أن حياتهم استقرّت ورست على ساحل الأمان مما يدلّ على صدق إسلامهم، وقال أكثر من واحد: إننا كنّا في عالم الأموات فأصبحنا في عالم الأحياء.

وهكذا هو الدين الإسلامي الحنيف، فإنه يُحيي العقل والقلب والنفس، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾[2].

فالإسلام يحيي العقل بالعلم، قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ

---

(1) الأنعام: ٨٢.

(2) الأنفال: ٢٤.

وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[(٢)].

الإسلام يدعو إلى التفكُّر (التدبُّر) في خلق السماوات والأرض، والتفكير ـ كما هو ثابت في علم النفس الاجتماعي ـ يشحذ الطّاقة العقلية.

وكما أنه يحيي القلب بالإيمان، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾[(٣)].

والدين الإسلامي انفرد بهذه الميّزة، فهو يبني الإنسان من الداخل، ويرفده بأنهار المعرفة وبالحكمة والعلم، وهذه الميّزات لن تتوافر في أيّ مذهب آخر.

الرحمة والرأفة:

جاء في (بحار الأنوار):

يقول نجيح: رأيت الحسن بن علي عليه السلام يأكل وبين يديه كلب، كلّما أكل لقمة طرح للكلب مثلها، فقلت له: يا بن رسول الله، ألا أرجم هذا الكلب عن طعامك؟

فقال الإمام عليه السلام: «دعه، إني لأستحي من الله عزّ وجلّ أن يكون ذو

(١) المجادلة: ١١.

(٢) آل عمران: ١٩١.

(٣) الرعد: ٢٨.

روح ينظر في وجهي وأنا آكل ثم لا أطعمه[١]».

وجاء في (البداية والنهاية) لابن كثير الدمشقي: أنّ الحسن عليه السلام رأى غلاماً أسود يأكل من رغيفٍ لقمة ويطعم كلباً لقمة.

فقال له: ما حملك على هذا؟

قال: إني أستحي منه أن آكل ولا أطعمه.

فقال له الحسن عليه السلام: لا تبرح من مكانك حتى آتيك.

فذهب إلى سيّده فاشتراه، واشترى الحائط الذي هو فيه، فأعتقه وملّكه الحائط.

فقال الغلام: يا مولاي، قد وهبت الحائط للذي وهبتني له[٢].

إنّها الإنسانية بأعلى صورها، وأعظم معانيها، فقد راعى الإمام عليه السلام حقوق الحيوان، وجسّد الصورة الصحيحة لمُثُل الإسلام إزاء الكائنات المخلوقة، حتى لو كانت حيواناتٍ مثل الكلب وغيره، فهو ذو روح وهي مقدسة، لأنها نزلت من السماء وسكنت الكائن الحي، والكلب من الحيوانات الأليفة التي تمتاز بخصال مهمّة، منها: الوفاء وهي من أمّهات الصفات، والدفاع عن صاحبه حتى الموت، والقناعة.

قلت في إحدى المحاضرات: إنّ كل شيء في الوجود حجّة علينا في يوم القيامة، ومنها الكلب، فهو حجّة على البشر لأنه يمتاز بالوفاء بالرغم من ضعفه، وقلة عقله، فهو لا يقاس بالإنسان، ولكن مع ذلك فإنّ الكلب لن

---

[١] بحار الأنوار: ج٤٣/ص٣٥٢.

[٢] البداية والنهاية: ابن كثير، ج٨/ص٣٨.

يتخلّى عن صفة الوفاء إذا عرف صاحبه، بعكس بعض الناس فإنه يتنكّر حتى لو ألقمته الدنيا.

لقد باتت حالة «عدم الوفاء» ظاهرة طاغية في مجتمعاتنا، ومألوفة حتى عند من كان قريباً إلى القيم، لا أعرف ماذا حلّ بنا حتى بتنا نتنكّر لمثل قِيَمه.

ومن جرّاء هذا الفهم الخاطئ لهذه الصفة وغيرها أخذت مجتمعاتنا العربية والإسلامية تنحدر نحو الحضيض مسجّلة أرقاماً قياسية في القطيعة والتشرذم لأن الصفات الأخلاقية تشدّ العلاقات الاجتماعية وتسمو بها.

نرجع إلى الكلب الوفي، فصار يُضرب به المثل في الوفاء، ولكن ـ ومع احترامي للبشر ـ فكم منهم الآن يضرب بهم المثل بصفة الوفاء؟ وكم منهم يضرب به المثل في الدفاع عن أخيه المؤمن وهو يواجه الشدائد المُرّة؟

فقد سمعت من يتحدث بمرارة عن الخذلان في ساعة العسرة، وعن النكوص في إبداء المساعدة، مسوّغاً ذلك بالضعف وعدم القدرة، وتارة بكثرة المشاكل التي ينوء بها.

أقول: وهل الضعف والتشرذم إلا نتيجة منطقية للنكوص والخذلان؟!!

ثم إنّ هؤلاء لا يعرفون سنن الحياة، فالضعف الذي يتسرّب إلى النفوس، والخذلان إنما يعودان إلى الأنانية المقيتة، وحب الأنا المفرط، ومن سنن الحياة الثابتة أنها لا تبقى على حال.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾[1].

---

(1) آل عمران: ١٤٠.

وقال أمير الحكماء عليه السلام: «الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، فإن كان لك فلا تبطر، وإن كان عليك فاصبر، فبكليهما أنت مختبر»[(١)].

وقال المولى أبو عبد الله الحسين (روحي له الفداء) وهو يصف الدنيا: «متصرّفة بأهلها من حالٍ بعد حال، فالمغرور من غرّته، والشقي من فتنته»[(٢)].

وحتى أقرّب المثل: التجأ بعض المؤمنين إلى الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وكانت تربطهم ببعض العوائل الإيرانية علاقة قرابة، ومن شدة الضنك ذهب هؤلاء اللاجئون إلى «القرابة»، ولكن فُوجئوا بالاستقبال البارد وعدم الاهتمام، حتى إنهم لم يسألوهم: ما الذي حدث وجاء بهم إلى إيران؟

لقد تنكّروا كلياً، وكأن لم تكن هناك قرابة بينهم، ممّا اضطر هؤلاء إلى البعد عنهم.

وكرّت الأيام ويسقط الصنم المعبود في العراق تحت أرجل الأطفال، وتفتح أبواب الفرج للمؤمنين من العراق وإيران، ثم بدأت الزيارات، وإذا بأقرباء هؤلاء اللاجئين يأتون لزيارة العراق، ويطلبون التعرّف طالبين العذر على ما بدر منهم.

على كل حال، فإنّ الأيام دول «لو دامت لغيرك لما وصلت إليك، وإنْ وصلت إليك فلن تبقى بين يديك».

فكن حَذِراً أيّها الإنسان، واستغلّ الأيام لخدمة إخوتك في الدين حتى

(١) البصائر والذخائر: التوحيدي، ج١/ص١٥٧.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٥/ص٥.

تدوم النعم.

ورد في الحديث: «بالشكر تدوم النعم»[١].

وتبقى مسألة الرفق بالحيوان من المسائل المهمّة في القوانين الإسلامية، فلها حرمة، وهي أممٌ كما اصطلح عليها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾[٢].

وقد حرّم الباري عزّ وجلّ على الحاج قتل «الهوام» في الحرم المكي في أثناء الحجّ، ومن قتل منها فعليه دية.

وقد ذكر الباري عزّ وجلّ الكثير من الحيوانات في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٣].

وذكر الباري محاسن مهمة للنملة:

أولاً: نصيحتها للنمل: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾[٤].

ثانياً: فهمها للنبي سليمان عليه السلام وجنوده، فقال: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[٥].

---

[١] غرر الحكم: الآمدي، ص٢٧٨.

[٢] الأنعام: ٣٨.

[٣] النمل: ١٨.

[٤] النمل: ١٨.

[٥] النمل: ١٨.

وكذلك ذكر محاسن الغراب: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾[1].

وكذلك الهدهد، قال للنبي سليمان عليه السلام: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ۝٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٖ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[2].

وذكر النحل، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾[3].

وذكر العنكبوت، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾[4].

والكثير من الحيوانات، ممّا يدلّ على اهتمام الإسلام بالحيوانات، وأنها مخلوق يخدم الإنسانية.

وممّا يلفت النظر، فإنّ القرآن الحكيم ذكر مهام الحيوانات وعملها الذي يصبّ في خدمة الإنسان.

وذكر السماوات والأرض.

---

[1] المائدة: ٣١.

[2] النمل: ٢٢-٢٣.

[3] النحل: ٦٨.

[4] العنكبوت: ٤١.

وهذا دليل على عظمة الإنسان.

ولكن ممّا يؤسف له أنّ الإنسان لا يعرف قيمته، ولا يقدّر مكانته عند الله عزّ وجلّ، فتراه يسلك سُبلاً ظالمة في تصغير كيانه، وتقليل شأنه، والمشكلة في هذا الأمر أنّ الإنسان إذا أحسّ بالضعة والهوان، فهو لا يربأ بنفسه عن استعمال أحقر السُّبل في تأمين العيش، وقد يسفّ إلى درجة أن لا يرى حرمة حتى كريمته وأولاده.

حدثني أحد الإخوة، وكان مديراً لبناية سكنية، قال: جاءني رجل مع بنت وطلب مني غرفة فأعطيته، بعدها جاءني في اليوم الثاني، وقال: هذه الغرفة غالية علينا، ولكن مع ذلك فإن أختك ـ ويعني بها ابنته ـ سوف تذهب وترقص حتى تؤمن المبلغ المطلوب.

يقول المدير: عندما سمعت هذه العبارة صعقت، فقلت له: ماذا تعني من كلامك؟

قال: أختك راقصة.

فقلت له: ولماذا تقول أختك؟ هي ابنتك، يا (بعيد) اخرج من هذا المكان.

وهكذا يسفّ الإنسان إلى درجة ينسلخ من كل معاني الإنسانية، فينقلب إلى حيوان، بل هي كثيرة عليه كلمة (حيوان).

على كل حال، فإن الإسلام اهتمّ بالموجودات برمّتها، وأعطاها حقوقاً أساسية، هي أكثر بكثير مما يتبجّح به الغربيون الآن.

وقد ضرب الإمام الحسين عليه السلام أروع الأمثلة في ذلك، فعندما التقى

بالحرّ بن يزيد الرياحي قرب الغاضريات كان قد أخذ العطش من جيش الحر بن يزيد الرياحي مأخذاً، فأمر الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام بسقي القوم والخيل.

فقال (صلوات الله عليه): «اسقوا القوم ورشّفوا الخيل ترشيفاً»[1].

هكذا قدّم الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام الماء بالرغم من قلّته وندرته، ولكنه الخلق الحسيني الذي اشتقّ أصوله من رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ، فجاء رفيعاً في كل معانيه، ويبقى الخُلق الحسيني يسمو على مرِّ العصور وكرِّ الدُّهور، ولا ننسى هذه الصورة وإن تقادم الزمان.

لقد صنع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء ملحمة الحق والحقيقة، ووضع الحدود التي لا يمكن أن تتلاشى بين الحق والباطل، فاستلّ الحق من براثن الباطل، فغدا الحق ناصعاً وسامياً[2].

ولا أنسى هذه الصورة كما لا تنساها الإنسانية عندما آثر الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام جواده بالماء، فعندما اقترب إلى المشرعة أراد أن يشرب، سبقه جواده، فقال الإمام عليه السلام : أنت عطشان وأنا عطشان، فوالله لا أشرب حتى تشرب.

فرفع جواد الإمام عليه السلام رأسه، وكأنه فهم كلام الإمام عليه السلام ولم يشرب، والحيوانات تفهم كلام الإنسان خصوصاً الجواد الأصيل، وهو يحترم راكبه إذا كان أصيلاً وشجاعاً، فللحيوانات قوانين أخلاقية.

---

(١) الكامل في التاريخ: الشيباني، ج٣/ص٤٠٧.

(٢) راجع قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام للمؤلف.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾[١].

وجاء في (الكافي):

عن أبي علي الأشعري، عن محمد بن عبد الجبار، عن الحجال، وابن فضال، عن ثعلبة، عن يعقوب بن سالم، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«مهما أبهم على البهائم من شيء فلا يُبهم عليها أربع خصال: معرفة أنّ لها خالقاً، ومعرفة طلب الرزق، ومعرفة الذكر من الأنثى، ومخافة الموت»[٢].

وقد شاهدت فلماً راعني كثيراً، فقد شاهدت فيلاً يرسم لوحاتٍ.

وأكثر من ذلك فقد شاهدت فلماً يُعدّ حجة على الإنسان، رأيت أحد القرود يدير بيتاً بالكامل، فهو يصنع الشاي، ويهيّئ وجبة الصباح، ويعدُّ الملابس لصاحب البيت، ويذهب إلى السوق..

فسلوكه يجسّد الآية المباركة:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾[٣].

وهذا القرد حجّةٌ بالغة على الذين يتهاونون في طلب العيش ودرسٌ لبعض الأزواج الذين يستنكفون من إدارة البيت.

---

[١] الأنعام: ٣٨.

[٢] الكافي: الشيخ الكليني، ج٦/ص٥٣٩، باب نوادر في الدواب.

[٣] الأنعام: ٣٨.

صفحات خالدة:

ومن مكارم أخلاقه: أنه كان يغضي عمّن أساء إليه، ويقابله بالإحسان، فقد كانت عنده شاةٌ فوجدها يوماً قد كُسرت رجلها.

فقال عليه السلام لغلامه: من فعل هذا بها؟

قال: أنا.

فقال عليه السلام: لم ذلك؟

قال: لأجلب لك الهمّ والغمّ.

فتبسّم الإمام عليه السلام وقال له: لأسُرَّنَّك.

فأعتقه، وأجزل له العطاء.

ومن عظيم أخلاقه: أنه كان جالساً في مكان، فأراد الانصراف منه، فجاءه فقير فرحَّب به ولاطفه، وقال له: إنك جلست إلينا على حين قيام منّا، أفتأذن؟[1].

واجتاز على الإمام عليه السلام شخص من أهل الشام ممّن غذّاهم معاوية بالكراهية والحقد على آل البيت عليهم السلام، فجعل يكيل للإمام عليه السلام السبّ والشتم، والإمام عليه السلام ساكت لم يردّ عليه شيئاً من مقالته، وبعد فراغه التفت الإمام، فخاطبه بناعم القول، وقابله ببسمات فيّاضة بالبشر، قائلاً: «أيها الشيخ، أظنّك غريباً، ولعلك شبّهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا أحملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً

---

(1) عيون الأخبار: ابن قتيبة الدينوري، ج١/ص١٢٩.

آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا وكنت ضيفاً إلى رقت ارتحالك كان أعود عليك لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً»[١].

ومن آيات كرمه وفضائله: أنه اشترى حائطاً (بستان) من الأنصار بأربعمئة، فبلغه أنهم قد احتاجوا إلى ما في أيدي الناس، فردّه إليهم.

ومن مكارمه عليه السلام: أن جارية حيّته بطاقة من ريحان.

فقال عليه السلام لها: أنت حرّة لوجه الله.

فلامه أنس بن مالك مولى رسول الله صلى الله عليه وآله على ذلك.

فأجابه عليه السلام: أدّبنا الله، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾[٢]، (وكان أحسن منها إعتاقها).

لقد أفلح الإمام أبو محمد الحسن المجتبى عليه السلام في إخصاب الأرض الجدبة بمعالم الإسلام، وسقيها باستمرار، بعدما حاول معاوية قلع جذور الأخلاق منها.

إنّ مهمة الإمام أبي محمد (صلوات الله عليه) كانت عسيرةً للغاية، فقد اصطدمت بعقبات كؤودة، فالمجتمع الإسلامي كان يعاني من عدّة أمراض مزمنة منها: الترهّل، والتكلّس، والفوقية، والكبرياء، وهذه أمراض تعدُّ من وجهة نظر الأخلاقيين خطيرة وفتّاكة تحتاج إلى أمصال قوية كي توقف زحفها في كيان المجتمع الذي يعاني منها.

---

[١] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٣/ص٣٤٤، باب ١٦، مكارم أخلاقه وعمله وعلمه.

[٢] النساء: ٨٦.

لذلك فإنّ مهمّة الإمام الحسن (صلوات الله عليه) كانت ثقيلة، ومع ذلك استطاع أن يخصب الأرض بقيم الإسلام ممّا أثّر تباعاً في نفوس المسلمين.

فتخرّجت ثلّة مؤمنة لا تقلّ إيماناً عن أصحاب رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وهذه الثلّة المؤمنة استطاعت أن تؤمّن الإمدادات الحيوية لقيم الإسلام وفي أشد الظروف التي كانت تهدّد المجتمع الإسلامي.

فمعاوية كان يشكّل تهديداً مباشراً لقيم الإسلام، فقد حاول بمكائده الشيطانية الإجهاز على تلك الخطوط والمراكز الحيوية، فسعى بعد أن غلّف شخصيته بلباس الدين إلى القضاء على شخصية رسول الله محمد صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد استعمل لهذا الغرض أساليبَ قذرة، فهو كان يعطي للصغار خروفاً يرتعون معه، وبينما هم كذلك إذ تأتي زبانية معاوية فيأخذونه منهم، فيضجّ الأطفال بالبكاء والنحيب، ويسألون: من الذي أخذه منهم؟

فيقول الزبانية: أتعلمون من أخذ الخروف؟ إنه علي بن أبي طالب.

عندها يأخذ الأطفال بسبّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وكان ينبغي للإمام أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام أن ينتهج مع المجتمع الإسلامي الذي تشبّع بروح السلبية إزاء النبي محمد صلى الله عليه وآله والإمام أمير المؤمنين عليه السلام نهجاً يجسّد الأخلاق بكمالها وتمامها، لأن أخلاق الأئمة عليهم السلام كانت تنطلق من معدن طيّب وطاهر، فتأتي رقراقة وصافية صفاء معدنهم الطيب، إن الأخلاق إذا انطلقت مع طبيعتها الأصليةِ يكون لها وقع عظيم.

وفي نظري فإنّ الأخلاق هي من أفضل الطرق وأقصرها في تغيير

الإنسان، لذلك قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[٣].

إنّ الإنسان مهما أوتي من العلم والثقافة لا يستطيع أن يغيّر فرداً واحداً، ناهيك عن تغيير الآخرين، ما لم يرصّع نفسه بالقيم الأخلاقية، ويسمو بها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾[٤].

هذا هو الواقع، فالإنسان ما لم يغيّر ما بنفسه ويطهّرها من الشّوائب لا يمكنه تغيير الآخرين، وتُعدّ هذه النقطة منطلق التّغيير الأساسي، لأنّ تشذيب النفس من الشّوائب يطلق منابع القوى النفسانية.

إنّ البعض يبتغي التغيير ولكنه يشكو من تلكؤ الناس ونكوصهم، وقلّة اهتمامهم، وهذا ما يحدث لبعض الخطباء، فهو يشكو من عدم التأثير ويعزو السبب إلى الناس، ويصفهم بالهمج الرعاع (والعياذ بالله)، والسادية، وغيرها من الأوصاف، ويبرِّئ نفسه، والمثل يقول: «من يگول لبني حامض؟».

دعاني أحد الإخوة لحضور مجلس عزاء حسيني، فلبّيت الدعوة، وكانت

---

[١] النحل: ١٢٥.

[٢] فصلت: ٣٤-٣٥.

[٣] الأعراف: ١٩٩.

[٤] الرعد: ١١.

أيام محرّم الحرام، ارتقى الخطيب المنبر، وألقى خطبته بعد أن عرّج على مصيبة الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، وبعد نزوله أخذ يتجاذب أطراف الحديث، ويلقي نكتاً، ويقهقه بصوت عالٍ، وفي الأثناء ألقى نكتة بوجه شاب أحرجه كثيراً، ولكن الشاب كان أكثر أدباً من الخطيب، إذ لم يردّ عليه.

أخذت أنظر إلى الخطيب، والألم يعصر قلبي، فكل شيء يخالف الأجواء، فقد جمع الخطيب القهقهة والنّكات والالتفاتة المشينة، ورمي الشاب بنكتة، وكأنه أدّى فصلاً كوميدياً كان يريد أن يكمله.

وهكذا فإنّ بعض الخطباء يريد من الناس الإصغاء والامتثال، وهو لا يمتثل لأبسط القواعد السلوكية، وقد صادفت أكثر من مجلس بهذا الشكل المشين، فما أنْ ينزل الخطيب من على المنبر حتى يبدأ الضحك العالي، وسرد النّكات المشينة، وحتى لا يسيء البعض الفهم، فللمجلس الحسيني حرمةٌ، خصوصاً مجالس أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، لأن أول الحضور رسول الله صلى الله عليه وآله ، والزهراء، والإمام الحجة عليهم السلام .

والروايات المشهورة عن أئمّتنا (صلوات الله عليهم) تؤكّد حضور الزهراء عليها السلام في كل مجلس، سواء في الشرق أم في المغرب، وهي تندب المولى أبا عبد الله الحسين عليه السلام بقلب حزين، وبعبرة حرّى، ولا أعرف مجالسَ تجلّلها الهيبة والوقار كمجالس الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، وقد لمست هذه الظّاهرة غير مرة.

لقد حاول الكثير التعدّي على مجالس الإمام الحسين عليه السلام ، وحاول البعض تعكير صفو المجالس الحسينية، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل،

وكم حاول الأعداء ذلك، ولكنهم فشلوا، وبقيت مجالس المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام تعانق السحاب، وتتحدّى كل أشكال الجور والعدوان.

واللافت للنظر أنّ مجالس المولى عليه السلام تفيض كرامةً ومعاجزَ ممّا يزيدها هيبة ووقاراً ووقعاً في القلوب والنفوس، ولا أنسى هذه الحادثة التي وقعت في «شقلاوة» في إقليم كردستان العراق.

فقد كنت أقرأ في حسينية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، وفي اليوم العاشر من المحرم، وقد امتلأ المكان من العرب والأكراد ممّا اضطر البعض إلى الصعود إلى الطابق الثاني، وبينما نحن مشغولون بقراءة المجلس إذ سقطت صخرة من فوق على رأس طفل كان جالساً أمامي، فتوقّعت أن رأسه انشطر إلى نصفين، وسوف يلتهب الجو تماماً، لأن الطفل كان من أبناء الإخوة الأكراد، ولكن ـ وسبحان من خلق الكرامات لأبي عبد الله عليه السلام ـ لم يُخدَش رأس الطفل، وظل ساكناً، وكأنّ كومة من القطن سقطت عليه، وقد دُهِش الحضور لهذا المنظر المعجز، فلم يحرّكوا ساكناً، وقد جلب الصخرة إلى الشام الرادود السيد هادي الموسوي، فأراها للناس، وتعجّبوا كيف أنها لم تؤذِ الطفل بل لم تخدشه.

فعلى الإخوة الخطباء ملاحظة أجواء المجلس الحسيني، ومراعاة الحيثيات المطلوبة فيه.

مكارم الأخلاق:

قال جابر بن عبد الله الأنصاري (رضوان الله عليه): سمعت الحسن عليه السلام يقول: «مكارم الأخلاق عشرة: صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء

السائل، وحسن الخُلُق، والمكافأة بالضائع، وصلة الرحم، والتذمم على الجار، ومعرفة الحق للصاحب، وقِرى الضيف، ورأسهنّ الحياء».

لقد دأب الأئمة عليهم السلام على توضيح المعالم الرئيسية للمثل الأخلاقية، وإماطة اللثام عن أهمّ قسماتها.. لأنّ المُثُل الأخلاقية هي المعيار الثابت لتقييم السلوك الإنساني، وتبقى المثل الأخلاقية ومنها صدق اللسان، ومعرفة الحق للصاحب، والحياء، وقِرى الضيف، وغيرها، قواعد ثابتة على مرِّ العصور، لأنها أصيلة أصالة الحق.

لقد حاول البعض تجريد الأخلاق من صفة الديمومة والأصالة، واعتبارها قيمة متغيّرة وخاضعة للذوق الإنساني، ثم إنهم جعلوا معايير للانحراف والاستقامة، تتمثّل في خمسة اتجاهات:

١- المعيار المثالي: ويذهب أنصاره إلى أنّ السويَّ هو الكامل، أو ما يقرب منه، فقوة الإبصار السويّة مثلاً، ليست هي قوة الإبصار المتوسطة بل الكاملة، وهذا هو المعيار الذي يقصده أتباع مدرسة التحليل النفسي عندما يقولون: إنه لا توجد شخصية سويّة، ولعلّ المشكلة هنا هي اختلاف الباحثين عند تحديد معيار الشخصية المثالية.

٢- المعيار الإحصائي: ويذهب أنصاره إلى أن السويّ بوجه عام هو من لم ينحرف كثيراً أو إطلاقاً عن المتوسط، وهو الذي يمثّل الجزء الأعظم من المجموعة وفق منحى التوزيع الطبيعي Normal curve، وبناءً على هذا المعيار تختلف معايير الشخصية السويّة من مجتمع إلى مجتمع، ومن فترة زمنية إلى أخرى داخل نفس المجتمع، ولا يوجد معيار عام بالإطلاق، هذا

إلى جانب أنه يجعل المتمسّكين بالقواعد تمسُّكاً شديداً مثلهم مثل المتسبّبين تماماً حيث يعدّهما من المنحرفين عن المتوسط الحسابي.

٣- المعيار الحضاري: يرى أنّ السويّ هو المتوافق مع المجتمع أي الذي يجاري قيم المجتمع وقوانينه ومعاييره وأهدافه، ولهذا المعيار أكثر من عيب، وعليه أكثر من مأخذ، فهو يرى أن السواء هو الامتثال التام لقوانين المجتمع وقيمه حتى وإن كانت فاسدة، كما هو الحال في عبادة البقرة في الهند، وعبادة الطواطم في الكثير من المجتمعات المتخلّفة، ومثل شرب الخمر، ولعب الميسر، والاتصالات الجنسية غير المشروعة، في العديد من الدول الأوروبية، يُضاف إلى هذا اختلاف معيار الاستواء والانحراف من حضارة إلى أخرى، فوأد البنات في الجاهلية لم يكن جريمة لأنه يتفق مع عادات العرب وتقاليدهم، والانتحار في الحضارة الغربية دليل على اضطراب نفسي أو عقلي، في حين إنه ظاهرة سويّة في اليابان في بعض الظروف، والارتياب الشديد وتوهّم العظمة والاضطهاد والذي تراه في أعراض «جنون العظمة» يعدّ سلوكاً لا انحراف فيه عند الهنود الحمر في بعض قبائل الساحل الشمالي للمحيط الهادي.

٤- المعيار السيكولوجي أو الطبي: ويذهب أنصاره إلى أن الشخصية الشاذّة هي ما كان انحرافها ناجماً عن صراعات نفسية لا شعورية، أو خللٍ في الجهاز العصبي أو الغددي للإنسان، غير أن هذا المعيار لا يخلو من المآخذ المهمة، فقد يخلو إنسان ما من الصراعات النفسية أو الاختلافات العضوية، لكنه لا يؤمن بالله أو يمارس سلوكاً يغضبه سبحانه، فكيف يمكن

اعتباره سوياً؟

٥- المعيار الإسلامي الصحيح: اتضح أن الباحثين يختلفون في تحديد معايير السواء والانحراف المثالية، لأنها معايير وضعية، أمّا المعيار الإحصائي والمعيار الحضاري فمن الواضح فسادهما لأنهما يعتبران الكثرة، والظاهرة التي تأخذ مساحة هي المعيار في تحديد السواء والانحراف، فبناءً على رأيهم تُعدّ المرأة التي تتزوج أكثر من رجل كما في بعض القبائل مثل قبيلة «التودا» في الهند ظاهرة سويّة لأنها تتّفق مع ما يفعله أغلب سكان هذه القبيلة، وعبادة البقرة في الهند ظاهرة سويّة، وكذلك الإقدام على الانتحار بين بعض جماعات البوذيين في اليابان، والاتصالات الجنسية خارج الزواج في مجتمع «ساموا»، وفي مجتمعات الغرب وفي الكميونات الصينية[١].

وتُعدّ هذه النظريات من أخطر النظريات خصوصاً في هذا الوقت الذي أخذ المجتمع يسمع أكثر ممّا يقرأ، وينظر بعينيه أكثر من عقله، وقد حاول الإعلام الصهيوني تزويق هذه النظريات الهدّامة بإضفاء الطّابع العلمي عليها كي تأخذ موقعها من القلوب، ثم تسويقها عبر ثلّة مأجورة لا تمتّ إلى العلم والإنسانية بصلة إلى سوق المغفّلين[٢].

لقد بات واضحاً للجميع أنّ المعايير الأخلاقية لا يمكن تجزئتها وتحريفها، فالغيرة والشهامة والحياء والشجاعة والصدق والإيثار والجود والعدالة، وغيرها من الصفات الأخلاقية ثابتة في كل المجتمعات، وإلا

---

[١] بناء المجتمع الإسلامي ونظمه: الدكتور نبيل السمالوطي، ص١٥٧.

[٢] راجع بروتوكولات حكماء صهيون: ترجمة محمد خليفة التونسي.

كيف نفسّر ظاهرة الالتزام عند الأمم، والتي لم تدِن بالإسلام ولا بالمسيحية واليهودية، فهناك مجتمعات ما زالت تحتشم عن مثل هذا السلوك.

ثم إننا إذا استقرأنا تاريخ هذه الظاهرة (تعدُّد الأزواج) عند قبائل «التودا» في الهند، فإننا نجدها طارئة، وعمرها لا يتعدّى ٢٠٠ سنة، راجع (قصة الحضارة) لديورانت، فإنه يؤرّخ للظواهر الشاذة، ويعتبرها طارئة على المجتمعات، فهي جاءت بفعل الظروف التي أحيطت بالقبيلة، مثل قلّة النساء أو قهر النساء وإذلالهنّ.. وهذه الظّاهرة كانت موجودة في الجاهلية، وفي بعض القبائل، وكانت مستهجَنة عند العرب، ثم إنّ تاريخ الشعوب يؤكّد على عمق التديّن فيها، وعلى أصالة الأخلاق[1].

فالشعوب برمّتها كانت وما زالت تؤمن بالقيم الدينية، حتى عند الشعوب التي ضربت رقماً قياسياً في الفحش والفسوق، فطائفة «الآمش» في أمريكا الشمالية تؤمن بالحجاب، وأكل الطيّبات، وحرمة أكل لحم الخنزير، وشرب الخمر، ولعب القمار، وغيرها من الفواحش.

وكذلك طائفة «المورمن» في أمريكا الشمالية ولاية «يوتا» فهذه الطائفة عندها بعض التعاليم المسيحية، فهي تلتزم نوعاً ما بالحجاب، وببعض التعاليم المسيحية.

وقد يكون الشعب الأمريكي هو الأكثر التزاماً بالدين المسيحي من بقية الشعوب الأوروبية فـ ٦٠٪ من الشعب الأمريكي يرتادون الكنائس، أما عند الأوربيين فـ ٢٠٪ فقط، وقد سعت الصهيونية أخيراً إلى تقليل النسبة، فهي

(١) كتاب الأديان.

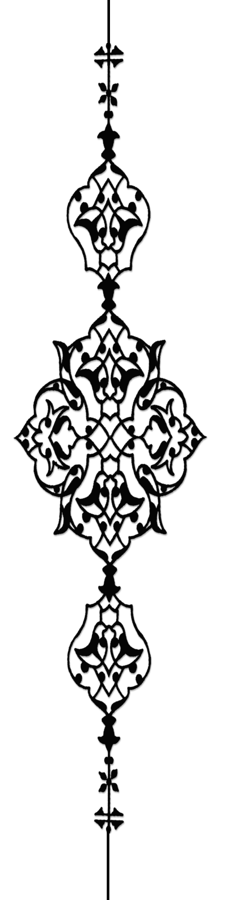
تحاول بين الفينة والأخرى التشكيك برجال الدين، وبالتعاليم المسيحية.

وهكذا فإنّنا نجد أنّ أكثر البلدان تحضُّراً مثل اليابان تتمسّك بالقواعد الدينية، وإن كانت على طريقتها الخاصة، فإقراء الضيف، واحترام البيت، وسموّ العلاقة بين الزوج والزوجة، وقيام المرأة بواجب بيتها واحترام زوجها وغيرها من القيم الاجتماعية ما زالت تطبع السلوك الياباني، فالجانب الاجتماعي عند اليابانيين يمتاز بصفات عالية، يمتد عمرها إلى «بوذا» و«كونفوشيوس».

وقد أثّر الجانب الاجتماعي كثيراً في تطوّر العلوم والتكنولوجيا عند اليابانيين، حتى إنهم سبقوا الكثير من الدول الأوروبية، وبفارق كبير، فالشعب الياباني هو الأكثر اختراعاً من بقية الشعوب الأوروبية، حيث يبلغ عدد الاختراعات في كل شهر ألف اختراع.

إنّ الجانب الاجتماعي المتين يُساهم إلى حدٍّ كبير في تقدّم العلوم لأن الجانب الاجتماعي يُشكّل عامل استقرار، وبدوره فإنّه يوفّر الأرضية لنبوغ العقل البشري، لذلك فإنّ الدول الآن تسعى بعد أن لمست أهمية الجانب الاجتماعي إلى تأمينه وإثرائه بمفردات أخلاقية، مثل المحبة، واللطف، والتودّد، واللين، والرفق.

الفَصْلُ الخَامِسُ



علم الإمام عليه السلام

علم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

يُشكّل العلم أحد أهمّ الرّكائز في المجتمعات، ويدخل في صميم البُنى التحتية لكافة مرافق الدولة، وهو أيضاً المفصل الحيوي في بناء الإنسان، فهناك جوهرة في الإنسان لا تصقل إلا بالعلم (العقل)، وطالما العقل يتغذى بالعلم، فإنه يفيض أفكاراً ورؤىً، وقد جعل الله العلم غذاءً للعقل، والإيمان للقلب، والصفات الطيبة للنفس، والعقل يحتاج إلى العلم في كل حين نظراً لدوره الخطير، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1]، فالآية مطلقة، والعقل هو إمام الجسد، فإذا تشبّع بالعلم والمعرفة والحكمة فبإمكانه أن يحكم ويزن ويستقرئ النتائج، أما إذا كان خاوياً فإن الإنسان يصغر وتغيم الآفاق أمامه، فلا يمكن أن يستنتج ويزن الأحداث بميزان دقيق وهذا ما يؤكّده الواقع.

إنّ العمليات العقلية لَهي من أهم العمليات الحياتية، فهي تُنتج قوانين ذات أهمية خاصة في بناء الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، وهذه الجوانب تشكّل مرتكزات الحياة بعد الإيمان بالله عزّ وجلّ.

---

[1] طه: ١١٤.

وطالما يتغذّى العقل بالعلم فإن العمليات العقلية تتطور وتتقدم، وتشهد طفراتٍ نوعيةً في استشراف المستقبل، وكما هو ثابت فإن قراءة الأحداث بعمق يفيد في بناء الأسس السليمة، أو قل تأسيس المشاريع الإستراتيجية للأمة، بعكس ما إذا كانت النظرة سطحية، فإنّها تشكّل العقبة الأساسية أمام المشاريع الإستراتيجية للبلد.

وممّا يؤسف له أنّ الدول العربية هي الأولى في دراسة الظواهر الحياتية بشكل سطحي، ممّا أثّر سلباً على الخطط المستقبلية.

لذلك لا تجد بلداً عربياً والكثير من البلدان الإسلامية يملك خططاً إستراتيجية تمتدّ لربع قرن، أو على الأقل لعشر سنوات.

فالكثير من البلدان العربية والإسلامية تغيّر خُططها من حين لآخر، فهي تحدّد عمراً قصيراً لخططها «الخطة الخمسية»، ومع قصر المدة فإنها تفشل في تطبيقها، ممّا يدلّ على فشل الهيئات المخطّطة، وهشاشة الخُطَط، وهو مؤشّر واضح على فقر العقل العربي فينحدر إلى الهزال ليبدع في الليالي الحمراء.

يقول الكاتب الكويتي الدكتور أحمد البغدادي: «إذا نظرنا إلى حال الأمة العربية ووضعها في أي مجال من مجالات الحياة سواء في الزراعية أم الصناعية أم الرياضية أم التقنية، أم المجال الفكري، وجدنا أن المجال الوحيد للبروز والإبداع هو الغناء والرقص، ومن المفارقات الطريفة ـ وإن كانت مؤلمة ـ أنّ آلام الأمة العربية تسير مع الغناء في ظلّ علاقة طردية، بمعنى أنه كلّما زادت آلامها ومشاكلها زادت معها موجة الغناء والرقص،

حتى آمن الجميع أنّ هذه الأمة لا تجيد سوى الغناء والرقص، وحتى لا نُتّهم بالتشاؤم لننظر في تفصيلات بعض الموضوعات، المجال الزراعي على سبيل المثال، فالأمة العربية الوحيدة التي لا تزرع ما تأكل على الرغم من وفرة الأراضي الزراعية، ورخص اليد العاملة، والمناخ المناسب»[١].

وممّا يحزّ في النفس أنّ الدول العربية وبعض الدول الإسلامية لا تستفيد من فرص العلم، بالرغم من سهولة اقتناصها، ووفرة السُّبل إليها، فأبواب العلم أضحت مشرعةً، ولكن تبقى الدول العربية متخلّفة، فمعدل ميزانية الجامعات العربية لا يساوي ميزانية «جامعة بيركلي» في كاليفورنيا، كما جاء في (مجلة العربي) الكويتية، ومما جاء فيها:

أن ٥٠٠ مليون مشاهد عربي يذهب إلى الأغاني، وآخر موضات الخلاعة عبر الانترنت، وأن ٣٥٣ ألفاً منهم فقط يذهب إلى المعلومات العلمية، وهذا مؤشّر خطير.

ومع هذا التراجع الخطير في العلم والثّقافة يخرج البعض ممّن يدّعي العلم والمعرفة، ليصف الشعب العربي بالمتطور، ويعطي للثقافة العربية درجة امتياز.. يا للمهزلة.

ويعود السبب الرئيسي لهذا التخلّف المرير إلى الحكام الذين يرومون السيطرة على مقدرات الشعب فيستغفلونهم، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾[٢].

---

[١] تجديد الفكر الديني دعوة لاستخدام العقل: الدكتور أحمد البغدادي، ص١٧٩.

[٢] الزخرف: ٥٤.

جاء في كتاب (أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي)، فصل محاضر الماسونية:

«المحضر الأول: اليهودية الماسونية التي لا تقهر غفلة الجماهير واستغلالها بواسطة تعدُّد الأحزاب المتعطّشة إلى السلطة تشجّع الإدمان على الخمر والفساد، لتتلبّد الأذهان ويصاب الشباب بالعته، والاستعانة على نشر الفسق والخمر بالمدرّسين والخدم والمربيات اللائي يعملن في بيوت الأثرياء من المسيحيين، والموظفين، والنساء اللواتي يعملن في أماكن اللهو، ونساء المجتمع اللواتي يقلّدن سواهنّ في حياة الفسق والترف».

«يجب أن يكون شعارنا استخدام جميع وسائل القوة والرياء، دستورنا البطش أولاً، ثم لا نتردّد عن شراء الذمم والغدر والاحتيال إذا كان ذلك يخدم قضيتنا».

«المحضر الثاني: علينا أن نبذل الجهد حتى لا تأتي الحروب بتغيّرات إقليمية بتوسّع أحد الطرفين المتحاربين، وبذا ترتكز الحرب على قاعدة الاقتصاد، وبالتالي تكون السيطرة لنا وحدنا، ويصبح الفريقان المتحاربان تحت رحمتنا، علينا أن نضع في الوظائف الإدارية أناساً لم يكتسبوا خبرة، ليسهل علينا تحريكهم كقطع الشطرنج، وندخل في روع غير اليهود أهمية النظريات التي تبثّ دعايتها صحافتنا ليقتنع بها الكفار، ويروّجوا سمومها، انظروا إلى نجاح مذاهبنا التي جاء بها «داروين»، و«ماركس»، و«نيتشه»، إنها من صنع دسائسنا، وكان لها تأثير كبير في عقول الخوارج، والصحافة قوة خطيرة وقعت في قبضتنا وما زلنا من وراء الستار»[1].

---

[1] أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي: الدكتور صابر طعيمة، ص٢٩٤-٢٩٥.

إنّ الواقع الذي نعيشه الآن يجسّد مفردات «المحفل الأول للماسونية»..

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[(١)] :

هذه الآية نزلت باتفاق المفسّرين بحقّ أهل البيت عليهم السلام.. قال أمير المؤمنين عليه السلام : «انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمْتَهم (الطريق)، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يُعيدوكم في ردى، فإن لبدوا (التصقوا إلى الأرض، كناية عن القعود) فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلّوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا»[(٢)].

وقال (صلوات الله عليه) كما في (نهج البلاغة): «ألا وإني وأبرارَ عترتي، وأهل بيتي، أعلمُ الناس صغاراً، وأحلمُ الناس كباراً، معنا راية الحق، مَن تقدّمها مرَق، ومن تخلّف عنها مُحق، ومن لزمها لَحِق، دليلها مكيث الكلام (أي كلامه رزين)، بطيء القيام (كناية عن التروّي)، سريع إذا قام، كقوله: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[(٣)]..»[(٤)].

ويقول إمامنا (صلوات الله عليه): «ألا إنّ مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء، إذا خوى نجم (هوى نجم) طلع نجم»[(٥)].

جاء في (مناقب آل أبي طالب عليهم السلام) لبن شهر آشوب، في أحوال

---

(١) النحل: ٤٣.

(٢) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، ج٧/ص٤٦.

(٣) آل عمران: ١٣٣.

(٤) شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، ج٧/ص٥٠.

(٥) حج النهج المختار من نهج البلاغة: إعداد وتعليق الدكتور سعيد السامرائي، ص١٨٤-١٨٥.

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام: «الإمام المؤتمن، منيم الثأر والإحَن، صاحب السمّ والمحن، قالع الصنم والوثن، واضع الفرائض والسنن، أبو محمد الحسن، ناعش ذوي المقربة، ومطعم يوم المسغبة، علم منشور، ودرّ منثور، ودين مذكور، وسيف مشهور، من منبع الأنبياء، ومن منجز الأوصياء، ومن مزرع الزهراء، في أهل العباءة والكساء، معدن السّخاء، شجرة الصفاء، ثمرة الوفاء، ابن خير الرجال وخير النساء، كلمة التقوى، العروة الوثقى، سليل الهدى، رضيع التقى، غيث النّدى، غياث الورى، ضياء العلا، قرّة عين الزهرا، وولي عهد المرتضى، أشبه الخلق بالمصطفى، مرضي المولى، الحسن المجتبى، قبلة العارفين، وعلم المهتدين، وثاني الخمسة الميامين، الذي افتخر بهم الروح الأمين، وباهل بهم الله المباهلين، منبع الحكمة، معدن العصمة، كاشف الغمّة، مفزع الأمة، وليّ النعمة، عالي الهمة، جوهر الهداية، طيب البداية والنهاية، صاحب اللواء والرّاية، أصل العلم والدّراية، جوهر صدف النبوة، ودرّ بحرة أحمدية، تاج آل محمدية، نور سعادة نسل إبراهيم، سراج دولة أصل إسماعيل، السبط المبجّل، والإمام المفضّل، أجلّ الخلائق في زمانه وأفضلهم، وأعلاهم حسباً ونسباً وعلماً، وأجلّ وأكمل، سيد شباب أهل الجنة، خدمته فرض على العالمين ومنّة، وحبه للمسلمين من النيران جُنة، ومتابعته على الموحّدين واجب لا سنّة، عنصر الشريعة والإسلام، وقطب العلوم والأحكام، وفلك الشرائع الحلال والحرام، شمس أولاد الرسول، وقرّة عين البتول، سماوة الهلال (سماوة كل شيء: شخصه)، وقامع أهل الضلال، ومن اصطفاه الله الكبير المتعال، ثمرة قلب النبي، وقرة

عين الوصي، ومن مدحه الله العلي، الحسن بن علي، السبط الأول، والإمام الثاني، والمقتدى الثالث، والذكر الرابع، والمباهل الخامس، الحسن بن علي بن أبي طالب، وزنه في الحساب وليّ الله ووصيه لاستوائهما في ثلاثمئة وثلاث وخمسين»[1].

صور من علمه (صلوات الله عليه):

جاء في كتاب (المناقب): عن إسماعيل بن أبان، بإسناده عن الحسن بن علي عليه السلام: أنه مرّ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بحلقة فيها قوم من بني أمية، فتغامزوا به، وذلك عندما تغلّب معاوية على ظاهر أمره، فرآهم وتغامزهم به، فصلى ركعتين..

فقال: قد رأيت تغامزكم، أمَا والله لا تملكون يوماً إلا ملكنا يومين، ولا شهراً إلا ملكنا شهرين، ولا سنة إلا ملكنا سنتين، وإنا لنأكل في سلطانكم، ونشرب ونلبس ونركب وننكح، وأنتم لا تركبون في سلطاننا، ولا تشربون ولا تأكلون ولا تنكحون.

فقال له رجل: فكيف يكون ذلك يا أبا محمد، وأنتم أجود الناس وأرأفهم وأرحمهم، تأمنون في سلطان القوم ولا يأمنون في سلطانكم؟

فقال: لأنهم عادونا بكيد الشيطان وهو ضعيف، وعاديناهم بكيد الله وكيد الله شديد[2].

---

[1] مناقب آل أبي طالب: الشيخ المقدس ابن شهر آشوب، ج٤/ص٤-٥.

[2] مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج٤/ص٨.

إن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام يشير في كلامه المبارك إلى دولة الإمام المهدي عليه السلام ، حيث يحكم فيها الإسلام، ويبسط جرانه على كافة الأمم، فينعمون بالعدل والحرية والمساواة الحقيقية، ومن ثُمّ يجدون الفارق الكبير بين تطبيقات الإمام الحجة (عليه أفضل الصلوات) لهذه الخصائص الحياتية المهمة، وتطبيقات الأنظمة الوضيعة التي أنهكت الحياة البشرية بمدّعياتها الفارغة.

إنّ دولة الإمام المهدي (عجّل الله تعالى فرجه الشريف) بات ينتظرها الجميع، وعلى أحرَّ من الجمر، لأن الظلم والجبن والجور أخذ يطبق، ويضيّق عليهم أقطار الأرض وآفاق السماء، ممّا سلب الأمن والإرادة في تغيير واقعهم السيء.

جاء في كتاب (خمسون حقيقة ينبغي أن تغيّر العالم) لجيسكيا:

«إنّ العالم الآن بات يئنّ من الإرهاب المقنّن، وتحت شعار الديمقراطية والحرية والمساواة. لقد ذبحوا الديمقراطية باسم الحرية والعدل، وذبحوا العدل باسم تحرير الشعوب من الاستغلال والقهر، وهكذا يسحقون القيم الإنسانية تحت هذه الأغطية، لذلك ينبغي أن يتغيّر العالم لأن القيم التي تحكمه أضحت زائفة وغير قادرة على قيادته».

وأخذ العديد من المفكرين يتنبَّؤون بسقوط الحضارة الغربية، منهم «الكسيس كارليل» مؤلف كتاب (الإنسان ذلك المجهول)، ويبشّرون بالمخلّص لهذا العالم من الظلم والاضطهاد.

لقد صرح العديد من الفلاسفة بذلك، ومنهم «برناردشو» و«براتراند

راسل» وغيرهم.

قال «برناردشو»: «إنّ العالم الآن ينتظر المخلّص لينقذ البشرية من الظلم والاضطهاد».

وجاء في كتاب (المهدي المنتظر على الأبواب) للصحفي المصري محمد عيسى داود:

«ويأتي إلى المهدي شباب أوربي وأمريكي مهاجراً، مبهوراً بشخصيته، ويأتون إلى القدس طالبين لقاءه، وتؤمّن اللقاءات، التي تقوم على حوارات فكرية راقية، والفكر أخطر سلاح، والمفكّر هو أعظم طبيب للروح، ومهندس للعقل، وفنان للشخصية وتقويمها، وما من وفد يأتي إلا ويخرج بعد الحوار مسلّماً لله الواحد القهّار».

ويقول الأستاذ سعيد أيوب: «لقد انتصر الإسلام!! بعد أن أصبحت سواعد رجاله سواعدَ عاملة، تعرق! تضرب في الأرض! رافضة أن تكون عالة على غيرها، رافضة أن تأكل فتات الموائد.. لقد انتصروا عندما أصبح الزاد يخرج من أرضهم، وأصبح الزناد يصنع في مصانعهم، وأصبحت همّتهم بالله وشغلهم فيه وقرارهم إليه».

وقالت المبشّرة «جين داكسون» عن المهدي المنتظر (الأمين الصادق): «هذا الرجل سيكون عاصمة عمله القدس وما حولها، وسوف يأتي إليه الشباب والناس من كل مكان ليعملوا تحت إمرته، وسوف يدخل الغرب في دين الشرق، والأمين الصادق سيمتلك قوة دعائية جبّارة، وإن الولايات المتحدة الأمريكية لن تستطيع أن تفعل له شيئاً، وإنّ المهدي سيملك من

العلم والتكنولوجيا الشيء الكثير بل أكثر من الكثير، والمعجزات التي سيصنعها ليست معجزاتٍ سماويةً، ولكنها معجزاتٌ علمية متقدمة جداً تُذهل الناس وتسرّهم في الوقت نفسه، وسوف يعمل الشباب في العالم معه من أجل أن يضعوا العالم في الصورة التي يراها، إنها علوم الإسلام التي تسرّ الناس ولا ترعبهم، كما حدث في هيروشيما ونكازاكي»[1].

وسوف نفصّل إن شاء الله فيما يخصّ هذا الموضوع وغيره في (قبس من نور الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف).

وجاء في علم الإمام الحسن المجتبى (صلوات الله عليه): كتب الحسن بن أبي الحسن البصري إلى الإمام الحسن عليه السلام رسالة، قال فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد: فإنكم معشر بني هاشم، الفلكُ الجارية واللجج الغامرة، والأعلام النيّرة الشاهرة، أو كسفينة نوح عليه السلام التي نزلها المؤمنون، ونجا فيها المسلمون.

كتبتُ إليك يا بن رسول الله عند اختلافنا في القدر، وحيْرتنا في الاستطاعة، فأخبْرنا بالذي عليه رأيك ورأي آبائك عليهم السلام ، فإنه مِن علم الله علمكم، وأنتم شهداء على الناس، والله الشاهد عليكم ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[2] ».

فردّ عليه الإمام عليه السلام برسالة، قال فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصل إليّ كتابك، ولولا ما ذكرت من

---

[1] المهدي المنتظر عليه السلام على الأبواب: محمد عيسى داود، ص٢٣٧.

[2] آل عمران: ٣٤.

حيرتك وحيرة من مضى قبلك، إذاً ما أخبرتك.

أمّا بعد: فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشرّه أن الله يعلمه فقد كفر، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر، إن الله لم يُطع مكرهاً، ولم يُعْصَ مغلوباً، ولم يهمل العباد سدىً من المملكة، بل هو المالك لما ملكهم، والقادر على ما عليه أقدرهم، بل أمرهم تخييراً، ونهاهم تحذيراً، فإن ائتمروا بالطاعة لم يجبروا عنها صاداً، وإن انتهوا إلى معصية فشاء أن يمنّ عليهم بأن يحول بينهم وبينها فعل، وإن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبراً، ولا ألزموها كرهاً، بل منّ عليهم بأن بصّرهم وعرّفهم وحذّرهم، وأمرهم ونهاهم، لا جبلاً لهم على ما أمرهم به، فيكونوا كالملائكة، ولا جبراً لهم على ما نهاهم عنه ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1] والسلام على من اتبع الهدى»[2].

لقد شغلت مسألة القضاء والقدر والجبر والتفويض أذهان المسلمين كثيراً، وأفرزت آثاراً خطيرة بالرغم من الإجابات الشّافية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، ومنها إجابة الإمام أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام.

وممّا دفع هذه المسألة إلى الظُّهور بقوّة وسيطرتها على عقول الكثير تحكُّم خلفاء الجور بمقدّرات الأمة الإسلامية، وتلاعبهم بآيات الله عزّ وجلّ، فقد تلاعب معاوية بن أبي سفيان بآيات الله كثيراً، وأراد تزييف الدين وحرفه عن مساره الصحيح إلا أنّ قوّة الإسلام وأصالته حالتا دون

---

[1] الأنعام: ١٤٩.

[2] تحف العقول: ابن شعبة الحراني، ص١٦٦.

ذلك.

فلكي يسوِّغ معاوية سلوكه القبيح وحكمه الشّائن اختلق مسوّغاتٍ نسبها إلى الدين الإسلامي الحنيف، منها: «إنّ الله قدّر للأمة الإسلامية حكم بني أمية فعلامَ الاعتراض؟».

و«شاء الله أن يضع معاوية بن أبي سفيان على سدّة الحكم»، ومثلما أسلفت فإنّ معاوية وأذنابه من وعّاظ السلاطين أوجدوا مسوّغات دينية لهذه الأحكام الجائرة، ممّا خلق تصوّراً لدى عامة الناس بشرعية حكمه.

وقد عرف معاوية وأذنابه من أين تؤكل الكتف، فقد جاء الناسَ عن طريق الدين، وهو أفضل طريق لاختراق عقول العامة من الأمة.

وقد جرّب معاوية غير مرة هذه الطريقة، فرآها حسنة، وتنطلي على عقول السّذّج من الأمة.

وبالأمس جرّبها في معركة صفين عندما رفع المصاحف، فلاقت قبولاً عند رأس المنافقين «الأشعث بن قيس» وجماعته، وهكذا طفق يجرّبها في تثبيت حكمه.

لذلك روّج فكرة القضاء والقدر والجبر والتفويض، وأنشأ مذاهبَ تتبنى هذه الأفكار الخطرة، ومنها المرجئة والقدرية، وغيرها.

وقد أدّت فرقة المرجئة دوراً خطيراً في تحريف عقائد البسطاء والسُّذّج من الأمة، وممّا يؤسف له أنّ الأمم تنقاد لمن يملك القوة والسيطرة بغضّ النظر عمّا تملكه هذه الفئات من مصداقية، ومُثُل عليا، وبمرور الزمن تحوّلت القوة والسيطرة إلى قواعد وأسس ينطلق منها التقييم.

لذلك فإنّ بعض المذاهب السيئة اعتبرت أبا بكر هو الأفضل لأنه ملك الخلافة، وبعده عمر بن الخطاب، وعثمان، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وإذا جئت إلى الواقع فإنّ الإمام علياً عليه السلام هو المقدَّم، بحكم مقاييس العلم والحكمة والتقوى والشجاعة والرؤية الصائبة والبصيرة النافذة.

قال عمر بن الخطاب، نقلاً عن رسول الله محمد صلى الله عليه وآله : «أقضاكم علي»[1].

وفي حديث آخر يقول عمر بن الخطاب: «أقضانا علي»[2].

وكما هو معلوم فإنّ القضاء يشمل العلم والحلم والتقوى ونفاذ البصيرة.

وكان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مرجعاً للأمة في عهد أبي بكر وعمر وعثمان بلا منازع، وسيظل الإمام يتربّع عرش المرجعية بعد رسول الله محمد صلى الله عليه وآله .

فعليه فإنّ معاوية اصطنع المذاهب التي تذهب إلى جبرية الأفعال.

ومن جانب فإنه غذّى التيارات الجبرية والقدرية بأحاديث مفتعلة

---

[1] تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: الباقلاني، ج١/ص٥٤٣، وتثبيت الإمامة وترتيب الخلافة: أبو نعيم الأصبهاني، ج١/ص٦٥، والإمامة والرد على الرافضة: أبو نعيم الأصبهاني، ج١،ص٢٧٨، وفيه أيضاً: وإن عمر كان يشاوره في النوازل والحوادث، وشرح صحيح البخاري لابن بطال: ج١٠/ص٢٤٤.

[2] فضائل القرآن: القاسم بن سلام، ج٢/ص٢٤٨، والطبقات الكبرى: محمد بن سعد الزهري، ج٢/ص٣٣٩، وأخبار المدينة: النميري البصري، ج١/ص٣٧٤، وأخبار القضاة: محمد بن خلف بن حيان، ج١/ص٨٨ ، والمعجم الأوسط: الطبراني، ج٧/ص٣٥٧، والعلل الواردة في الأحاديث النبوية: الدارقطني، ج٢/ص٨٦ ، والجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة: التلمساني البري، ج١/ص٢٩٤، وسير أعلام النبلاء: الذهبي، ج١/ص٣٩١، ومعرفة القراء الكبار: الذهبي، ج١/ص٣٠، وتحفة الأشراف: شهاب الدين العسقلاني، ج١/ص٣٧، ومنح الجليل: محمد عليش، ج٩/ص٦٤٨.

تنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، مثل: «معاوية كاتب الوحي»[١]، و«خال المؤمنين»[٢]، وغيرها حتى يضفي الشرعية على المذاهب المصطنعة التي ما فتئت تطالع المسلمين بآراء خطيرة، ظلّت تتفاعل آثارها لحدّ هذه اللحظة.

ومما يحزّ في النفس أنّ هذه الآراء وجدت أرضاً خصبة، فنبتت فيها، ممّا عقّد الأمر كثيراً، فالبعض من الناس استقرّ في روعه صدق المظاهر، بمعنى أن معاوية لو كان كاذباً لما شقَّت أفكاره أخاديد في نفوس الناس، وصدّقه علماء الأمة.

إنّ هؤلاء السُّذَّج لا يفقهون طرق الشيطان وأحابيله، فالشيطان يزيّن أعمال الإنسان القبيحة، قال تعالى: ﴿زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[٣]، بشكل يصدّقها حتى من له باع، ونحن نستجير بالله من أحابيله في هذه الأيام، فمهمّة الشيطان تزيين الأفكار والعقائد الباطلة، وهذا ديدنه من لدن آدم وحواء.

فهو الذي أغوى النبي آدمَ وجعله يقترب من الشجرة، علماً أن النبي آدمَ عليه السلام كان قريباً إلى الله عزّ وجلّ، ولم يعهد كذباً وتحايُلاً، وكذلك زين لقابيل قتل أخيه هابيل.

ثم إنّ معاوية جيّر لآرائه الشيطانية ثلّة نفعية جعلت من نفسها جسراً لتسويق بضاعته، فضلّت الملايين من النفوس عن الدين والقيم الإسلامية،

---

(١) عمدة القاري: القاري، ج٢/ص٤٩.

(٢) السنة للخلال: ج٢/ص٤٣٣.

(٣) الأنفال: ٤٨.

لقاء دراهم معدودة، شأنها شأن علماء بني إسرائيل الذين حرّفوا الكلم عن مواضعه، كل ذلك لمنافع شيطانية، ومنافع دنيوية، فهم يحبون الخمرة فنسبوها زوراً وبهتاناً إلى النبي عيسى بن مريم عليه السلام، ولأنهم يشتهون لحم الخنزير فألصقوا تهمة أكله إلى النبي الطّاهر عيسى بن مريم عليه السلام، وكذلك باقي المحرّمات، قال سبحانه وتعالى: ﴿ لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍ ﴾[1].

فمعاوية بن أبي سفيان كان يحبّ السلطان والإمرة، فنسب ذلك إلى الله واعتبره حقاً إلهياً، أو ثوباً ألبسه الله عزّ وجلّ إياه، فلا ينبغي خلعه، إنني لم أسمع وأرَ مثل معاوية من يلهث وراء السلطان، ويسوّغ كل شيء في سبيل اقتناءه.

فعليه، فإنّ مسألة القضاء والقدر وضّحها الأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) بحيث أزالوا اللبس عنها، وقد وضّح الإمام الرضا عليه السلام هذه المسألة التي تدخل في ضمن الجبر والتفويض أحسن توضيح.

جاء في (الاحتجاج):

عن يزيد بن عمير بن معاوية الشامي، قال: دخلت على علي بن موسى الرضا بمروَ.

فقلت له: يا بن رسول الله، روي لنا عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «لا جبر ولا تفويض، بل أمر بين الأمرين»، ما معناه؟

فقال: «من زعم: أن الله يفعل أفعالنا، ثم يعذّبنا عليها»، فقد قال:

---

[1] النحل: ٢٥.

«بالجبر»، ومن زعم أنّ الله فوّض أمر الخلق والرزق إلى حججه عليهم السلام، فقد قال بالتفويض، والقائل بالجبر كافر، والقائل بالتفويض مشرك».

فقلت: يا بن رسول الله، فما أمر بين الأمرين؟

فقال: «وجود السبيل إلى إتيان ما أمروا به، وترك ما نُهوا عنه».

قلت: وهل لله مشيّة وإرادة في ذلك؟

فقال: «أما الطّاعات، فإرادة الله ومشيّته فيها: الأمر بها والرضا لها والمعاونة عليها، وإرادته ومشيّته في المعاصي النهي عنها والسخط عليها والخذلان عليها».

قلت: فللّه عزّ وجلّ فيها القضاء؟

قال: نعم، ما من فعل يفعله العباد من خير أو شر إلا ولله فيه قضاء.

قلت: ما معنى هذا القضاء؟

قال: «الحكم عليهم بما يستحقّونه من الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة».

وروي أنه ذكر عنده الجبر والتفويض، فقال: «إن الله لم يطع بإكراه، ولم يعصَ بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك لما ملّكهم، والقادر على ما أقدرهم عليه، فإن ائتمر العباد بطاعة لم يكن الله عنها صادّاً، ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن لم يَحُل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه».

ثم قال عليه السلام: «من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالفه»[1].

---

[1] الاحتجاج: العالم الفقيه الشيخ أبي منصور الطبرسي، ج٢/ص١٥٧-١٥٨.

تبقى مسألة مهمّة في مجال القضاء والقدر، فقد ألقى الباري عزّ وجلّ حججه كاملة في الدنيا، قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1].

وفي الحديث ما مضمونه: «إنّ الله لا يقبض روح عبده حتى يكمل الحجة عليه».

فما من عمل يخصّ الإنسان في الدنيا إلا وعليه دليل من قبل الباري عزّ وجلّ، والدليل لابدّ وأن يكون سهلاً ومشرقاً لأن الله عزّ وجلّ يحاسب الإنسان في يوم القيامة عمّا اقترفته يداه، وفق الدليل الموضوع على عمله.

ومن جانب فإذا كان الباري عزّ وجلّ يأمرنا بالعدل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾[2]، ومن مصاديق العدل إقامة الحجة البالغة، فمن الطبيعي أن تكون حجج الله بالغة، وبعبارة أخرى فإن الله عزّ وجلّ إذا أمر عبده بالعدل والإنصاف فلابدّ أن يكون الباري عزّ وجلّ قد جمع العدل بكافة جوانبه إن صحّ التعبير، فلا يمكن أن يُؤاخذ الإنسان بما لم يرتكبه أو يعرفه، فمن العدل أن يبيّن الباري عزّ وجلّ لعبده في هذه الدنيا كل ما يتعلّق بعمله.

ومسألة أخرى، أنّ عقاب النار هو آلم ما يكون وبالذات إذا كان الإنسان يلبث فيها أحقاباً.

قال تعالى: ﴿لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا

---

(1) الأنعام: ١٤٩.

(2) النحل: ٩٠.

وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾[١].

فإذا كانت النار هي العقاب فلابدّ أن تكون الحجج بيّنة وواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، ومن ثمّ سهلة المنال والاستيعاب لأن الجزاء أو العقاب ليسا هيّنين، لذلك فإن أمر القضاء والقدر الذي يشكل مفصلاً مهماً في حياة الإنسان لابدّ أن يكون واضحاً وبيّناً.

من هنا فإن كلام البعض غير مقبول عندما ينسب العمل إلى الله عزّ وجلّ ويقول: هذا قدري، وهذا حظّي، وهذه مكتوبة عليّ.

إن الإنسان يعرف مضارّ الخمر والقمار والتعدي على الحرمات والبغي والظلم.

فإذا سألت شارب الخمر: هل الخمر مفيد ويجلب لك السعادة؟

يقول: كلا فإنني أحتسيها لكي أنسى لحظاتٍ ثم يعود الهمّ والغمّ بأبشع ما يكون.

وإذا سألت لاعب القمار: هل جلب لك الحظَّ في يوم ما؟

يقول: كلا وإنما دائماً أخسر، وقد خسرت الكثير حتى بيتي.

وهكذا بقيّة الرذائل.

إذاً.. فالإنسان يعرف الرذائل ونتيجتها، قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾[٢]، فالآية جاءت بعبارة «إنسان»، وليس المسلم أو المؤمن ممّا يدل على أن الإنسان أيّاً كان هو بصير بنفسه، والبصير صاحب

---

[١] النبأ: ٢٣-٢٦.

[٢] القيامة: ١٤-١٥.

النّظرة الثّاقبة.

فالإنسان يعرف ما يقدم عليه، بالذات في هذا العصر الذي انفتحت أمامه سُبُل الهداية فيه، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأَفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[١].

فإذا أقدم الإنسان على عمل مُشين فإنما يقدم بكامل وعيه وقدرته، وإذا كنا نضيف عاملاً آخر وهو مهمّ جداً فالذين يجترحون السيئات ويعملون الخبائث، ثم تظهر نتائج أعمالهم بأبشع ما يكون إنما هي أمامنا ونعيشها في الواقع.

ففي كل يوم نرى العشرات من هؤلاء الذين يجترحون السيئات ثم تظهر النتائج السيّئة.

وإليك هذه القصة الواقعية التي بات يتحدّث بها الكثير:

كانت زوجة الشيخ قد حملت، وفي أحد الأيام خرجت إلى السوق، وقد جاءها «الوحام»، فاشتهت رماناً، فجاءت إلى البقال ورأت الرمان الممتلئ «الريان»، وأرادت أن تشتري، ولكن السعر كان باهظاً عندها جاءت بإبرة فوخزت رمّانة ممتلئة، ثم شربت منها بدون علم البقال، ثم وضعت جنينها وكان ذكراً، فلما كبُر الولد أرسله أبوه إلى السوق ليشتري بعض الحاجات، فاشترى ثم صادف «سقّاءاً» فأخذ الإبرة فوخز القربة ثم شرب الماء، وفي اليوم الثاني صادف صاحب لبن عمل قربة ممتلئة باللبن فوخزها ثم أخذ يشرب اللبن، فصار من عادته ذلك.

---

(١) فصلت: ٥٣.

استفسر الناس عن «الثّقّاب» وعندما عرفوا الشاب دُهِش الجميع كيف أن ابن الشيخ يعمل هكذا، فجاؤوا إلى أبيه، وهم بين مستح وواجم، وأخيراً تكلّموا مع الشيخ فيما يخصّ ولده، فتأثر الشيخ كثيراً، وتمنى لو أن الأرض ابتلعته، بعدها أرسل الشيخ إلى أمّه فحدّثها، وقال: إني لم أمارس هذا العمل الشّائن ولو لمرة واحدة، فمن أين تعلّم ولدي هذا السلوك المخزي؟ لقد أخزاني أمام الناس.

عندها انبرت الوالدة، وقالت: أنا السبب.

وقصّت عليه ما حدث لها، فتألّم الشيخ كثيراً، والمهم في القصة الواقعية هي النتائج المترتّبة على العمل السيّئ.. وهذه نقطة جديرة بالملاحظة.

فالنتائج موجودة وتحت نظر الإنسان، وبإمكانه أن يراها رأي العين، وكذلك نتائج العمل الصالح، باتت واضحة لكل البشر.

وقد ساهم العلم في توفير سبل الإيصال، فالفضائيات والإنترنيت وغيرها من وسائل الإعلام قلّصت المسافات، وجعلت كل شيء تحت نظر الإنسان وخلال لحظات.

فعليه، فالإنسان مسؤول عن عمله وسلوكه، وهو يدرك ما يُقدِم عليه، ثم يقدّر نتائج الأعمال، وإذا كان البعض ينسب ذلك إلى الله عزّ وجلّ فهو جاهل مقصّر وليس قاصراً، لأن الإنسان أضحى قريباً إلى الأحداث أينما وقعت، فليس أمام الإنسان أيُّ عذر في ارتكاب الفواحش والموبقات، إلا إذا أراد أن يكابر ويتجاوز الواقع، ويغطّي الشمس بالغربال.

جاء في (الاحتجاج) للشيخ الطبرسي: أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ذات

يوم ومعه الحسن بن علي عليه السلام، وسلمان الفارسي (رضوان الله عليه)، وأمير المؤمنين عليه السلام متّكئ على يد سلمان، فدخل المسجد الحرام، فجلس، فأقبل رجلٌ حسن الهيئة واللباس فسلّم على أمير المؤمنين عليه السلام، فردّ عليه السلام، فجلس، ثم قال: يا أمير المؤمنين أسألك عن ثلاث مسائل، إن أخبرتني بهنّ علمت أن القوم ركبوا من أمرك ما أفضى إليهم أنهم ليسوا بمأمونين في دنياهم ولا في آخرتهم، وإن يكن الأخرى علمت أنك وهم شرعٌ سواء.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: سلني عمّا بدا لك.

فقال: أخبرني عن الرجل إذا نام أين تذهب روحه؟ وعن الرجل كيف يذكر وينسى؟ وعن الرجل كيف يشبه ولده الأعمام والأخوال؟

فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام، فقال: يا أبا محمد، أجبه.

فقال عليه السلام: «أما ما سألت عنه من أمر الإنسان إذا نام أين تذهب روحه، فإنّ روحه متعلّقة بالريح، والريح متعلّقة بالهواء إلى وقت ما يتحرك صاحبها لليقظة، فإن أذن الله بردّ تلك الروح على صاحبها، جذبت تلك الروح الريح وجذبت تلك الريح الهواء، فرجعت فسكنت في بدن صاحبها، وإن لم يأذن الله عزّ وجلّ بردّ تلك الروح على صاحبها، جذبت الهواء الريح فجذبت الريح الروح، فلم تُرَدّ على صاحبها إلى وقت ما يبعث.

وأمّا ما ذكرت من أمر الذّكر والنسيان، فإنّ قلب الرجل في حُقٍ وعلى الحُقّ طبق، فإن صلّى الرجل عند ذلك على محمد وآل محمد صلاةً تامة انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحُقّ، فأضاء القلب، وذكَرَ الرجل ما كان

نسي، وإن لم يصلّ على محمد وآل محمد، أو نقص من الصلاة عليهم، انطبق ذلك الطبق على ذلك الحُقّ فأظلم القلب، ونسي الرجل ما كان ذكره.

وأمّا ما ذكرت من أمر المولود الذي يُشبه أعمامه وأخواله، فإنّ الرجل إذا أتى أهله فجامعها بقلب ساكن وعروق هادئة وبدن غير مضطرب، فأسكنت تلك النّطفة جوف الرحم، خرج الولد يشبه أباه وأمه، وإن أتاها بقلبٍ غير ساكن وعروق غير هادئة وبدن مضطرب، اضطربت النّطفة فوقعت في حال اضطرابها على بعض العروق، فإن وقعت على عرق من عروق الأعمام، أشبه الولد أعمامه، وإن وقعت على عرق من عروق الأخوال، أشبه الولد أخواله»[1].

أين تذهب الروح بعد خروجها من الجسد؟ وأين تستقر؟ وكيف تستقر إلى أن ترجع ثانية إلى الجسد فينهض الإنسان ثانية ويستمر في نشاطه؟ قال تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾[2].

لقد أجاب الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بإجابة لم يسبق لها مثيل، لا لأن الأنبياء والأوصياء لم يستطيعوا ذلك، فهم يصدرون من نبع واحد.

ولكن الإمام المجتبى عليه السلام فصّل ووضّح بشكل عجيب، فالروح عندما تخرج من الجسد تتعلّق بالريح والريح متعلّق بالهواء، ولكن كيف تخرج الروح من جسد الإنسان؟ أهناك ملك يقبضها أم هي تخرج بقدرة الله عزّ وجلّ؟ يبدو من الآية المباركة: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ

---

[1] الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ص٣٢٢-٣٢٣.

[2] الروم: ١٧.

تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ﴾[١].

إنّ الله عزّ وجلّ وكّل ملائكة بقبض روح الإنسان، فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى التي لم يقض عليها.. بدليل الآية: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾[٢]، فالملك موكّل لقبض روح الإنسان سواء في المنام أم في الموت، وعندما ينام الإنسان ويأتي الملك ليقبض روحه مؤقّتاً ففيه من المعاني الكبيرة.

و**أوّل** المعاني أن الروح تلتقي بالملائكة، واللقاء يشكّل أهمية للإنسان لأن روحه تحلّق مع الملائكة التقاءً روحياً ففيه نفحات إيمانية عالية.

ثانياً: إنّ خروج الروح من الجسد وصعودها إلى السماء والتقاءها بالملائكة وبالأرواح الطيّبة يجعلها تعيش أجواء الآخرة، وهذه تفيد عندما ترجع ثانية إلى الجسد فتزيده قوة إضافية، ولولا صعود الروح إلى العالم العلوي لمال الجسد كلياً إلى الدنيا، فإن عوامل الجذب عديدة وقوية، ومنها الشيطان فإنه يجرّ الإنسان بحبائله القوية، قال تعالى على لسان الشيطان: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾[٤]، فالشيطان الرجيم يؤكّد على

[١] الزمر: ٤٢.

[٢] السجدة: ١١.

[٣] الأعراف: ١٦.

[٤] ص: ٨٢-٨٣.

غواية المؤمنين ﴿صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[١].

وما لم تصعد الروح إلى السماء، وتكتنز قوة إيمانية لا يمكن لها أن تقاوم عوامل الجذب القوية، صحيح أنّ الإيمان له دور ولكن هناك مكمّلات ينبغي أن تعاضد الإيمان، لاستواء الروح، ومن ثَمّ سيطرتها على الجسد، وينبغي أن تسيطر الروح على الجسد حتى تتمكن من قيادته، ومن ثَمّ إيصاله إلى الكمال.

و**ثالثاً**: إنّ خروج الروح من الجسد في المنام إنما يشكّل دليلاً على البعث والنشور، ففي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله: «لَتموتُنّ كما تنامون ولتبعثنّ كما تستيقظون»[٢].

فالنوم أكبر دليل على البعث، وهو آية من آيات الله، قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ﴾[٣].

وقد يكبر على البعض النشور والبعث، ولكن النوم والاستيقاظ أوضح دليلين على ذلك.

وقد يشكّك البعض في أنّ الميت كيف يحيا مرة ثانية، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ

---

(١) الأعراف: ١٦.

(٢) الكامل في التاريخ: الشيباني، ج١/ص٥٨٥.

(٣) الروم: ٢٣.

يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾[١].

وقد أوضح الباري عزّ وجلّ عملية الإحياء، فالذي أنشأ العظام أول مرة، هو قادر على إحيائها ثانية.

ويقول الفلاسفة: إن الإحياء الثاني أسهل من الأول، وأنا لا أذهب إلى هذا الرأي، فإنّ كلا الإحياءَين عند الله سواء، قال تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾[٢].

ثم إذا كان البعض يستصعب النشور والإحياء مرتين، فلم لا يستصعب إحياء الأشجار؟ ففي كل خريف تسقط الأوراق ويذهب الشجر في سبات عميق، وفي الربيع يستيقظ الشجر وتعود الحياة مرة ثانية إليه، فسبحان الذي خلق الحياة في الأشجار ويعيدها ومرات.

قلت في إحدى المحاضرات: إن الله عزّ وجلّ خلق في هذه الدنيا دلائل واضحةً فيما يخصّ الآخرة، وقد جعلها الباري عزّ وجلّ نصب عيني الإنسان، ومنها بعثُ الحياة في النبات فإنه في كل سنة يموت ويحيا، وهذا دليل بيّن على بعث الإنسان.

ورابعاً: إنّ خروج الروح من الجسد إنما يعبّر عن بقاء الروح، واضمحلال الجسد، فعندما تعرج الروح يبقى الجسد بلا حراك، وهذا يدلّ على اضمحلاله.

---

[١] يس: ٧٨-٧٩.

[٢] لقمان: ٢٨.

وخامساً: في الرّوايات الثابتة أنّ الرؤى الصحيحة تعبّر عندما تكون في الثلث الأول من الليل، لأنّ الروح تلتقي بالملائكة كما في الروايات.

سادساً: إنّ خروج الروح من الجسد ثم رجوعها إليه إنما يساهم في قوة البصيرة، وبمعنى آخر فإنّ الإنسان ينظر ببصيرته، وبهذا النظر الثاقب بإمكانه أن يستنتج ويوازن ويفرز، ففي الحديث الشريف عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «من أبصر بها (في الدنيا) أبصرتْهُ، ومن أبصر إليها أعمته»[1]، فالروح تعطي قوةً للبصير والتي باتت مهمة للإنسان.. وخاصة في هذا الوقت الذي كثرت فيه أحابيل الشيطان من الجن والإنس، وكنا سابقاً نحذّر من شياطين الجان ونعتبرها العدو الأول، ولكن بتنا هذه الأيام نحذّر كثيراً من شياطين الإنس فهم يتلبّسونه بألف وجه، فلا تعرف من هو العدو الذي ينبغي أن تحذر منه.

فعروج الروح ثم رجوعها إنما يفيد في تقوية البصيرة وتعميق نظرتها بحيث تقرّر في الإنسان القدرة على التمييز.

ثم يقول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في جوابه عن الذّكر والنسيان: «فإن قلب الإنسان في حُقّ وعلى الحُقّ طبق، فإن صلّى الرجل على محمد وآل محمد صلاة تامة انكشف ذلك الطبق عن الحُقّ وأضاء القلب».

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾[2]، جاء في التفاسير العامة والخاصة أن هذه الآية

---

[1] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٧٠/ص١٢٠، باب ١٢٢، حب الدنيا وذمها.

[2] الأحزاب: ٥٦.

عندما نزلت جاء الصحابة إلى رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، قالوا: يا رسول الله عرفنا كيف نسلّم فكيف نصلّي عليه؟

قال (صلوات الله عليه وعلى آله): «قولوا: اللهمّ صلّ على محمد وآل محمد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد»[1].

وهذه الرواية متفق عليها، وفي كتب الصحيح عند أهل السنة.

ولكن المشكلة عند إخواننا أنهم يخالفون الصحيح من كتبهم، فهم يخالفون كل مورد مهمّ إذا كان يوافق مذهب أهل البيت عليهم السلام ويعتبرونه شاذاً لا قيمة له، ثم يجدّون في صنع الأعذار المهلهلة لتضعيفه، والصلاة على الرسول محمد وآله (صلى الله عليهم) إحدى الموارد التي خالفوا فيها مذهب أهل البيت عليهم السلام، فهم يبترون الصلاة علماً أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء».

فقال (الأصحاب): وما الصلاة البتراء؟

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تقولون: اللهم صلّ على محمد، وتمسكون، بل قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد»[2].

واللطيف في الأمر أنّ إمام الحرم المكي ـ وهي واقعة مشهورة ـ كان يصيح في خطبته، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تصلّوا عليَّ الصلاة البتراء، قالوا:

---

[1] مسند الحميدي: أبو بكر الحميدي، ج٢/ص٣١٠، مصنف عبد الرزاق: الصنعاني، ج٢/ص٢١٢، ومسند ابن أبي شيبة: ج١/ص٣٤٣، ومسند أحمد بن حنبل: ج٤/ص١١٨، وفضل الصلاة على النبي: الجهضمي القاضي المالكي، ج١/ص٥٥.

[2] الصواعق المحرقة: ابن حجر الهيثمي، ج٢/ص٤٣٠، وآداب العلماء والمتعلمين: اليمني، ج١/ص٢٣، وحاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح: الطحطاوي، ج١/ص٨.

يا رسول الله وكيف؟ قال: «تقولون اللهمّ صل على محمد وتسكتون، بل قولوا: اللهمّ صلّ على محمد وآل محمد».

وبعدها قال الخطيب: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (بدون: وآله).

لماذا هذا التجرّؤ في التحريف والتطاول على سنّة الرسول محمد صلى الله عليه وآله، علماً أنهم يطلقون مصطلح «السنة» على مذاهبهم؟!

ثم لماذا هذه المحاولات التي تباعد بين الأمة وتجعلها لقمة سائغة في فم الأعداء؟

لماذا لا نملك الإرادة في اجتياز الآثار المقيتة التي ورثناها من حكّام الجور ووعّاظ السلاطين الذين أدّوا دوراً خطيراً في خلق أجواء التعصّب المقيت؟

لماذا لا نملك الجرأة في كنس الآثار الجاهلية التي تحجب الرؤية الصّائبة والعميقة لمجريات الأحداث ثم نزن الوقائع بميزان الحق والعدالة؟

ماذا لو قلنا الحق وأنقذنا الأجيال من وهدة الباطل ومستنقع الجهالة؟

إنّ رجال الدين هم المسؤولون عمّا يحدث للأمة، وهم يحتملون أوزار من يضلّونهم إلى يوم القيامة.

ماذا تفيد السمعة والصيت والمكانة إذا كان الإنسان قد خسر آخرته فضلاً عن دنياه، لأن الذي يخسر الآخرة لا يربح الدنيا؟ قال تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾[1].

---

(1) الإسراء: ٧٢.

وماذا يفيد المدح والثناء إذا كان المديح يجرّ على الإنسان الوبال وغضب الجبّار؟

لو أن العالم قد أطبق على مدح إنسان وقد غضب عليه الباري عزّ وجلّ فماذا يفيده؟

يقول الشاعر:

فليتك تحلو والحياة مريرةٌ ... وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ ... وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صحّ منك الودّ فالكل هيّن ... وكل الذي فوق التراب ترابُ

وقد علّمتنا التجارب أن أكثر الذين يَمدحون متملّقون، خصوصاً الذين يكثرون المديح، لذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «احثوا التراب في وجوه المدّاحين»[1].

فعليه، فإن هناك مسؤوليةً كبيرةً تقع على عاتق العلماء فيما يخصّ الحقيقة فلابدّ من إظهارها أمام الناس كي لا يتمادوا في جهلهم، ويوغلوا في تعصُّبهم المقيت والذي قادهم إلى أسوأ النتائج.

كنت في «منى» مع أحد السادة العلماء، وكان لطيف المعشر ومحباً للخير، فصادف طالباً من البوسنة يدرس في جامعة الإمام محمد بن سعود في المملكة العربية السعودية، فمدّ العالم يده للطالب وصافحه، ثم جلسا يتحدثان عن منهج الدراسة في الجامعة.

فقال الطالب البوسني: أقولها بصراحة (بعد أن عرف أن العالم من أتباع

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال: ج١/ص٣٨.

مذهب أهل البيت عليهم السلام): إنّ من الدروس المهمة في الجامعة هو تكفير الشيعة.

يقول الطالب البوسني: وأنا في قرارة نفسي لا أقتنع بما يطرحونه من الأدلة.

وبينما نحن نتحدث إذ جاء صديقه مسرعاً ومغاضباً، فقال له: ماذا تعمل هنا؟ اتركهم.

فقام العالم الشيعي، وأراد أن يصافحه، فرفض صديق الطالب، وقال: أنتم كفرة نجسون وأنا لا أصافح الكفرة.

لقد قالها وهو مقتنع بذلك، ثم أخذ صديقه وراح يوبّخه بكلمات قاسية.

إنّ هذه المدارس تشكّل خطراً فادحاً تفوق في عملها السيّئ أخطر أنواع القنابل الذرية والنووية، وغيرها من الأسلحة الفتّاكة.

إنّ تسميم العقل يُعدّ من أخطر عمليات الفتك الإنساني، باعتبار العقل هو إمام الجسد، فإذا تلوّث الإمام ساء الجسد، وتسميم العقل هو الذي يؤدّي إلى صنع القنابل الذرية والنووية، لأنه قد تلوّث عقله بفعل أفكار تهديمية طرحها جملة من فلاسفة الغرب، وفي مقدمتهم «نيتشه»، و«ديكارت»، و«هيغل»، والمقنّن الانكليزي «سيتوارت»، فهؤلاء وغيرهم زرقوا العقول بنظريات هدّامة، فنيتشه يدعو إلى القوة وسحق الضعيف، وإلى السيطرة المطلقة للقوي حتى إنه دعا إلى «قبر المسنين»، لأنه لا فائدة منهم.

وهذه النظريات وغيرها هي التي أشعلت فتيل الحربين العالميتين الأولى

والثانية، وإذا بقيت فسوف تشعل فتيل الحرب الثالثة، لذا ينبغي القضاء على هذه المدارس الهدّامة إنشاء مدارس عقلانية تبني الإنسان عقلياً وأخلاقياً.

جاء في كتاب (الإنسان ذلك المجهول):

«وما زال يوجد رجال كثيرون يستطيعون استخدام هذه القوة دون أنانية، إذ إن المجتمع العصري لم يقض على جميع مصادر الثقافة العقلية، والشجاعة الأدبية والفضيلة والجرأة... وما زالت الشعلة متّقدة، كما أن الشر قابل للإصلاح ولكن إعادة صياغة الفرد تستلزم استبدال الحياة العصرية، بيد أن ذلك لا يمكن أن يتمّ بغير ثورة مادية وعقلية، فليس يكفي أن ندرك ألا مفرّ من إحداث التغيير وأن نملك الوسائل العلمية اللازمة لتحقيقه، وقد يساعد التحطيم الاختياري للمدينة التكنولوجية على تحرير الحوافز الضرورية لتحطيم عاداتنا الحالية وابتداع طرق جديدة للحياة»[(١)].

وهكذا يذهب الدكتور «الكسيس كارليل» إلى إحداث تغيير، وتحرير الحوافز الضرورية لتحطيم الأطُر المتخمة بالأفكار الهدّامة، وكان ينبغي للمدارس الهدّامة ترشيد العقول وتهذيب النفوس وفتح الآفاق أمام الإنسان كي تستفيد من فرص العلم والمعرفة والثقافة، وتنبذ لغة القوة والسيف التي باتت عقيمة وغير مجدية بالمرّة، بل وأضحت تشكل تهديداً لمن يصدّرها ويسوّقها، وهكذا فنحن نرى الآن كيف ينقلب السحر على الساحر، وصدق الله حيث يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[(٢)].

---

(١) الإنسان ذلك المجهول: الكسيس كارليل، ص٣١٣-٣١٤.

(٢) فاطر: ٤٣.

لقد آن الأوان أن نعلّم أجيالنا كيف يتقدّمون ويستفيدون من تجارب الأمم.

جاء في كتاب (الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر) للشيخ محمد الغزالي، يقول:

«كنت أسير في أحد شوارع القاهرة، فوجدت مبنى لبعثة إيطالية تُدرّب أبناءنا على صنع الأحذية، قلت لنفسي: حتى في هذا الميدان نحتاج إلى تدريب؟. ثم وثب بذهني خيال دعاة يريدون نشر الإسلام بالسيف، فقلت لهم في الخيال: حاربوا حذاءكم أولاً، ثم تواضعوا لله، وتعلّموا دينكم ممّن هو أبصر منكم بأصول الدين، وفروعه، ووسائله، وغاياته، إنكم عبء على دين الله ودنيا الناس»[1].

ثم يجيب الإمام أبو محمد الحسن المجتبى عليه السلام عن سؤال مهمّ، هو: كيف يشبه المولود أعمامه وأخواله، وأجاب الإمام (صلوات الله عليه) بجواب فيه الكثير من المعاني التي تخصّ الوراثة والعلاقة ما بين المولود وأقربائه.

فالزوجة من خلال جواب الإمام (صلوات الله عليه) لها الأثر في انتقال الصفات الوراثية من قِبَل أرحامها بالذات من أخيها، لذلك جاء في الحديث عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله : «اختاروا لنطفكم، فإنّ الخال أحد الضجيعين»[2]، وهذا يدعو الإنسان إلى النظر في أخ الزوجة، فإنه يشكّل أحد الأسباب في

[1] الدعوة الإسلامية: الشيخ محمد الغزالي المصري، ص١٣٦.

[2] الكافي: الكليني، ج٥/ص٢٣٢، باب اختيار الزوجة.

انتقال الصفات الوراثية، وقد ثبت علمياً أن الذكر يشبه كثيراً خاله.

من هنا جاء المثل العامي: «ثلثين الولد على الخال»، وهو الصحيح.

ولمست بنفسي هذه الظّاهرة فوجدت الكثير من الأولاد يشبهون أخوالهم في الصفات الخُلُقية والخَلْقية.

والسؤال المطروح: هل إن الصفات الخُلُقية التي يتوارثها الأبناء من الأخوال والآباء والأمهات ثابتة لا تتغيّر؟ وهل تملك صفة الاستقرار المكين بحيث يقف أمامها الإنسان عاجزاً؟

لقد أثبت القرآن الكريم ـ وهو قول الله عزّ وجلّ ـ أنّ الصفات الخُلُقية لا تملك صفة الثّبات فهي قابلة للتغيير والتعديل حتى لو بلغت الذروة في طغيانها، لاحظ الآية، قال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[1]، ففرعون بلغ الطغيان في سلوكه ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾[2]، ولكن مع طغيانه فإن الباري عزّ وجلّ يطلب من النبي موسى وأخيه هارون عليهما السلام أن يذهبا إليه لعلّه يتذكر أو يخشى، وهذا يدل على قوة الإرادة عند الإنسان في تغيير سلوكه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[3].. فإن الله عزّ وجلّ في هذه الآية يعلّق تغيير القوم بتغيير أنفسهم، ولو أن الإنسان لم يستطع تغيير نفسه لما طلب الباري عزّ وجلّ منه ذلك.

---

[1] طه: ٤٣-٤٤.

[2] طه: ٤٣.

[3] الرعد: ١١.

وبعد فإن هناك قوةً مكينةً لدى الإنسان في تغيير سلوكه تتمثّل في الإلهام.

قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[1].

وإذا جئنا إلى هذه الآية المباركة: ﴿لَّكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2]، فإنها تحكي عن قوة مكينة لدى الإنسان في تغيير سلوكه نحو الصلاح، لأن الله عزّ وجلّ في هذه الآية يدعو الإنسان إلى التأسّي برسول الله محمد صلى الله عليه وآله، والتأسي بالرسول صلى الله عليه وآله ليس بالأمر السهل، لأن الله عزّ وجلّ قال فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3]، فلولا وجود القوة العظيمة لدى الإنسان لما طلب منه الباري عزّ وجلّ التأسّي بالرسول محمد صلى الله عليه وآله، وقد شاهدت البعض ممّن كان يقبع في الحضيض كيف انتشل نفسه وتسلّق بها نحو الكمال، فصار مثالاً في الأخلاق والعبادة والمعرفة.

وهناك إشارة مهمّة في جواب الإمام المجتبى (صلوات الله عليه) وهي أن الرجل إذا جاء بقلب ساكن وعروق هادئة وأتى أهله فإن الولد يشبه أباه أو أمه، وهذا يدل على أهمية الاستقرار والاطمئنان، عند ملامسة الزوجة وليس الاستقرار خاصاً بالزوج وإنما يهمّ الزوجة أيضاً.

---

(١) الشمس: ٧-١٠.

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) القلم: ٤.

من هنا فإن الهدوء الذي يخيّم على البيت له أهمية في استواء شخصية الأولاد واستقرار الصفات الوراثية في كيانهم.. فالهدوء الذي يخيّم على البيت له أثر فعّال في انتقال الصفات الوراثية الطيبة، وهذه ملاحظة جديرة بالاهتمام، لأن الصفات الطيبة صعبة المراس، فهناك عوائق عديدة تقف أمامها، فما لم تملك الصفات الحسنة القوة المكينة عند الأب والأم لا يمكنها الانتقال.

لذلك على الأب والأم مراعاة المناخ في البيت خصوصاً إذا أرادا ذريّةً طيبة تقرّ العين كما يقول المثل.

ولكن المؤسف في الأمر أن بعض البيوت تعجّ بالمشاكل والأزمات، فما يمرُّ يوم وإلا وهناك أزمة تطل بظلّها المقيت على البيت، فتحوّله إلى كتلة ملتهبة من النيران، الأمر الذي يؤدي إلى انفضاض الأولاد من البيت وهو مؤشّر خطير جداً.

وفي نظر علماء النفس الاجتماعي فإنّ البيت الملتهب بالأزمات لا ينبغي له أن ينجب الذرية لأنها ترث الأزمات والعُقَد التي لا سبيل إلى استئصالها، وحتى لو جرت عملية الاستئصال فإنها تحتاج إلى وقت طويل لأنها استحكمت في كيان الأولاد.

جاء في كتاب (أضواء على النفس البشرية):

«يرى علماء النفس أنّ الاضطرابات السلوكية والأمراض النفسية التي تصيب الطفل في حداثته والرجل في مستقبله تكون نتيجة المعاملة الخاطئة للأبوين كالاحتكاكات الزوجية التي تخلق الجو العائلي المتوتّر الذي

يسلب الطفل الأمن النفسي، وتناقضات أسلوب المعاملة كالتذبذب بين التسامح والشدة، العنف واللين، التدليل والإهمال، وتكون نتيجة هذه التورّطات إما خلق روح العدوان والجنوح وبرود العاطفة والإحباط والوساوس من ناحية، أو المغالاة في الاعتماد على الغير والسلوك المدلّل وضعف الشخصية من ناحية أخرى»[١].

وقبل أن أختم الحديث أودّ الإشارة إلى نقطة مهمة تتعلّق بموضوع الوراثة، فبعض الآباء ومع الأسف يأتي بشهوة امرأة غريبة، وذلك من كثرة الاختلاط المشين، ويسبّب ذلك أفدح الأخطار الوراثية.

جاء في كتاب (التربية الجنسية للأطفال والبالغين):

«والعلم نفسه لم يتمكّن حتى الآن على الأقل من نفي تأثير حالة مجامعة الرجل لامرأته بشهوة امرأة أخرى في الجينات الجنسية للطفل الذكر، ويظهر هذا التأثير في نسبة عالية من هرمون الأنوثة الإستروجين على الجنين الذكر»[٢].

نماذج حيّة من علمه عليه السلام :

جاء في (الاحتجاج):

روى محمد بن قيس، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام ، قال: بينا أمير المؤمنين عليه السلام في الرحبة والناس عليه متراكمون، فمن بين مستفتٍ

[١] أضواء على النفس البشرية: الدكتور الزين عباس عمارة، ص٣٠١-٣٠٢.

[٢] التربية الجنسية للأطفال والبالغين: الأستاذ يوسف مدن، ص٣٤.

ومن بين مستعْدٍ، إذ قام إليه رجل، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

فقال: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، من أنت؟

قال: أنا من رعيتك وأهل بلادك.

فقال له: ما أنت برعيتي وأهل بلادي، ولو سلمت عليَّ يوماً واحداً ما خفيت عليَّ.

فقال: الأمان يا أمير المؤمنين.

فقال: هل أحدثت منذ دخلت مصري هذا؟

قال: لا.

قال: فلعلك من رجال الحرب؟

قال: نعم.

قال: إذا وضعت الحرب أوزارها فلا بأس.

قال: أنا رجل بعثني إليك معاوية متغفّلاً لك، أسألك عن شيء بعث به ابن الأصفر إليه، وقال له: إن كنت أحق بهذا الأمر، الخليفة بعد محمّد، فأجبني عمّا أسألك، فإنك إن فعلت ذلك اتّبعتك، وبعثت إليك بالجائزة، فلم يكن عنده جواب، وقد أقلقه، فبعثني إليك لأسألك عنه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قاتل الله ابن آكلة الأكباد، وما أضلّه وأعماه ومن معه، حكم الله بيني وبين هذه الأمة، قطعوا رحمي، وأضاعوا أيامي، ودفعوا حقي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي، يا قنبر، عليّ بالحسن والحسين ومحمد.

فأحضروا، فقال: يا شامي، هذان ابنا رسول الله، وهذا ابني، فأسأل أيّهم أحببت.

فقال: أسأل ذا الوفرة: (الحسن عليه السلام) .

فقال له الحسن عليه السلام : سلني عمّا بدا لك.

فقال الشامي: كم بين الحق والباطل؟ وكم بين السماء والأرض؟ وكم بين المشرق والمغرب؟ وما قوس قزح؟ وما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين؟ وما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين؟ وما المؤنث؟ وما عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض؟

فقال الحسن عليه السلام : «بين الحق والباطل أربع أصابع، فما رأيته بعينك فهو الحق، وقد تسمع بأذنك باطلاً كثيراً».

فقال الشامي: صدقت.

قال: «بين السماء والأرض دعوة مظلوم، ومدّ البصر، فمن قال لك غير هذا فكذّبه».

قال: صدقت يا بن رسول الله.

قال: «وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس، تنظر إليها حين تطلع من مشرقها وتنظر إليها حين تغيب في مغربها».

قال: صدقت: فما قوس قزح؟

قال: «ويحك! لا تقل قوس قزح فإن قزح اسم الشيطان، وهو قوس الله وهذه علامة الخصب، وأمان لأهل الأرض من الغرق.

وأمّا العين التي تأوي إليها أرواح المشركين: فهي عين يقال لها:

برهوت.

وأمّا العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين: فهي عين يقال لها: سلمى.

وأمّا المؤنث، فهو الذي لا يدري أذكر أم أنثى، فإنه يُنتظر به، فإن كان ذكراً احتلم، وإن كان أنثى حاضت وبدا ثديها، وإلا قيل له: بُلْ على الحائط؛ فإن أصاب بوله الحائط فهو ذكر، وإن انتكص بوله كما ينتكص بول البعير فهي امرأة.

وأمّا عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض: فأشدّ شيء خلقه الله الحجر، وأشدّ من الحجر الحديد يقطع به الحجر، وأشدّ من الحديد النار تُذيب الحديد، وأشدّ من النار الماء يطفئ النار، وأشدّ من الماء السحاب يحمل الماء، وأشدّ من السحاب الريح تحمل السحاب، وأشدّ من الريح الملك الذي يرسلها، وأشد من الملك ملك الموت الذي يميت الملك، وأشدّ من ملك الموت الموت الذي يميت ملك الموت، وأشدّ من الموت أمر الله الذي يميت الموت».

فقال الشامي: أشهد أنك ابن رسول الله حقاً، وأن علياً أولى بالأمر من معاوية.

ثم كتب هذه الجوابات، وذهب بها إلى معاوية، فبعثها إلى ابن الأصفر.

فكتب إليه ابن الأصفر: «يا معاوية، تكلّمني بغير كلامك؟ وتجيبني بغير جوابك! أقسم بالمسيح ما هذا جوابك! وما هو إلا من معدن النبوة، وموضع الرسالة، وأمّا أنت فلو سألتني درهماً ما أعطيتك»[1].

(1) الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ص٣٢٤-٣٢٥.

في هذه الصفحة الرائعة من العلم أكثر من مفهوم، وقبل أن نبدأ أشـرح موجزاً عن المفاهيم العلمية في أجوبة الإمام أبي محمد الحسن المجتبى (صلوات الله عليه).

أقول: ومن هوان الدنيا أن يتحكَّم بالبلاد الإسلامية مثل معاوية، وبعد فترة وجيزة من وفاة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ، وما زالت الغصّة في حلقي، والكمد في صدري كلّما سررت واقعة فيها ابن آكلة الأكباد.

وأقول: ماذا دهى الأمة الإسلامية وجرى لها حتى يتربّع على عرش الخلافة معاوية ابن آكلة الأكباد، وهي محرّمة على بني أمية كما جاء في الروايات الثابتة؟ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الخلافة محرّمة على ولد أبي سفيان»[1].

وبنو أمية هم الشجرة الملعونة في القرآن الكريم، وقد ذكر ذلك الفخر الرازي في تفسير «آية الشجرة الملعونة» في القرآن الكريم.

وعندما رأى النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم أبا سفيان راكباً ومعاوية يقوده ويزيد يسوقه، قال صلى الله عليه وآله : «لعن الله السائق والراكب والقائد»[2].

ويكفي معاوية أنه من الفئة الباغية، فقد جاء في (صحيح البخاري)، قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«يا عمّار، تقتلك الفئة الباغية، وآخر شرابك من الدنيا ضياح من لبن»[3].

---

[1] الأمالي: الشيخ الصدوق، وحياة الحيوان: الدميري، ج١/ص٨٨-٨٩.

[2] المعجم الكبير: الطبراني: ج٣/ص٧٣.

[3] تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج٤٣/ص٤٣٣، وتاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، ج١٣/ص١٨٦.

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً : «إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق، وتقتلك الفئة الباغية، تدعوهم إلى الجنة ويدعونك إلى النار»[(١)].

ومعاوية كان يغري الشعراء في انتقاص الأنصار الذين جاهدوا دون رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان هذا الأسلوب يدخل في إطار «فرّق تسد» الذي استعمله معاوية بشكل مفرط.

جاء في (العقد الفريد): «إنّ الأخطل الشاعر المسيحي وهو من شعراء البلاط وقف أمام معاوية يهجو الأنصار بهذه الأبيات:

ذهبت قريشٌ بالمكارم كلّها ... واللؤم تحت عمائم الأنصار
قومٌ إذا حضرَ العصيرُ رأيتَهم ... حُمراً عيونُهُمُ من المسطارِ
وإذا نسبتَ إلى الفُريعةِ خِلْتَهُ ... كالجحْشِ بين حمارة وحمارِ
فدعوا المكارم لستُمُ من أهلها ... وخُذُوا مساحيَكم بني النجّار[(٢)]

وسوف نستعرض بعضاً من مخازي معاوية وأساليبه الشيطانية في تفريق الأمة في فصل صلح الإمام الحسن (صلوات الله عليه)، والمهمّ: أنّ ملك الروم كان يروم معرفة معاوية والوقوف على حجمه، فوجده هزيلاً وأكولاً لا يشبع من الطعام، وبذلك أمن جانبه، ومن جانب فإنّ ملك الروم سعى لتوثيق العلاقة مع معاوية عبر الرسائل والزيارات والهدايا، وقد توثّقت العلاقات وتوطّدت بشكل لم يسبق له مثيل، بدليل أن جبهة الشام كانت هادئة طيلة حكم معاوية، فلم تشهد الجبهة أيّ تحرّك إزاء الروم.

---

(١) السيرة الحلبية: علي بن برهان الدين الحلبي، ج٢/ص٢٦٢.

(٢) العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي، ج٥/ص٢٨٤.

إنّ الأسئلة التي وجّهها ملك الروم كشفت معاوية، وجعلته تحت المحكّ، وهي خطّة مدروسة سعى من خلالها ملك الروم إلى إظهار حجم معاوية كما أسلفنا.

والأسئلة تظهر معرفة علماء المسيح وملوكهم بالتّعاليم الإلهية بتفاصيلها، ممّا يدلّ على وجودها في كتبهم، وأنها مكنونة في صدور علمائهم، وهي حجة عليهم في يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[1].

ولكنّ المشكلة في علماء المسيح أنهم يظهرون خلاف ما يعتقدون، وهم بذلك يحرّفون الكلم عن مواضعه، ويوقعون أتباع السيد المسيح عليه السلام في الحرام.

وهكذا ولأجل دنيا فانية، ومنافع تافهة يوقعون الملايين في الخطيئة بكل أشكالها، فهم يقولون: إننا نرتكب كل حرام إذ ليس في قاموسنا كلمة حرام.

وقد عايشتُ الشعب الأمريكي والذي يُعدّ الأول من بين الشعوب المسيحية في الالتزام، فوجدته لا يتحرّج عن أيّ حرام، بل لا يعرف معنى الحرام، فعنده كل شيء مباح، وقد وصل الأمر بهم إلى حدٍّ أنهم يرتكبون أبشع أنواع الحرام، فبات نكاح البنات من قِبل آبائهنّ وإخوانهنّ ظاهرة طبيعية.

وأمّا ظاهرة الشذوذ الجنسي (الزواج المثلي) فأصبح سلوكاً يفتخر به

---

[1] النمل: ١٤.

كبار القساوسة، هذا ما حدّثني به سماحة السيد حسن القزويني عند التقائه أحد القساوسة، فهو يفتخر أن أحد أولاده في جمعية الشذوذ الجنسي!!!

تباً لكم.. ولما تفترون.

لقد خالفتم تعاليم السيد المسيح عليه السلام الذي جاء ليؤكّد تعاليم الأنبياء الطاهرة.

جاء في (إنجيل متى)، على لسان السيد المسيح عليه السلام: «لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لأبطل بل لأكمل، الحق أقول لكم: لن يزول حرف أو نقطة من الشريعة، حتى يتمّ كل شيء، أو تزول السماء والأرض، فمن خالف وصية من أصغر تلك الوصايا، وعلّم الناس أن يفعلوا مثله، عُدّ الصغير في ملكوت السموات، وأما الذي يعمل بها ويعلّمها، فذاك يُعدّ كبيراً في ملكوت السماوات»[١].

جاء في كتاب (الإسلام والمسيحية في الميزان) لشريف محمد هاشم: «وقدّم له خمراً ممزوجة بمرّ، فلم يتناولها»[٢].

وفي (متى): «ذاقها ولم يشربها»[٣].

وجاء في كتاب تحت عنوان «بتحريم لحم الخنزير» نقلاً عن كتاب (قس ونبي): «تحدث الحريري عن هذا الحق، فقال:

«تحريم لحم الخنزير هو في اليهودية والنصرانية فرض واجب، فاليهود

---

[١] متى: فصل ٥-١٧ ١٩:١٨.

[٢] مرقص: ١٥-٢٣.

[٣] متى: ٢٤-٢٧.

في توراتهم يعتبرون الخنزير رجساً لهم، والنصارى منذ البدء وفي مختلف شِيعهم ساروا بموجب شريعة موسى، وعلّموا بسبب خطايا الإنسان، تحريم بعض الأطعمة، واستبقت الكنيسة المسيحية السريانية هذا التعليم، فقال أفرهات: إنه بسبب خطاياك أعطاك الله الذّبائح، وحرّم عليك بعض الطعام»[(١)].

ونحن نسأل علماء المسيح، وعليهم أن يجيبوا بكل صدق وصراحة:

هل كان الخمر، وأكل لحم الخنزير، وغيرهما من المحرّمات مباحة عند السيد المسيح عليه السلام ؟

وهل كانت محلّلة قبل حياة السيد المسيح عليه السلام ؟

وهل كانت الخمرة محلّلة في زمن النبي موسى عليه السلام ؟

هل كانت محلّلة قبل النبي موسى عليه السلام ؟

أجيبونا إن كنتم صادقين، وأنّى لكم الجواب ولو بدليل واحد يذهب إلى تحليل لحم الخنزير في زمن السيد المسيح عليه السلام ، وكذلك شرب الخمر، ولسوف تحملون أوزاركم، وأوزار الذين تضلّونهم بغير علم في يوم القيامة.

صورة مشرقة من علمه عليه السلام :

جاء في (مناقب آل أبي طالب):

عن ابن بابويه، بإسناده عن الرضا عليه السلام ، أنه أتى عمر برجل وجده على

---

(١) المسيحية والإسلام في الميزان: شريف محمد هاشم، ص٥٧١-٥٧٣، نقلاً عن كتاب قس ونبي.

رأس قتيل، وفي يده سكين مملوءة دماً، فقال الرجل: لا والله ما قتلته، ولا أعرفه، وإنما دخلت بهذه السكين أطلب شاة لي عدمت من بين يدي فوجدت هذا القتيل.

فأمر عمر بقتله، فقال الرجل القاتل: إنا لله وإنا إليه راجعون، قد قتلت رجلاً وهذا رجل آخر يُقتل بسببي.

فشهد على نفسه بالقتل، فأدركهم أمير المؤمنين وقال: لا يجب القَوَد، إن كان قتل نفساً فقد أحيا نفساً، ومن أحيا نفساً فلا يجب عليه قَوَد.

فقال عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «أقضاكم علي»[1].

وأعطى ديته من بيت المال.

وفي (الكافي)، و(التهذيب)، عن أبي جعفر: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام سأل فتوى ذلك الحسن عليه السلام.

فقال: «يطلق كلاهما والدية من بيت المال».

قال: ولم؟

قال لقوله: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[2]..[3].

والمشهور أنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام طلب من الإمام أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام القضاء في هذه المسألة، فقضى الإمام الحسن عليه السلام

---

[1] تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: الباقلاني، ج١/ص٥٤٣، وتثبيت الإمامة وترتيب الخلافة: أبو نعيم الأصبهاني، ج١/ص٦٥، والإمامة والرد على الرافضة: أبو نعيم الأصبهاني، ج١،ص٢٧٨، وفيه أيضاً: وإن عمر كان يشاوره في النوازل والحوادث، وشرح صحيح البخاري لابن بطال: ج١٠/ ص٢٤٤.

[2] المائدة: ٣٢.

[3] مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج٤/ص١١.

وأبلغ في القضاء.

ولا غرابةَ في ذلك، وهم الفرع الباسق من الأصل الثّابت سيد الكائنات رسول الله محمد صلى الله عليه وآله الذي تعاهد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام منذ ولادته المباركة، فنمت شخصية الإمام (صلوات الله عليه) باستواء، وقد تركت الزهراء عليها السلام والإمام أمير المؤمنين عليه السلام بصمات مهمة على شخصية الإمام أبي محمد الحسن الزكي عليه السلام فتكاملت فيه عوامل السموّ والرفعة.

جاء في كتاب (أضواء على علم النفس البشرية): «في علم النبات كل شيء له أصل تمتدُّ له جذور، إذاً شجرة الأصالة تمتدّ جذورها في باطن الأرض»[1].

وهذا القانون نفسه ينطبق على الإنسان، فالإمام الحسن عليه السلام له أصل مكين: رسول الله صلى الله عليه وآله ، والزهراء الطاهرة، والإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليهم أجمعين).

لذلك تمتدّ الجذور وتسمو الفروع، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[2].

وقد كشفت الأصالة عن نفسها بأروع ما يكون، إذ ظهرت ملامح النبوة وإشراقاتها في علم الإمام أبي محمد (صلوات الله عليه)، وأخلاقه السامية، وحكمته البالغة.

---

[1] أضواء على علم النفس البشرية: الدكتور الزين عباس عمارة، ص٢٤٠.

[2] إبراهيم: ٢٤-٢٥.

لذلك أراد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يبيّن للناس ثمرة النبوة، ومعدن الرسالة، فوجّه إليه القضاء، فقضى بما حكم الله عزّ وجلّ.

نظرةٌ في العقوبات:

قد يتساءل البعض: لماذا القصاص؟ ولماذا الرجم وقطع اليد؟ أليست هذه الإجراءات هي مصادرة لحق الحياة وتكتسب طابع القساوة؟

ثم لماذا القصاص الذي هو تكرار للقتل؟ أليس ينطبق عليه القتل العمد؟

لقد كثرت التساؤلات، وحامت الشبهات حول العقوبات الإلهية، ولو أمعن الإنسان في العقوبات الإلهية وأبعادها الاجتماعية والأخلاقية لغيّر قناعاته إزاء العقوبات، ولخرج بنتيجة منطقية تؤيّد العقوبات، بل تعتبرها من اللوازم لبقاء الحياة الإنسانية.

جاء في (التفسير الأمثل) تحت عنوان: «هل يتعارض القصاص مع العقل والعواطف الإنسانية»:

«ثمة فئة يحلو لها أن توجّه إلى الإسلام ـ دون تفكير ـ اعتراضات، وكثير شبهات، خاصة بالنسبة إلى مسألة القصاص، تقول:

١- الجريمة لا تزيد على قتل إنسان واحد، والقصاص يؤدّي إلى تكرار هذا العمل الشنيع.

٢- القصاص ينمّ عن روح الانتقام والتشفّي والقسوة، ويجب إزالة هذه الروح عن طريق التربية، بينما يعمّق القصاص هذه الروح.

٣- القتل لا يصدر عن إنسان سليم، لابدّ أن يكون القاتل مصاباً بمرض نفسي ويجب علاجه، والقصاص ليس بعلاج.

٤- قوانين النظام الاجتماعي يجب أن تتطوّر مع تطوّر المجتمع، ولا يمكن لقانون سُنّ قبل أربعة عشر قرناً أن يطبق اليوم.

٥- من الأفضل الاستفادة من القاتل بتشغيله في معسكرات العمل الإجباري، وبذلك نستفيد من طاقاته، ونصون المجتمع من شروره.

هذا ملخّص ما يوجّه للقصاص من اعتراضات.

الجواب:

لو أمعنّا النّظر في آيات القصاص، لرأينا فيها الجواب على كل هذه الاعتراضات: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[1].

فالحياة الاجتماعية لا يمكن أن تطوي مسيرتها الحياتية التكاملية، دون اقتلاع العوامل المضرّة الهدّامة فيها، ولمّا كان القصاص في هذه المواضع يضمن استمرار الحياة والبقاء، فإن الشعور بضرورة القصاص أودع على شكل غريزة في وجود الإنسان، فأنظمة الطب والزراعة والرعي قائمة على أساس هذا الأصل العقلي، وهو إزالة الموجودات المضرّة الخطرة، فنرى الطب يجيز قطع العضو الفاسد إذا شكّل خطورة على بقية أعضاء الجسد، وتقتلع النباتات والأغصان المضرّة من أجل استمرار نمو النباتات المفيدة بشكل صحيح، أولئك الذين يرون في الاقتصاص من القاتل قتلاً لشخص آخر، ينظرون إلى المسألة من منظار فردي، ولو أخذوا بنظر الاعتبار

---

(١) البقرة: ١٧٩.

مصلحة المجتمع، وعلموا ما في القصاص من دور في حفظ سائر أفراد المجتمع وتربيتهم، لأعادوا النظر في أقوالهم.

وإزالة مثل هؤلاء الأفراد الخطرين المضرِّين من المجتمع، كقطع العضو الفاسد من جسد الإنسان، وكقطع الغصن المضرِّ من الشجرة، ولا أحد يعترض على قطع ذلك العضو وهذا الغصن، هذا بشأن الاعتراض الأول.

وبالنسبة إلى الاعتراض الثاني، لابدّ من الالتفات إلى أن تشريع القصاص لا ارتباط له بمسألة الانتقام، لأنّ الهدف من الانتقام إطفاء نار الغضب المتأجّجة لمسألة شخصية، بينما القصاص يستهدف الحيلولة دون استمرار الظلم في المجتمع، وحماية سائر الأبرياء.

وبشأن الاعتراض الثالث القائل إنّ القاتل مريض نفسياً، ولا تصدر هذه الجريمة من إنسان طبيعي، لابدّ أن نقول: هذا كلام صحيح في بعض المواضع، والإسلام لم يشرّع حكم القصاص للقاتل المجنون وأمثاله، ولكن لا يمكن اعتبار المرض عذراً لكل قاتل، إذ لا يخفى ما يجرّ إليه ذلك من فساد، ومن تشجيع القَتَلة على ارتكاب جرائمهم، ولو صحّ هذا الاستدلال بالنسبة إلى القاتل لصحّ أيضاً بشأن جميع المعتدين على حقوق الآخرين، لأن الإنسان العاقل المعتدل لا يعتدي إطلاقاً على الآخرين، وبذلك يجب حذف كل القوانين الجزائية، ويجب إرسال المعتدين والمجرمين إلى مستشفيات الأمراض النفسية بدل السجون.

أمّا ادّعاء عدم إمكان قبول قانون القصاص اليوم بسبب تطور المجتمع،

وبسبب قِدَم هذا القانون، فمردود أمام إحصائيات الجرائم الفظيعة التي ترتكب في عصرنا الراهن، وأمام التجاوزات الوحشية التي تنتشر في بقاع مختلفة من عالمنا بسبب الحروب وغير الحروب.

وحول حفظ القتلة في السجون، فإنّ هذه العملية لا تحقّق هدف الإسلام من القصاص ـ كما ذكرنا ـ فالإسلام يستهدف حفظ حياة المجتمع، والحيلولة دون تكرار القتل والجريمة، والسجون وأمثالها لا تستطيع أن تحقق هذا الهدف (خاصة السجون الحالية التي هي أفضل من أكثر بيوت المجرمين)، ولا أدَلّ على ذلك من ارتفاع إحصائيات جرائم القتل خلال فترة قصيرة في البلدان التي ألغت حكم الإعدام، ولو كانت أحكام السجن عرضة للتقلّص بسبب أحكام العفو ـ كما هو سائد اليوم ـ فإن المجرمين يعمدون إلى ارتكاب جرائمهم دون تخوُّف أو تردّد»[1].

ونضيف: إنّ العقوبات في الإسلام رادعة وليست انتقامية، بدليل أنّ القصاص من القاتل قد يستبدل بالدية العاقلة، وقد يعفو من بيده سلطان القصاص، ويبقى الحق العام، وهذا يقدّره الحاكم الشرعي أو القاضي.

وهناك ملاحظة مهمّة، صحيح أن القصاص يطال المتّهم، ولكنه ينقذ الآلاف بل الملايين، فإن العقوبة الرّادعة ـ بالذات القصاص ـ تردع من تسوُّل نفسه الاستهانة بحياة الآخرين.

ثم من العدل أن يُقتصَّ من القاتل، وإلا كيف نعرف العدل إذا لم يكن هناك قصاص، وهل من العدل والإنصاف أن تذهب الدماء هدراً ويبقى

---

[1] الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج١/ص٣٥٧-٣٥٨.

القاتل في السجن؟ ثم ينتظر العفو أو الواسطة وما شابه، ثم يخرج ويجترئ أكثر ممّا سبق، وهذا ما يحدث الآن في الدول التي تستهين بالقصاص، فإن القاتل يخرج من السجن وهو أكثر إجراماً ممّا سبق.

وأنا شاهد عيان، فقد رأيت الذين يقتلُون ويُسجنون في ولاية مشيغان، ثم يُطلق سراحهم يصبحون أكثر جرأةً ممّا سبق، وكأن السجن لهم دار استراحة وتعليم، ثم إن الدول التي تطعن بالقصاص وخصوصاً الدول الغربية وغيرها فهي لا تتحرّج عن قتل الملايين في سبيل مصالحها الضيّقة، ثم لا ترى حريجة في قتل من يقف ويضايقها في شرب كأس من الخمر، وهذا هو الواقع الذي نشاهد كل يوم، إنهم يستسيغون القصاص من الشعوب المظلومة والمقهورة، ولكنهم لا يرونه سائغاً في قتل مجرم سفك الدماء البريئة.

وهكذا تُبرّأ ساحة العقيد الأمريكي الذي رمى هيروشيما وناكازاكي بالقنابل الذرية، فهم يبرِّئون ساحة الظالم، والذي لا يرى حرجاً في قتل الملايين ويقتصّون من المظلومين المسحوقين.

ويؤسفني أن أقول: إنّ مبادئ القانون الدولي قائمة على هذه الاعتبارات لأنه وضع من قِبَل دول كبرى ما زالت تتحكّم بالضعيف.

جاء في كتاب (الرؤية الإسلامية للقانون الدولي) تحت عنوان: ثغرات في القانون الدولي:

«من الممكن تلمُّس العديد من العيوب والثّغرات في (القانون الدولي العام)، وفي مقدمة ذلك عدم تخلّص القواعد الدولية كلياً من المعايير

الغربية، التي تنظر للشعوب الأخرى باستعلاء، فمثلاً حدّدت المادة ٣٨ من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية المبادئ القانونية العامة، ثمّ حصرتها بـ(بالأمم المتمدّنة) أي الدول الغربية، وهو نص استقاه المشرّع الدولي من المادة (التاسعة) من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية التي تنصّ بصراحة ووضوح بأنه: ينبغي للهيئة في جملتها أن يكفل تأليفها تمثيل المدنيّات الكبرى والنُّظم القانونية الرئيسية في العالم»[1].

ثم إنّ نظام العقوبات في الإسلام يكون بحجم الجرم، وهذه نقطة جديرة بالملاحظة، فالقصاص من المجرم يكون بحجم إجرامه، فلا يجوز للقاضي وضع عقوبة تفوق حجم الجرم، تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ﴾[2].

لذلك وضع الإسلام قواعدَ مهمّةً في تطبيق العقوبة، منها تطبيق العدالة وإشاعتها بين المجتمع، فالعقاب يكون لخدمة القانون الأخلاقي.

جاء في كتاب (حقوق الإنسان) للدكتور أحمد ضاهر:

«ولكن الشيء المهمّ الذي لابد من أخذه بعين الاعتبار بناءً على هذه النظرة هو وضع مفهوم العدل في التطبيق العملي، بمعنى تحقيق العدل، وذلك عن طريق وضع مقياس للعقاب يتناسب مع الفعل الخاطئ والذي بطبيعة الحال لا يقع على أحد سوى الذي قام به، أضف إلى ذلك ـ وهو

---

(1) الرؤية الإسلامية للقانون الدولي: قاسم خضر عباس، ص٤١-٤٢، نقلاً عن كتاب: القانون الدولي العام دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي: للدكتور عبد الباقي نعمة عبد الله.

(2) الإسراء: ٣٣.

الاعتبار الآخر الذي يمكن النّظر إليه ـ أن العقاب يكون لخدمة القانون الأخلاقي والقيام به واجب أخلاقي، وليس القصد منه خدمة العقاب نفسه»[١].

وهكذا، فالعقاب في المفهوم الإسلامي يستهدف نفس المجرم، الذي ارتكب الجرم المشهود وقامت الأدلة الكافية على جرمه.

ويؤكّد الإسلام على توفير الأدلة الواضحة والقاطعة على تلبُّس المجرم بجريمته، عند ذلك يقام الحدُّ، ومنها الاعتراف وهو سيد الأدلة كما نصّ عليه الفقه الإسلامي، وهذا ما حكم به الإمام الحسن المجتبى (صلوات الله عليه) في قضية القتيل الذي وُجد في الخربة، واتُّهم به رجل آخر.

وهناك نقطة مهمّة تدخل في إطار تطبيق العدالة وهي الحالة النفسية، فعندما يُقام على القاتل الحدُّ أمام الناس، قال تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٢]، إنما يؤكد العدالة للعقوبة.

فالذي يشهد عذابهما ترتسم في مخيلته الصورة، فتكون رادعاً قوياً يمنعه من ارتكاب الجريمة، فالعقاب هو منع الجريمة، أو بعبارة أوضح: حاجز قوي أمام وقوع الجريمة.

جاء في كتاب (حقوق الإنسان):

«إنّ قضية عدالة العقاب أو قضية العادل تبرّر عقلياً ضرورة وجود العقاب واستعماله، إن مهمة المعاقب على حدّ قول سقراط، هو التأكيد على

---

(١) حقوق الإنسان: الدكتور أحمد ظاهر، ص١٥٥-١٥٦.

(٢) النور: ٢.

نتائجه، أي أن المعاقَب قد انتفع من العقاب الذي نزل به أو أنه كان مَثَلاً يعتبر به الآخرون، وعلى هذا الأساس فإنّ مهمة العقاب إذاً النظر إلى المستقبل وليس إلى القاضي، وقد أكّد «توماس هوبز» على أن الناس لا ينظرون إلى الأفعال الشريرة بل إلى نتيجة هذه الأعمال مستقبلاً، سواء كان نتيجة هذه الأعمال مستقبلاً، وسواء كان نتيجة هذه الأعمال شراً أم خيراً، وعليه يرى هوبز أننا لا نوقع العقاب إلا من أجل إصلاح الشرير أو توجيه الآخرين، وما عدا ذلك فإن العقاب يعتبر أمراً عدائياً صرفاً.

ويرى هوبز أن الهدف الأول والأخير من العقاب إنما هو وقف الإجرام والإصلاح وتحقيق السلامة العامة.

ويرى هوبز أن القانون الذي لا يلازمه عقاب لا يعتبر قانوناً على الإطلاق، وإنما هو مجرّد كلمات ليس إلا، إنَّ وقف الجريمة عن طريق العقاب لا يعني التعدّي على الأفراد بقدر ما يعني الحفاظ على السلامة العامة ودرء الخطر عنها»[1].

أمّا «جون لوك» الفيلسوف الاجتماعي المعروف فيرى:

«أن مجتمع الرفاه لا يتحقّق إلا عن طريق القوة (قوة القانون) التي تعاقب كلّ من يتخطّى حدود الآخرين داخل المجتمع، وكذلك فللمجتمع الحقُّ في عقاب أي فرد يوقِع إيذاءً على أحد أفراد المجتمع حتى وإن كان من خارج أعضاء المجتمع (أي من مجتمع آخر)، وذلك حفاظاً على ملكية

[1] حقوق الإنسان: الدكتور أحمد ظاهر، ص١٦٢.

أفراد المجتمع بكافة الوسائل الممكنة»[١].

وأما «روسو» فيرى أن على رجل الدولة أن يعرف جيداً كيف يمنع الجريمة، وهو يعتقد أن هدف العقاب إنما هو إصلاح حال المجرم.

ويؤكّد «روسو» أنه لا يوجد أحد في وضع مَرَضيّ لا يمكن إصلاحه، ولكنه يعتقد أنه لا يوجد حق للدولة في قتل أيٍّ من أفرادها حتى يكون عبرة للآخرين[٢].

وقد ذهب هؤلاء الفلاسفة إلى فرض «قوة القانون» التي تعاقب كلَّ من يتخطى حدود الآخرين داخل المجتمع.

فللمجتمع الحق في إنزال العقوبة على أي فرد يشكّل خطراً على المجتمع حتى وإن كان خارج أعضاء المجتمع، ونظرية هؤلاء تقترب كثيراً من حكمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «من أمِن العقوبة أساء العقاب»، وهي حكمة بالغة تحمل حلاً جذرياً لمسألة العقوبات، كما أن فكرة «جون لوك» في فرض (قوة القانون) تتشابه مع طريقة الإمام في التعامل مع القانون.

هذا إن لم تكن نظريته مستقاة من تعامل الإمام (صلوات الله عليه) مع القانون، فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام جعل هيبةً عظيمةً للقانون وقوّة نافذة تجعله أعلى سلطة في المجتمع الإسلامي.

ويمكن أن تكون هذه الواقعة دليلاً على ذلك:

---

(١) حقوق الإنسان: الدكتور أحمد ظاهر، نقلاً عن كتاب بالإنكليزية Jon loche, The second Treatise Government editea by Thomos Peardon.

(٢) المصدر نفسه ص١٦٣.

ورد أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان ماراً بالسوق، فإذا هو بيهودي يبيع أدرُعاً، فعرف (عليٌّ) الدرع.

فقال: الدرع درعي ولم أبع ولم أهب..

وكان قاضي المسلمين شريحاً، كان الإمام عليّ عليه السلام استقضاه (جعله قاضياً).

فقال شريح: ما تقول؟

فقال اليهودي: الدرع لي وفي يدي.

فسأل شريح أمير المؤمنين عليه السلام البيّنة.

فقال علي: هذا قنبر والحسين يشهدان لي بذلك.

فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز لأبيه، وشهادة العبد لا تجوز لسيده وإنهما يجرّان إليك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ويلك يا شريح! أخطأت من وجوه: أمّا واحدة فأنا إمامك تدين الله بطاعتي وتعلم أني لا أقول باطلاً فرددت قولي وأبطلت دعواي، ثمّ سألتني البيّنة فشهد عبدٌ وأحد سيدي شباب أهل الجنة فرددت شهادتهما ثمّ ادعيت عليهما أنهما يجرّان إلى نفسيهما، أما إني لا أرى عقوبتك إلا أن تقضي بين اليهود ثلاثة أيام، أخرجوه.

فأخرجه إلى قباء، فقضى بين اليهود ثلاثاً، ثم انصرف، فلما سمع اليهودي ذلك قال: هذا أمير المؤمنين جاء إلى الحاكم والحاكم حكم عليه!

فأسلم، ثم قال: الدرع درعك، سقطت يوم صفين من جمل أورق فأخذتها[١].

---

[١] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤١/ص٥٦، باب ١٠٥ تواضعه صلوات الله عليه.

ثمّ إنّ هناك ضوابطَ للعقوبات في الإسلام فريدة من نوعها فهي تضمن إقامة القصاص بشكل عادل بحيث لا يحيد عن قواعد الحق أنملة واحدة، ومن الضّوابط المهمّة:

١- لا يجوز القصاص قبل الجناية (أي على النية).

٢- المتهم بريء حتى تثبت إدانته.

٣- قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ادرَؤُوا الحدود بالشُّبهات»[١].

٤- إقامة الشهود أو توافر الشهود عند الحادثة.

٥- القرائن الحالية: حيث يمضي القاضي في دراسة القضية الجنائية من خلال القرائن المتوافرة عند الجريمة ويزنها بميزان الشرع.

٦- الاقتصاص من نفس المجرم: طبقاً للآية: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٣].

وقد انفرد الإسلام في هذه الضّابطة عن بقية المذاهب الوضعية التي تعاقب الجميع حتى وإن لم يرتكبوا ذنباً، وقد أطلق على هذه العقوبة بـ «العقوبة الجماعية».

جاء في كتاب (الرؤية الإسلامية للقانون الدولي العام): «إنّ المادة (٢٥) من لائحة لاهاي للحرب البريّة أجازت حصار المدن وضرب القرى والمساكن والأبنية بالأسلحة الحربية للاستيلاء عليها، مما يدلّ على أن

---

[١] وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج٢٨/ص١٣٠.

[٢] الأنعام: ١٦٤.

[٣] المدثر: ٣٨.

(القانون الدولي العام) أباح بصورة ضمنية حرب المدنيين العزّل»[1].

وها نحن نشاهد اليوم العقوبات الجماعية التي تطال الأبرياء بلا ذنب اجترحوه، وأنا أكتب هذه السطور، وقد ازدحمت مخيلتي بمشاهد العقوبات الجماعية البشعة التي لا تفرّق بين المجرم والبريء فأصبح المجتمع كلُّه مجرماً يستحقّ الإعدام.

لم أكن أتصوّر يوماً أن الإنسانية ستمرُّ بمثل هذه الجرائم المروّعة التي تهتزّ لها المشاعر الإنسانية من الأعماق، فحمامات الدم لا تنتهي، وشلالات دم الأبرياء لا تنقطع، ولأتفه الأسباب، قرأت الكثير عن حمامات الدم، وكيف أنها تُراق بدم بارد، ولكن في هذا العصر يختلف الأمر كلياً؛ فالدماء البريئة تجري وبدون حساب، وبدون أن يرفّ جفنٌ لمنظمات حقوق الإنسان التي أسست لضمان حقوق الإنسان، وإذا هي أنشِئَت لهدر حقوقه، لقد أصبحت عناوينَ فارغةً من أيِّ محتوى إن لم نقل واجهةً لتسويغ الجرائم البشعة.

أنا الحسن بن علي عليه السلام :

هناك ارتباطاً وثيق بين العلم والعبادة، فالعبادة تعطي زخماً متواصلاً للإنسان، وبعبارة أوضح تفجّر فيه ينابيع المعنويات التي تكمن في الروح، فالروح مشبّعة بالعلم لأنها من الله عزّ وجلّ، قال سبحانه وتعالى: ﴿ فَإِذَا

---

[1] الرؤية الإسلامية للقانون الدولي العام: قاسم خضر عباس، ص١٨١.

﴿سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَٰجِدِينَ﴾[(١)].

فالعبادة بمثابة الصّاعق الذي يفجّر الينابيع المكنونة في الروح، وأوضح مصاديق العبادة التقوى، قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[(٢)]، وأما الدليل على العلاقة بين التقوى والعلم فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾[(٤)].

لذلك فإنّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام كان عابداً في منتهى العبادة.

جاء في (مناقب آل أبي طالب):

«إنّ الحسن عليه السلام كان إذا فرغ من الفجر لم يتكلّم حتى تطلع الشمس وإن زُحزح، أي وإن أُريد تنحّيه عن ذلك باستنطاق ما يهمّ، قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الحسن بن علي عليهما السلام حجّ خمساً وعشرين حجة ماشياً»، وقاسم الله تعالى ماله مرتين، وفي خبر: قاسم ربَّه ثلاث مرات، وحجّ عشرين حجة على قدميه»[(٥)].

وهناك قانون في العبادة كلّما خلصت العبادة لله عزّ وجلّ فتحت للإنسان أبواب العلم من حيث لا يحتسب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُ

(١) الحجر: ٢٩.

(٢) التغابن: ١٦.

(٣) البقرة: ٢٨٢.

(٤) الأنفال: ٢٩.

(٥) مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج٤/ص١٤.

مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[1]، وكما ورد في الحديث: «أحسن الرزق رزق العلم».

ثم إن العبادة الخالصة تلهم الإنسان وتمنحه قوة هائلة تجعله يهيمن في حديثه، وإن لم يكن عالماً.

لقد شاهدت بنفسي بعض هؤلاء، فحديثهم كان له هيبة ممّا ترك آثاراً عميقة لحدٍّ كتابة هذه الأسطر، فإذا كان الإنسان العادي هكذا، فكيف بالأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) الذين بلغوا القمّة في العبادة والإخلاص، فجاءت إشراقتها وضّاءة في علومهم الثرّة التي أغنت الإنسانية وليس المسلمين فحسب؟

جاء في (مناقب آل أبي طالب):

إنّ علياً عليه السلام قال لابنه الحسن: اِجمع النّاسَ.

فاجتمعوا، فأقبل وخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، وتشهّد، ثم قال: «أيها الناس، إن الله اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه، وأنزل علينا كتابه ووحيه؛ وايم الله لا ينقصنا أحد من حقنا شيئاً إلا انتقصه الله من حقه، في عاجل دنياه وآخرته، ولا يكون علينا دولة إلا كانت لنا العاقبة ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[2] ».

ثم نزل فاجمع بالناس وبلغ أباه، فقبّل بين عينيه، ثم قال: بأبي وأمي ﴿ذُرِّيَّةً

---

[1] الطلاق: ٢-٣.

[2] ص: ٨٨.

﴿بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

لقد جمع الإمام أبو محمد عليه السلام الكمال والجلال من جميع أطرافهما بسبب عمق الأصالة التي توافرت في كيانه المبارك، ولقد تمثّلت الأصالة في رسول الله محمد صلى الله عليه وآله والزهراء والإمام أمير المؤمنين عليهما السلام فقامت الشجرة على سوقها تعجب الزرّاع ليغيظ بها الكفار.

وكما هو ثابت فإن الشجرة تقاوم الأعاصير كلّما تعمّقت جذورها، وهكذا هي شجرة النخيل، فهي تصمد أمام الأعاصير بكل كبرياء وشموخ، ثم هي تجيد الثّمر كلّما لوحتها أشعة الشمس.

فالثّمر يطيب إذا تعرّض للشمس، وهذا ما أشار إليه الإمام أبو محمد الحسن المجتبى عليه السلام عندما طلب منه معاوية الصعود إلى المنبر ليخطب.

جاء في (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي:

أن عمرو بن العاص قال لمعاوية: لو أمرت الحسن بن علي يخطب على المنبر، فلعله حصر فيكون ذلك وضعاً له عند الناس.

فأمر الحسنَ بذلك، فلمّا صعد المنبر تكلّم وأحسن، ثم قال: «أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب، أنا ابن أول المسلمين إسلاماً، وأمي فاطمة بنت رسول الله، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن السراج المنير، أنا ابن من بُعث رحمةً للعالمين، لو طلبتم ابناً لنبيكم ما بين لابتيها (أي ما أحاطت به الحَرَّتان من المدينة وهما الحصان من حصونها) لم تجدوا غيري وغير أخي».

---

[1] آل عمران: ٣٤.

فناداه معاوية: يا أبا محمد، حدّثنا بنعت التمر.

(أراد بذلك أن يخجله، ويقطع بذلك كلامه) فقال (صلوات الله عليه): نعم، تلقحه الشمال، وتخرجه الجنوب، وتنضجه الشمس، ويصبغه القمر»[١].

وهكذا الإمام أبو محمد الحسن عليه السلام يبيّن حقيقة التمر، فهو يطيب إذا لوّحته الشمس وكذلك الإنسان، فإذا تلقّى حرارة المصائب والمِحَن نضج عقله، واستقام سلوكه، والعقل الناضج لا يخطئ كثيراً، وحتى لو أخطأ فإنه يدرك خطأه، وهذه نقطة جديرة بالملاحظة.

والعقل يكبر بالعلم والتجارب، وكلّما تشبّع العقل بالعلم انفتحت أمامه الآفاق، وامتلك القدرة على الاستنتاج السليم، وقد تجلّت هذه الصفات في الإمام أبي محمد عليه السلام، فكان يملك عقلاً حصيفاً.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو كان العقل رجلاً لكان الحسن عليه السلام»[٢].

وخطبة الإمام تكشف عن هذا المعنى، فهو أثبت جدارته العلمية، ونضوجه العقلي، ومن جانبٍ كشف سفاهة عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان اللذين أوغلا في الجهل والعماية، لقد طلبا من الإمام عليه السلام بعد أن كشف الواقع التعرُّج إلى نعت الرُّطَب حتى يحصر، فتألّق في النعت في بضع كلمات أخرست معاوية بن أبي سفيان وألقمه حجراً، وكم تلقّى معاوية مثل تلك الكلمات القاطعة التي لو ألقيت على حجر لأفاق، وتفجّرت منه الأنهار، ولكنه معاوية بن أبي سفيان الذي تشبّعت كلّ خلاياه بالمكر

---

(١) العقد الفريد: ابن عبد ربه الأندلسي، ج ١٩/٤.

(٢) مئة منقبة: ابن شاذان القمي، ص١٣٥.

والخديعة والختل، فضاقت عليه سُبُل المعرفة والحكمة.

لذلك كان يلتجئ دوماً مع صاحبه عمرو بن العاص إلى الأساليب الوضيعة لتحقيق غايات دنيئة لا تستحقّ تلك الدماء البريئة التي أريقت من أجلها بل لا تستحقّ نفساً واحدة.

فالإنسانُ يُعد صغيراً في ميزان معاوية وعمرو بن العاص، لذلك أقدما على سحق جميع القيم الإنسانية، ووضعها تحت قدميهما، وهناك قاعدة نفسية تنصّ على أن الإنسان كلما صغر وغامت عليه الآفاق صغرت في عينيه قيم الإنسانية.

وهكذا كان معاوية وعمرو بن العاص، فلأنهما كانا صغيرين، ويستشعران الضعة والدّناءة فإنهما أسقطاهما على الآخرين.

لقد ذكرت مراراً الأسباب التي تدعو الإنسان إلى تصغير القيم المثلى، منها الوراثة، والأجواء البيتية، وحب الدنيا.

وهذه العوامل أدّت دوراً خطيراً في صياغة سلوك معاوية وعمرو بن العاص، فهما قد انحدرا من أسرة تشبّعت بحب الانتقام، فهند بنت عتبة أم معاوية أقدمت على فعل شنيع لم يسبق له مثيل في تاريخ الإجرام، فهي بقرت بطن الشهيد البطل حمزة عمّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأكلت كبده، ولفظته، فسُمّيت بآكلة الأكباد، ثم جدعت أنف الشهيد وأذنيه، وعملت منهما قلادة[1]، وغيرها من الأعمال الشنيعة التي يَندى لها جبين الإنسانية.

وأمّا أبو سفيان فهو رأس النفاق والكفر، فطالما كاد لرسول الله صلى الله عليه وآله

---

[1] راجع الإصابة في تمييز الصحابة، وكتب السيرة.

وتربّص به الدوائر، وقد انفرد أبو سفيان بالكيد والختل والعدوان، وقد ورث ذلك من أبيه حرب بن أمية، الذي جاشت به البحر على حدّ تعبير مؤمن قريش أبي طالب عليه السلام فتبنّاه عبد شمس[1].

فأميّة لم يكن قريشياً، وإنما هو رومي.. جاشت به البحر، وكان يكيد لهاشم ويتربّص به الدوائر، فورثه أبو سفيان.

جاء في (نهج البلاغة) لابن أبي حديد المعتزلي:

لما بويع لعثمان دخل رحله، فدخل إليه بنو أمية حتى امتلأت بهم الدار، ثم أغلقوها عليهم.

فقال أبو سفيان بن حرب: أعندكم أحدٌ من غيركم؟

قالوا: لا.

قال: «يا بني أمية، تلقّفوها تلقُّف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان لا جنّة ولا نار»[2].

فانتهره عثمان، وساءه بما قال، وأمر بإخراجه.

وإذا أردنا أن نعدّد مواقف اللؤم والنفاق والخسّة لأبي سفيان بن حرب فعلينا أن نعدّ مجلداً ضخماً.

وقد ترعرع معاوية في أجواء الكيد والحقد والختل، فنمت فيه، لذلك أخذ ينظر إلى البشر بنظرة صغيرة ملؤها الحقارة.

---

[1] راجع هاشم وأمية في الجاهلية، وقبس من نور الإمام الجواد عليه السلام: للمؤلف.

[2] شرح نهج البلاغة: ابن أبي حديد المعتزلي، ج٩/ص٥٣، وتاريخ الطبري، ج٥/ص٦٢٢، ومروج الذهب: المسعودي، ج١/ص٣١٠، والأغاني: أبو الفرج الأصبهاني، ج٦/ص٣٧١، وجمهرة أمثال العرب: أبو هلال العسكري، ج٢/ص٥٧.

من هنا جاء حبه للدماء وللسلطة والطعام، فكان نَهِماً لا حدّ لِنَهمه، وقد تحقّق فيه دعاء الرسول محمد صلى الله عليه وآله .

جاء في خطبة للإمام أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام لمعاوية بن أبي سفيان:

«وأنشدكم بالله، هل تعلمون أنّ رسول الله بعث إليك لتكتب لبني خزيمة، حين أصابهم خالد بن الوليد، فانصرف إليك الرسول، فقال: هو يأكل.

فأعاد الرسول إليك ثلاث مرات، كل ذلك ينصرف الرسول ويقول: هو يأكل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «اللهمّ لا تُشبع بطنهُ»، فهي والله في نهمتك وأكلك إلى يوم القيامة»[1].

ولم يشبع معاوية من الطعام، فكان يأكل ويقول: والله ما شبعت، ولكنْ مللت.

فتدلّى بطنه على فخذيه، وعندما كان يمشي فكأنه يحمل قربة ضخمة على بطنه، وأمّا عند الصلاة فحدّث ولا حرج[2].

وكما هو ثابت فإنّ التخمة المتصلة لا توفّر للإنسان فرصةً للتفكير وللبصيرة النافذة.

وهل وجدت أكولاً يملك بصيرة نافذة، أو عقلاً حصيفاً؟ لقد بات

[1] الاحتجاج: الشيخ الطبرسي، ج١/ص٣٣١.

[2] النصائح الكافية لمن يتولى معاوية: ابن عقيل الزيدي.

واضحاً للجميع أنّ معاوية لم يملك عقلاً حصيفاً، ونظرة ثاقبة، لذلك لم تؤثر عنه حكمةٌ متعالية، أو مقولة سوى الغدر والمكر.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في (نهج البلاغة):

«والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس»[١].

ومن علمه (صلوات الله عليه):

جاء رجل إلى الإمام الحسن عليه السلام، فقال له: يا بن رسول الله، صف لي ربّك حتى كأنّي أنظر إليه.

فأطرق الإمام الحسن بن علي عليه السلام مليّاً، ثم رفع رأسه، فقال: «الحمد لله الذي لم يكن له أوّلٌ معلومٌ، ولا آخِرٌ مُتَنَاهٍ، ولا قَبْلٌ مُدرَكٌ، ولا بَعْدٌ محدودٌ، ولا أَمَدٌ بحَتّى، ولا شخصٌ فيتجزّأ، ولا اختلافُ صفةٍ فيتناهى، فلا تُدرِك العقولُ وأوهامُها، ولا الفِكَرُ وخَطَراتُها، ولا الألبابُ وأذهانُها صفتَهُ فتقول متى، ولا بُدِئ ممّ، ولا ظاهرٌ عَلامَ، ولا باطنٌ فِيمَ، ولا تاركٌ فهلا، خلَقَ الخلْقَ فكان بديئاً بديعاً، ابتدأ ما ابتدعَ، وابتدعَ ما ابتدأ، وفعلَ ما أرادَ، وأرادَ ما استزادَ، ذلكمُ اللهُ ربُّ العالمينَ»[٢].

يمكن أن نوضح كلام الإمام (صلوات الله عليه) من خلال استنتاج ابن سينا حول الباري عزّ وجلّ.

---

[١] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٣/ص١٩٧.

[٢] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤/ص٢٨٩، باب ٤، جوامع التوحيد. والإمام الحسن القائد والتاريخ: الأستاذ فؤاد الأحمد، ص١٧٦-١٧٧.

يقول ابن سينا: «الحسُّ لا يدرك صِرفَ المعنى، ولا يدرك الصورة إلا في المادة، وإلّا مع علائق المادة، من كمّ، وكيف، وأين، ووضع، والروح الإنسانية هي التي تتمكّن من تصوُّر المعنى بحدّه وحقيقته، منفوضاً عنه اللواحق الغريبة، مأخوذاً من حيث يشترك فيه الكثير، وذلك بقوة تسمى: (العقل النظري)، وليس من شأن المحسوس، من حيث هو محسوس، أن يعقِل، ولا من شأن المعقول من حيث هو معقول، أن يُحسَّ...، والحسُّ، تصرّفه فيما هو من عالم الخَلق، والعقل تصرّفه فيما هو من عالم الأمر، وما هو فوق الخَلق والأمر فهو محتجبٌ عن الحسِّ والعقل، والذات الأحديّة لا سبيل إلى إدراك كُنْه ذاتها، بل تُعرف صفاتها، وإن عقولنا لا تصلح أن تكون حكَماً نحكم بها على أعمال الله تعالى، وأسراره في خلقه، وتدبيره، وقضائه وقدره»[1].

فالعقل الإنساني محدود، كما يقول «كانط» فهو لا يستطيع أن يعرف كُنْهَ ذاته، وما زال يحبو في طريق العلم والمعرفة، فكيف به أن يعرف ذات الله عزّ وجلّ؟

يقول «آنشتاين» في العلم، كما في كتاب (كيف تكسب الأصدقاء) لكارنيجي: «إنّ الإنسان ما زال على الساحل يلهو كالطفل، وأمامه محيط من العلم لا نهاية له».

ومع قلة علم الإنسان زال البعض يصرُّ على معرفة ذات الله، ويخوض في أوهام باطلة تتعب عقله وذهنه، ثم لا يستنتج من خوض غمارها إلا الوهم.

---

[1] قصة الإيمان: نديم الجسر، ص٦١.

وما زال البعض يكثر من الأسئلة التي لا طائل تحتها، ولا يمكن له أن يحصل على أي نتيجة سوى الوهم والضياع.

إنّ بعض الفلاسفة ومنهم «ديكارت» كان يخوض غمار الوجود، وأصل الوجود، ومن هو المُوجد، فتوصّل إلى نتيجة منطقية تكمن في محدودية الفهم وقال كلمته المشهورة: «أنا أفكر، إذاً أنا موجود (je pense,donc je suis)، وعلى هذه الكلمة بنى قواعد برهانه على صحّة الحواس، وصدق العقل، وتوصل إلى إثبات وجود الله، وعرف جميع صفات كماله المتوجبة عقلاً، ومن هذه القاعدة انتقل ديكارت إلى إثبات وجود العقليات، ثم ترقى بعد ذلك إلى الاستدلال على الله بدليل الحدوث، ودليل الوجوب.

جاء في كتاب (قصة الإيمان) للشيخ نديم الجسر:

يقول «ديكارت»: «لماذا يستحيل عليَّ أن أفكّر، هذه الحقيقة القائلة: «أنا أفكّر، إذاً أنا موجود»، إنه يستحيل عليَّ إنكارها لأنها واضحة جداً، وهنالك قضايا لا تقلّ عن هذه القضية وضوحاً في العقل، مثل قولنا: إن الشيء لا يصدر من لا شيء، وقولنا إن النتيجة لا يمكن أن تكون أكبر من المقدمة، وإن المسبِّب لا يمكن أن يكون أكبر من سببه.

وبعد أن يتوصّل ديكارت إلى هذا اليقين في إثبات القضايا الأولية البديهية المركوزة في عقولنا، يقسّم الأفكار إلى ثلاثة أقسام: أفكار بالمصادفة، أو مباشرة (adventices) وهي التي تتكوّن لدينا من الأشياء الخارجية مباشرة بدون إعمال الذهن، وأفكار صُنعية (Factices) وهي التي

نكوّنها نحن من أفكار مختلفة، وأفكار فطرية (innees) مركوزة في عقولنا.

ثم يقول: إن القسمين الأوليّين يجب فيهما الحذر كي لا يتسرّب إليهما شيء من أغلاط الحواس وأوهامها، وأما الأفكار الفطرية فإنها في حالة سلامة العقل، تكون سالمة من الخطأ، لأنها جزء أساسي من تكوين عقولنا، ومنها نقتبس أحكامنا اليقينية كلّها، ونستدلُّ على وجود الله.

وبعد ذلك ينتقل «ديكارت» إلى إثبات وجود الله، فيقول: أنا موجود فمن أوجدني؟ ومن خلقني؟ إنني لم أخلق نفسي، فلابدّ لي من خالق، وهذا الخالق لابدّ أن يكون (واجب الوجود)، وغير مفتقر إلى من يُوجِده أو يحفظ له وجوده، ولابدّ أن يكون متّصفاً بكل صفات الكمال، وهذا الخالق هو الله بارئ كلّ شيء»[1].

وبعد أن يتّخذ ديكارت من نفسه ووجوده، ومن العالم الموجود الذي هو أقرب إلى الإنسان استنتاجاته المنطقية على وجود الله عزّ وجلّ، وعلى أزليته يكون قد اتخذ السبيل المنطقي في تثبيت المقدمات المنطقية التي تؤدي إلى نتائج عقلية رصينة، وهكذا هو «كنط».

ولكن البعض من الفلاسفة يترك العالم القريب، والذي يمكّنه من استغلال الكثير من البديهيات العقلية والاستنتاجات المنطقية، ويذهب إلى عالم الأوهام والخيالات، ثم لا يقبض إلا الوهم والاستدلال الواهي».

إنّ الإنسان بإمكانه أن يستدل بوضوح على خالق الكون وبأقرب الطرق، فهي متوافرة في كل بقعة من الأرض، فهي تفترش الأرض وكلها

---

(1) قصة الإيمان: نديم الجسر، ص١٢٧-١٢٨.

تنطق بلسان واحد: الله خالقنا، وتفترش الإنسان آيات عظيمة لها دلالات واضحة.

جاء في كتاب (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة):

قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾[1]، إنّ بين جوانحك آياتٍ لا تُعدّ ولا تحصى، منها غشاء الطبل، فكلٌّ واحد غشاء طبله يعمل بانتظام، وغشاء الطبل غشاء رقيق، لا تزيد سماكته على نصف ميلمتر، ولا يزيد قطره على تسع ميلمترات (أقل من سنتيمتر) متين كالصلب، مرن كالمطاط، حيوي جداً لنقل الأصوات، لو تعطّل هذا الغشاء لفقد الإنسان سمعه، لذلك فقد جهّزه الله عزّ وجلّ بما يحفظه من التلف، وجعله في آخر قناة منحنية أضيق من خنصر الإنسان، لئلا يعبث به الصغير فيخرقه.

لقد جعل الله عزّ وجلّ الأذن الوسطى (وهذا من حكمته) موصولةً بقناةٍ إلى البلعوم، فإذا جاء ضغط كبير كافٍ لخرق هذا الغشاء جاء الضغط المقابل من الفم، فتوازن الضغطان، وسلم غشاء الطبل من التمزّق، إذ إن الأصوات الشديدة من شأنها أن تمزّق غشاء الطبل.

وهذا الغشاء مربوط بأربع عُظيمات، لا يزيد وزنها على خمسة وخمسين ميليغراماً، ولا يزيد طولها مجتمعة على تسعة عشر ميليمتراً هذه العظيمات لها وظيفة رائعة جداً، إنها تكبر الأصوات الضعيفة إلى عشرين مثلاً، وتخفّض الأصوات الضخمة المؤذية، فجهاز واحد يعمل على تكبير الصوت، وعلى خفض الصوت، وهذا ما لا يستطيع البشر، وهذا من الآيات

[1] الذاريات: ٢١.

الدالّة على عظمة الله تعالى»[١].

تفسير الآية:

حكي عنه عليه السلام أنه كان يجلس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، ويجتمع الناس حوله، فيتكلّم بما يشفي غليل السائلين، ويقطع حجج المجادلين.

من ذلك ما رواه الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في (تفسير الوسيط): «إنّ رجلاً دخل إلى مسجد المدينة، فوجد شخصاً يحدِّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله والناس حوله مجتمعون، فجاء إليه الرجل، وقال: أخبرني عن ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[٢].

فقال: نعم، أما الشّاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم عرفة.

فتجاوزه إلى آخر غيره يحدّث في المسجد، فسأله عن ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[٣].

قال: أما الشاهد فيوم الجمعة، وأما المشهود فيوم النحر.

قال: فتجاوزهما إلى ثالث، غلام كأن وجهه الدينار وهو يحدّث عن رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد، فسأله عن ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[٤].

فقال: أمّا الشاهد فرسول الله صلى الله عليه وآله، وأما المشهود فيوم القيامة، أما

---

[١] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: الدكتور أحمد راتب النابلسي، ص٢٣٣.

[٢] البروج: ٣.

[٣] البروج: ٣.

[٤] البروج: ٣.

سمعته (عزّ وجلّ) يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[(٢)].

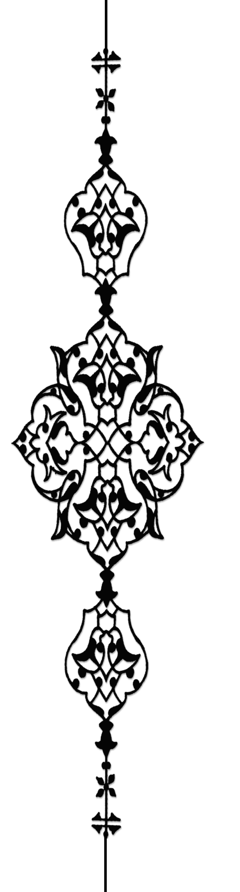
فسأل عن الأول، فقالوا: ابن عباس. وسأل عن الثاني، فقالوا: ابن عمر. وسأل عن الثالث، فقالوا: الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، وكان قول الحسن أحسن[(٣)].

(١) الأحزاب: ٤٥.

(٢) هود: ١٠٣.

(٣) الفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي، ج٢/ص٧٠٢، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٨٦/ ص٢٦٣.

الفصل السادس



حكم الإمام عليه السلام

حِكَم الإمام المجتبى عليه السلام

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

الإنسان مستودع هائل للعلم والمعرفة الفطرية، وعالم مترامي الأطراف، لأن فيه قبساً من الروح العلوية، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾[2].

وهذه الروح العلوية تضمّ الكثير من المعاني القدسية التي لها أعظم الأثر في مسيرة الإنسان، ويبقى الإنسان بهذه الروح القدسية أعظم الكائنات في الحياة الدنيا.

لذا فهو لا يتلاشى، بل يبقى خالداً ما دامت السماوات والأرض.

ويستطيع الإنسان من خلال هذه الروح القدسّية التسلّق في مدارج الكمال، بحيث يبلغ أعلى القمم الأخلاقية والإيمانية، وفي نظري فإنّ الإنسان يملك قوةً هائلةً يستطيع من خلالها بلوغ أعلى القمم الأخلاقية والإيمانية إن سنحت له الفرص وبذل الجهد.

---

(1) البقرة: ٢٦٩.

(2) الحجر: ٢٩.

من هنا فإن الله عزّ وجلّ جعل له موقعاً أفضل من الملائكة، فهو يفوق الملائكة، فمنها من يخدمه في الجنة، قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾[١].

فالمنازل المهمّة التي يتبوَّؤها الإنسان في الآخرة تدلّ على مقامه العالي عند الله عزّ وجلّ.

وكما تعلم فإن الآخرة (ونعني بها الجنة) أفضل مقام عند الله عزّ وجلّ، قال تعالى: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾[٢].

وإذا كان الإنسان يسكن الجنة، ويخلّد فيها، فإنّ ذلك يكفيه رفعة وسمواً، ومن خلال هذا المقام المحمود ينكشف لنا سموُّ الإنسان ورفعته وأهميته، ويشكّل الإنسان موقعاً مهماً ـ كما في الروايات ـ في الكون، فهناك علاقة بين وجوده والأكوان، وسوف تنكشف إذا تبوّأ الدار والإيمان.

وممّا يحزّ في النفس أن الإنسان لا يعرف قيمته، بل لا يعرف معنى ما يضمّه من عوالم كبيرة، فتراه يقوم بأعمال حقيرة تحيطه بسياج محكم من الخطايا والذنوب ممّا يَعْدِم فيه الرؤية العميقة لكيانه العظيم.

وممّا يزيد الأمر سوءاً أن بعض الخطايا تطوّق القدرات التي هي في طريقها إلى النمو والانبثاق.

---

[١] الواقعة: ١٧-٢٥.

[٢] الحاقة: ٢٢.

فالغدر والغيلة يطوّقان منبع الشجاعة والشهامة، وباستمرار الغدر والغيلة يشح المنبع.

والشجاعة والشهامة تجعلان النّفس في أعلى درجات القوة، وتساهمان في منح الإنسان فرصة النظر بعمق إلى الحوادث الواقعة.

إنّ تحرير الصفات السامية في النفس الإنسانية يساهم بشكل فعّال في استخراج المعاني العالية، وهي تعتمد عليها، فالكريم يقف على نتائج الكرم، وعلى أثره الفعّال في المجتمع الإنساني، والشهم والغيور والعادل والمنصف، وهكذا...

إنّ النظرة العميقة تنطلق من داخل الإنسان، قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[2].

من هنا يجب على الإنسان أن يتوجّه إلى نفسه، ويُحْكِم السيطرةَ عليها حتى تتحرّر الصفات السامية، ومنها الحكمة، وفصل الخطاب.

إن تحرير الصفات يتمّ عبر السيطرة على النفس وإخضاعها للعقل، فهو الذي ينبغي أن يقود النفس، لأن العقل إمام الجسد.

وإذا كان العقل يقود النفس فإنه يوصلها إلى ساحل الأمان، أما إذا انقلبت المعادلة فصارت النّفس هي القائدة فإنها تؤدّي بالإنسان إلى المهالك الموبقة، لأنها تأمر بالسوء خصوصاً إذا انفلتت من أزمّة العقل.

---

(١) القيامة: ١٤-١٥.

(٢) النمل: ١٤.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾[1].

فعليه فإن الإنسان يصبح كبيراً إذا سيطر على نفسه من خلال عقله، فتصبح لديه قوتان عظيمتان: قوّة النفس، ونعني النفس الملهمة، وقوة العقل، فإذا اتحدت القوّتان فإنهما تشكّلان السدّ المنيع أمام أيّ هجمة قد تشكّلها الأهواء والرغبات الشيطانية، وقد تكون قوة النفس الملهمة أقوى لأنها تمدّ العقل بالكثير من أسباب القوة، ومنها الشجاعة والشهامة والكرم والعدل والإنصاف، فهذه الصفات وغيرها تساهم في تشكيل القوى العقلية بحيث تتكون منظومة عقلية كبيرة.. فالعقل يحتاج إلى الشجاعة كي يقدم على ما يفكّر فيه، ويحتاج إلى العدل كي يطبق ما توصلّت إليه بصيرته، وهكذا الإرادة والإقدام.

وقد ساهمت النفس الملهَمَة للإمام الحسن المجتبى عليه السلام في رفد عقله الكبير، وقد شكّلت النفس الملهمة لدى الإمام رافداً مهماً في هذا الإطار.

لذلك جاءت حكم الإمام نافذة، وثاقبة، وهكذا هي حكم الإمام (صلوات الله عليه)، تضمُّ أسمى المعاني، وأرفع صور البلاغة والبيان والبديع.

جاء في كتاب (الفصول المهمّة) لابن الصباغ المالكي: ومن كلامه عليه السلام أنه قال: «لا أدب لمن لا عقل له، ولا مروّة لمن لا همّة له، ولا حياء لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تُدرك الدّاران جميعاً، ومن حُرم العقل حُرمهما جميعاً»[2].

---

[1] يوسف: ٥٣.

[2] الفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي، ج٢/ص٧١١-٧١٣. وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٧٥/

وسُئل عليه السلام عن الصمت، فقال: «هو سترُ العَمَى، وزينُ العِرض، وفاعِلُهُ في راحةٍ، وجليسُهُ آمِنٌ»[١].

وقال عليه السلام: «هلاكُ الناس في ثلاثٍ: الكِبْرُ، والحِرص، والحسد، فالكِبرُ: هلاك الدين وبه لُعن إبليس، والحِرْصُ: عدوّ النفس وبه أُخرج آدم من الجنّة، والحسد: رائدُ السُّوء ومنه قَتَل قابيلُ هابيلَ»[٢].

وقال عليه السلام: «لا تأتِ رجلاً إلا أن ترجُوَ نواله، وتخاف يده، أو تستفيد من علمه، أو ترجُو بركة دعائه، أو تصل رحماً بينكَ وبينه»[٣].

وقال عليه السلام: دخلتُ على أمير المؤمنين عليه السلام وهو يجود بنفسه لمّا ضربه ابن ملجم، فجزعتُ لذلك.

فقال لي: أتجزع؟

قلت: وكيف لا أجزع وأنا أراك في حالك هذه؟

فقال: «ألا أعلّمك خصالاً أربع، إن أنت حفظتهنّ نلت بهنّ النجاة، وإن أنت ضيعتهنّ فاتتك الدّاران، يا بني: لا غنى أكبر من العقل، ولا فقر مثل الجهل، ولا وحشة أشدّ من العُجْب، ولا عيش ألذّ من حُسن الخُلُق»[٤].

وقال عليه السلام: «من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه»[٥].

ص١١١.

[١] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٧٥/ص١١١.

[٢] المصدر السابق.

[٣] المصدر السابق.

[٤] المصدر السابق.

[٥] كشف الغمة: الأربلي، ج١/ص٥٧٥.

وقال عليه السلام: «حُسن السؤال نصف العلم»[١].

فكلامه عليه السلام نوعٌ من كلام أبيه وجدّه، ومحلُّه من البلاغة محلٌّ لا ينبغي لأحد من بعده[٢].

وهكذا يفيض عقل الإمام (صلوات الله عليه) حكمة ومعرفة.

إنّ حِكم الإمام الحسن المجتبى (صلوات الله عليه) تكشف عن الواقع المعرفي المتين الذي أرسى أسسه رسول الله صلى الله عليه وآله، وعمّقه الإمام أمير المؤمنين والزهراء (عليهما أفضل الصلاة وأزكى السلام).

وقد ساهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله كثيراً في تماسك شخصية الإمام المجتبى عليه السلام بعد أن ظلّله منذ سنيه الأولى ممّا سهّل كثيراً في نمو أعظم الصّفات الإنسانية، وقد نشأ الإمام (صلوات الله عليه) وهو يتنفّس عبير الأخلاق من أعظم الكائنات رسول الله صلى الله عليه وآله والزهراء والإمام أمير المؤمنين عليهم السلام.

إنّ الوسط الذي ترعرع فيه الإمام عليه السلام جعله يختزن كلَّ ما هو جميل وسامٍ، فالوسط يؤثّر كثيراً في شخصية الإنسان.

جاء في كتاب (التربية بين الوراثة والبيئة.. مدخل إلى فلسفة التربية):

«من هنا يبدأ نوع من العلاقة والتفاعل بين الطفل وبيئته الاجتماعية، وأولها الأسرة عبر الأم أو من ينوب منابها، وهذه العلاقة ينبغي ألا تكون وظيفية حيث تنتهي وتزول بانتهاء الدور والوظيفة التي تؤدّيها الأسرة للطفل، بل هي بطبيعتها علاقة ديالكتيكية ودينامية كما هو الحال في عناصر

---

[١] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٧٤/ص١١٢.

[٢] الفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي، ج٢/ص٧١١-٧١٣.

وأجزاء كل خلية حيّة، فالتوازن والتكيّف الذي ينزع إليه الكائن الحيّ عموماً قد تكتمل حلقته بالتّفاعل التلقائي المباشر بين الكائن ومحيطه وبيئته، أمّا بالنسبة إلى الطفل البشري فإن الأمر يختلف إذ إن دورة التكيُّف هذه ولكي يتحقق التوازن الذي ينزع إليه الطفل لا تكتمل ولا تتحقق إلا عبر الآخرين، ومن خلال وسائط هم الأبوان وأعضاء الأسرة الآخرون.

وكلما نما الطفل وتقدّم بالعمر فإن حاجاته تتشكّل وتتنوّع وتتعدّد، وبعد أن كانت بيولوجية بحتة كما أسلفنا، ستتنوع وتتباين وتتطور من بيولوجية إلى عقلية إلى نفسية واجتماعية»[(١)].

وجاء في حِكم الإمام الحسن (صلوات الله عليه):

وكان الإمام أبو محمد الحسن يقول لجليسه: «إذا أردت عزّاً بلا عشيرة، وهيبةً بلا سلطان، فاخرج من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعة الله عزّ وجلّ، وإذا نازَعتْك إلى صُحبة الرجال حاجةٌ فاصْحب من إذا صحبته زانَك، وإذا خدمته صانَك، وإذا أردت منه معونةً أعانك، وإن قُلتَ صدّق قولك، وإن صُلْت شدّ صوْلك، وإن مددتَ يدك بفضل مَدّها، وإن بدتْ عنك ثلمةٌ سَدّها، وإن رأى منكَ حسنةً عَدّها، وإن سألْته أعطاك، وإن سكتَّ عنه ابْتَدأكَ، وإن نزلتْ إحدى المُلمّات واساك، من لا تأتيك منه البوائق، ولا يختلف عليك منه الطّرائق، ولا يخذُلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسماً آثرك»[(٢)].

---

(١) التربية بين الوراثة والبيئة.. مدخل إلى فلسفة التربية: الدكتور عبد الأمير شمس الدين، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص١٣٨.

إن هذه الحِكم والمواعظ الذي جاد بها عقل الإمام (صلوات الله عليه) لهي أفضل دليل على عمق الواقع المعرفي الذي أوجده رسول الله صلى الله عليه وآله، وعمّقه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام والزهراء (صلوات الله عليهم أجمعين).

إنّ هذه الحِكم والمواعظ السّامية تنبض بالحياة، ويتحرك في عروقها دم القيم المثلى، فالإمام الحسن (صلوات الله عليه) يحصر الهيبة والعزة في طاعة الله.

فالإنسان ـ وهذه قاعدة ثابتة ـ إذا قوّى علاقته بالله ـ وهو مكمن القوة ومنبع الكرامة ـ يستطيع أن يستمدّ منهما أسباب القوة والكرامة، ويظلّ قوياً وشامخاً كلّما كان قريباً إلى الله عزّ وجلّ، وهذه العلاقة تقوده إلى السلوك الأمثل الذي يتّسم بالصلابة والاستقامة.

من هنا فإنّنا نرى الأتقياء أقوياء ولا يهابون أحداً سوى الله عزّ وجلّ، فهم في مواطن القوة والشهامة أقوى ما يكونون، وفي موطن الاستقامة كذلك.

يحكى أن هارون العباسي بنى بيتاً منيفاً، فاستقدم أحد العباد، وكان شجاعاً وصلداً.

قال: يا فلان ما رأيك في هذا القصر؟

قال: اسمع يا خليفة المسلمين، إنك بهذا القصر رفعت الطين ووضعت الدين، ورفعت الجص ووضعت النص.

وجاء أحد الملوك إلى أحد العبّاد يزوره، قال الملك: أيها الزاهد، كيف حالك؟

فقال العابد: أنت الزاهد.

قال الملك: وكيف وأنا أملك القصور والملك؟

فقال العابد: لأنك زهدت في الآخرة وملكت بقعة من الأرض وهي تزول إنْ عاجلاً أو آجلاً.

وهكذا يسطّر المؤمنون المواقف الصلدة بفضل الإيمان بالله، فالهيبة والعزّة مصدرهما خالق الكون، ويفيضهما على من يتقرّب إليه ويعيش في ظله.

وقد أخطأ البعض عندما يمّم وجهه شطر الملوك، وأصحاب القرار، ليستمدّ منهم القوة والهيبة، وإذا به يركس في الذلّ والصَّغار والمهانة، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فهؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم أصحاب القرار وسادة العالم وما شابه من هذه المصطلحات الفارغة هم صفر اليدين من القيم المثلى، وقوّة الإرادة فكيف يعطونها لغيرهم؟

وإنني آسى على السياسيين وبعض المثقفين الذين باتوا يلهثون وراء فاقدي القيم والمثل السامية، علّهم يحصلون على شيء، ولكنهم لم يحصدوا إلا المهانة والصغار لأنّ الطغاة يذلّون.

إنّ الآية المباركة تحكي واقع هؤلاء الطغاة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[1].

فهؤلاء الذين يلهثون وراء الطغاة إنما استزلّهم الشيطان، وزيّن لهم أعمالهم، هذا أولاً.

---

[1] النمل: ٣٤.

وثانياً: إنهم يجدون أنفسهم مترعة بالذلّة والمهانة، فلا يستطيعون صرفها عمّا يشين واقعها، لذلك نراهم يسقطون ما في أنفسهم على الآخرين.

ولو أنهم حاولوا انتشال أنفسهم من واقعها المزري لوجدوا ثقلاً ينوء بكاهلهم، لأنهم قطعوا العلاقة مع مصدر القوّة، لذلك هم باقون في العماية والجهالة.

وثالثاً: إن هؤلاء المساكين الذين يسعون لكسب القوة إنما يفقدونها من حيث لا يشعرون، أو يشعرون ولكنهم يُكابرون لأن أتباع الطغاة تُسلب منهم قوة الإرادة، وهذه الصفة مطلوبة في المواقف الصعبة، ثم إن الإرادة من نقاط القوة في كيان الإنسان، وإذا استمرأ الإنسان حالة الاستجداء فإن الإرادة تضمحلّ، وإذا به يجد حالة الاستجداء طبيعية، فيستجدي ولو ذلاً صغيراً.

وهذا السلوك المشين نجده عند المتسوّلين، فهم لا يتحرّجون عن طلب القليل حتى لو أغرقوا في المهانة والذلّة.

ورابعاً: لقد وجدت الذين يطلبون العزة والقوة من الملوك وأصحاب القرار لا يرتقون حتى يمكنهم في تحرير صفات الشجاعة والشهامة والإقدام، وهذه الصفات مطلوبة في مواقف مهمة، إذ تؤدّي دوراً مهماً في حسم الموقف.

ثم إنّ الإمام المجتبى (صلوات الله عليه) يعدّد صفات الصديق، وهي الاتزان والعون والصدق وصدق اللقاء، وستر العيب والإيثار والمواساة.

وإنّ هذه الصفات السامية التي عدّدها الإمام المجتبى (صلوات الله

عليه) في الصديق لَهي أفضل ضمان في ديمومة العلاقة واستقامتها.

إن الصديق له أثر كبير في شخصية الإنسان، فهو العامل الثاني ـ كما يقرّر علماء النفس الاجتماعي ـ في التأثير بعد الوالدين، وفي بعض الأحيان، فإن دور الصديق يأتي في المقدمة بعد غياب دور الأبوين خصوصاً الآن ممّا ترك آثاراً سيّئة في شخصية الأولاد، والصديق المستقيم له أثر كبير في حياة الإنسان، ويشكّل أحد أهمّ العوامل في بناء الشخصية السامية.

لذلك يؤكّد الإمام المجتبى (صلوات الله عليه) على الصفات الخلاقة التي ينبغي أن تتوافر في الصديق لأنها تنتقل تِباعاً إلى القرين بحكم العلاقة، فعمق العلاقة يجعل الصفات المستقيمة تنتقل بالرغم عنها.

فالصديق يشكّل المدخل في انتقال الصفات، لذلك على الآباء والأمهات اختيار القرين وفق الصفات التي عدّدها الإمام المجتبى عليه السلام وما زلت أؤكد أن القرين يشكّل العامل الثاني في بناء شخصية الإنسان، ويؤدّي دوراً حاسماً في أحايين كثيرة في تقرير مصير الإنسان.

فأقران كنعان بن النبي نوح عليه السلام زيفوا حياته فسلخوه من بيت النبي نوح عليه السلام وانتحوا به جانباً، وأبعدوه من فلك والده، فذهب سادراً في غيّه، إلى أن أغرقه الله تعالى، قال سبحانه: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[1].

وأودّ أن أعلم الآباء بهذه الملاحظة: أن النبي نوح عليه السلام لبث في قومه

[1] هود: ٤٣.

ألف سنة إلا خمسين عاماً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾[1]، فقدّم النبي نوح عليه السلام كلّ ما في وسعه، ووفّر البراهين والأدلة التي تفتح الآفاق أمام الإنسان كي يثوب إلى رشده.

وكان ينبغي لكنعان أن يلتصق بأبيه، ويكون قدوة لأقرانه ولمجتمعه، ولكن الذي حدث هو العكس تماماً، فكان مثالاً سيّئاً في السلوك، ممّا يدلّ على عمق التأثير الذي يولّده قرين السوء.

فإذا كان النبي نوح عليه السلام بهذا الحجم والتأثير، وقد شقّ عليه تغيير طباع ولده التي تقمّصها من أقرانه، فما بال الآباء الذين لم يبلغوا معشار ما بلغه شيخ الأنبياء النبي نوح عليه السلام ؟

لذا على الآباء والأمهات الالتفات إلى حجم التأثير الذي يتركه الأصدقاء على الأولاد، وخصوصاً في هذا الزمان، وعليهم أن يأخذوا الحيطة وجانب الحذر من قُرَناء السوء.

إن الصديق في بعض الأحيان يحتلّ موقعاً مهمّاً إذا امتاز بمهارات عدّة، فإنه يترك أثراً في سلوك القرين في زمن قياسي.

وممّا يؤسف له أنّ بعض الذين يمتازون بالمهارات يستغلونها لأهداف شيطانية، وأغراض دنيئة.

ونحن في كربلاء المقدّسة ـ على سبيل المثال ـ عشنا هذا الواقع السيئ، فبعض لاعبي رياضة كمال الأجسام، ومنهم (ش) كان يستغلّ جسمه لحرف الشباب والشابات، فكان يتمشّى في الأسواق ويستعرض جسمه،

---

[1] العنكبوت: ١٤.

وكأنه على خشبة السباق.

وفي بعض الأحيان كان يتحرّش مباشرة بالشباب، ممّا ترك صورةً سيّئة عن لاعبي كمال الأجسام الغيارى.

وهذه الحالة تنسحب على بعض المعلمين والمدّرسين، فقد استغلّ مدرس اللغة الإنكليزية لباقته في مدرسة الوحدة في سنة ١٩٧٦م في حرف الفتاة التي كانت حاضرة الدرس ليلاً، فاستغفلها وسطى على شرفها.

وفي سنة ٢٠١١م سمعت أخباراً مؤلمة عن بعض الأطباء، فقد قال لي أحد الأطباء الغيارى:

يا شيخ، ماذا أقول ونسبة الأطباء المنحرفين أخذت تتصاعد، فبعض الأطباء ما إنْ تقع عيناه على مريضة جميلة حتى يحاول بشتّى الطرق (تحسّس مفاتنها).

ونصيحتي للآباء والأمهات ألا يتركوا بناتهم لوحدهنّ عند الطبيب، ونصيحتي لوزارة الصحة أن توفّر الفرص الحقيقية للإناث العفيفات من ذوات البيوتات المؤمنات أن يرافقن الطبيب في فحص المريضة، وتحسّس جسمها، وكعلاج مؤقّت ينبغي لوزارة الصحة أن تجلب طبيبات من الخارج.

وهذه العملية مهمة في أمرين: أولاً في اكتساب الخبرة، وثانياً إبعاد التهمة عن الطبيب.

ونصيحتي للآباء والأمهات ألا يتركوا الحبل على الغارب في هذه الأيام العصيبة، والتي أخذت تُطْبق على أشدّ البيوت التصاقاً بالدين، ممّا ترك

التهديد يُحْدِث فجواتٍ خطيرةً في داخل جدار البيت.

فعلى الأب أن يحتاط كثيراً في رعاية أبنائه، وتفقُّد وضعهم الأخلاقي والثقافي، وألا يضيق ذرعاً في (المعاش اليومي)، فبعض الآباء يقصّر في مجال المعاش فهو يجعل يده مغلولةً إلى عنقه إزاء أولاده، ولكن يبسطها كل البسط مع زملائه، وخصوصاً في السهرات الليلية التي تشكل أحد أهم الأسباب في خيانة الرجل لزوجته، لأن السهرات الليلية في معظم الأحيان يكون فيها الحديث مكشوفاً، وفي بعض الأحيان فاضحاً.

لذلك فإن القرآن الكريم يربط بين السهر الباطل والهجر، قال الله تعالى: ﴿سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾[1].

ثمّ إن حرمان الأولاد من المعاش الذي يطلق عليه في العراق (اليومية) يجعل الولد يمدّ يده للقريب، وفي بعض الأحيان للغريب، وهذا خطأ فاحش لأنه يعوّده على الاستجداء (الگداية)، وعلى السرقة.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ علماء النفس الاجتماعي يُرجعون أسباب تعود الطفل على الأخلاق السيئة إلى سنيّه الأولى، فإن الطفل إذا تعوّد على صفة سيئة، فمن الصعوبة بمكان قلعها.

وإن معظم السلوك السيّئ عند الأبناء يعود إلى المراحل الأولى من عمر الإنسان، وقد يجد الأب صعوبة في قلعه من كيان أولاده لأن السلوك السيّئ (يمدّ جذوره في منطقة اللاشعور) العقل الباطن، ويستطيع الأب قلع الجذور السيئة من ولده بالسلوك الأمثل.

---

[1] المؤمنون: ٦٧.

وبعبارة أوضح فإن مثالية الأب يمكن أن تغطي ـ إن صحّ التعبير ـ على السلوك السيّئ القابع في منطقة اللاشعور، وبتكرار العملية فإن الصور الحسنة تطرد الصور السيئة، وبذلك يستقر بها المقام، وتمَدُّ جذورها.

فإذا كان الأب قد مارس عملية شطب قنوات الأفلام الخلاعية من التلفزيون، ثم مارس سلوكاً صحيحاً إزاء ذلك فإنه يؤسس منهجاً تربوياً عالياً، ونقصد بالسلوك الصحيح توضيح أسباب الشطب والنتائج التي تتمخّض عنها، ثم بيان عواقب النظر إلى الأفلام الخلاعية التي هي سمٌّ ناقع يقضي على مقوّمات الإنسان الفكرية والعقلية والجسمية.

جاء في كتاب (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة):

«حينما ينظر الإنسان إلى امرأة، ويعيد النّظرة، فإن هذه النّظرة أشبه بالضغط على زناد السلاح، تنطلق على إثرها هرمونات جنسية تجوب أنحاء الجسم، وهذه الهرمونات الجنسية تبدّل ضربات القلب، وتوسّع الأوردة المحيطة، وتضيّق الشرايين المتوسطة والصغيرة، وترفع ضغط الدم، ويفتح طريق ماء الحياة، وتنطلق مادة مطهّرة، ومادة معطّرة، ومادة مغذّية، ثمّ يجري تبدّل في كيمياء الدم، من أجل أن تتمَّ عملية اللقاء الزوجي، ويحافظ على النوع البشري، أما حينما يطلق الإنسان بصره طوال النهار، ما الذي يحصل؟ هناك هرمونات جنسية تجوب أنحاء جسمه عبر الأوعية الدموية.

يقول الله عزّ وجلّ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾[1].

---

[1] النور: ٣٠.

قال العلماء والمفسّرون: أزكى: أي أطهر، ويمكن أن يكون المعنى: أنفع وأطيب، إمّا أن يكون (أزكى لهم) هو الطهر من الذنوب، أو الوقاية من الأمراض، فعن حذيفة (رضي الله عنه) أنه قال:

قال (عليه وآله الصلاة والسلام): «النظرة سهم من سهام إبليس مسمومٌ، من تركها لله عزّ وجلّ لا لغيره أعقبه الله إيماناً يجد طعمه»[1].

والسهم إذا دخل في الجسم أحدث جرحاً، وقد يُتلِف مكاناً معيّناً، أما حينما يكون السهم مسموماً فإن السمّ يسري إلى كل أنحاء الجسم، والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله قبل أربعة عشر قرناً بيّن مخاطر النّظرة التي تتبع النظرة، فالنظرة كالضغط على الزّناد الذي تبدأ بسببه سلسلة من التفاعلات والإفرازات الهرمونية الجنسية المعقّدة التي لها تأثيراتها على كل عضو، بل على كل خلية، والتي تهيّئ الجسم لعملية الاتصال الجنسي، لتؤدي مهمّتها في استمرار النسل، وكل هذا يجب أن يتمّ في وقت محدّد، أما إذا استمر انطلاق هذه الهرمونات في الجسم دون تفريغ لهذه الشحنة فإنها سوف تؤدّي إلى مضاعفات خطيرة.

والنبي الكريم صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى نهى عن إتْباع النظرة بنظرة، ونهى عن تبرّج النساء، وعن تعطّر المرأة إذا خرجت من بيتها، ونهى عن الخلوة بالأجنبية، ونهى عن المصافحة، ونهى أن تمتنع المرأة عن فراش زوجها، هذا كلّه من أجل الوقاية من أمراض لا تعدّ ولا تحصى.

الآن إلى التفصيلات:

---

[1] من لا يحضره الفقيه: ج٤/ص١٨، ووسائل الشيعة: الحر العاملي، ج٢٠/ص١٩٢.

كيف أن الأفعى إذا لدغت إنساناً فقد تميته، والسبب العلمي أن هذا السمّ يوسّع الأوعية إلى درجة غير مقبولة، فيهبط الضغط، ويموت الإنسان، واليوم يؤخذ من سمّ الأفعى دواءٌ فعّال جداً لتوسيع الشّرايين، إذاً حينما تتوسّع الأوردة والشرايين توسُّعاً غير مقبول فهذا قد يؤدي إلى الموت، وهذه الهرمونات سمّاها الباحث «سموماً».

والسمّ بقدر محدود منه دواء، أما بقدرٍ كبير فهو داء.

ما الذي يحدث؟

أول ظاهرةٍ تظهر رائحة كريهة جداً في الإبطين والقدمين، من أثر دورة هذه السموم طوال النهار، فما دام ثمّة إطلاق بصر، ومجلات، ومشاهد، وأفلام، ونساء كاسيات عاريات، وخلوة بالأجنبيات، وحديث غرامي، فهذا يؤدي إلى دورة هذه الهرمونات طوال النهار، وازدياد كميتها، وامتداد أمَد دورانها مما يجعلها سموماً.

وأول ظاهرة ظهور رائحة كريهة في الإبطين والقدمين، وتوسّع فتحات الغدد العرقية والدهنية في الكعبين، وأسفل القدمين، وفي المؤخّرة، وهذا يسبب بعض البواسير، وتوسّع الفتحات الدهنية في الوجه يسبب حب الشباب من دورة الهرمونات، ودوران هذه الهرمونات الجنسية التي هي كالسموم، وتهيّجها لحدٍ أكثر من المتوسط يسبب داء الشقيقة، أو الصداع النصفي، الذي لم يُعرَف له علاج حتى يومنا هذا على الأقل، أما الشيء المخيف فآلام في المفاصل ولاسيما الكبيرة كمفصل الركبة، ومفصل الورك، ويبدو أن هذه الهرمونات تقلّل من لزوجة السائل الذي بين العظام،

وهذا يدعو إلى جفاف هذا السائل، ثم إلى احتكاك العظام، ثم إلى آلام مفصلية لا تحتمل.

وفي المجتمعات الغربية، وفي سنٍ مبكرة يعانون من هذه الأمراض بسبب دوران هذه السموم في الجسم طوال النهار، فهناك موظّفان في سيرك بريطانيا، في الثلاثين من عمريهما أصيبا بحالات حادّة في مفاصلهما، وليس هناك سبب مقنع إلا الإثارة الجنسية المستمرّة.

يا رامياً بسهام اللّحظِ مجتهداً　　أنت القتيلُ بما ترمي فلا تصِبِ
وباعثَ الطّرْف يرتاد الشفاء له　　اِحْبسْ رسولك لا يأتيك بالعطب[1]

حكم تسامى على مر الدهور

في نصيحة قدّمها الإمام الحسن عليه السلام إلى جعيد بن همدان، قال عليه السلام:

«يا جعيد بن همدان:

الناس أربعةٌ: فمنهم من له خُلُق ولا خلاق له، ومنهم من له خلاقٌ وليس له خُلُق، ومنهم من لا خُلُق ولا خلاق له وذلك من شرّ الناس، ومنهم من له خُلُق وخلاق فذلك خير الناس»[2].

الناصح الأمين:

نصح الإمام عليه السلام ولده، فقال: «يا بُني، لا تؤاخ أحداً حتى تعرف موارده ومصادره، فإذا استنبطت الخبرة، ورضيت العشرة، فآخه على إقالة العثرة،

[1] موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ج٢/ص٢٢٧-٢٣١.
[2] الخصال: ج١/ص٢٣٦.

والمواساة في العسرة»[(١)].

وسأل رجل الإمام الحسن عليه السلام أن يكون صديقاً له وجليساً.

فقال عليه السلام له: «إياك أن تمدحني فأنا أعلم بنفسي منك، أو تَكْذِبني ـ أي الإخبار بالكذب ـ فإنه لا رأي لمكذوب، أو تغتاب عندي أحداً».

فقال الرجل: ائذن لي في الانصراف.

فقال له الإمام عليه السلام: نعم إذا شئت[(٢)].

أهمية التفكُّر:

قال عليه السلام: «من عرف الله أحبّه، ومن عرف الدنيا زهد فيها، والمؤمن لا يلهو حتى يغفل، فإذا تفكّر حزن»[(٣)].

وقال عليه السلام: «عجبٌ لمن يتفكّر في مأكوله كيف لا يتفكّر في معقوله، فيُجنّب بطنه ما يُؤذيه، ويودع صدره ما يرديه»[(٤)].

إنّ حكم الإمام المجتبى عليه السلام تفيض حكمةً ومعرفة، فهو من الراسخين في العلم، ومن أهل الذكر الذين أمر الله عزّ وجلّ أن نسألهم.

قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[(٥)].

يقول الإمام عليه السلام: «عجبٌ لمن يتفكّر في مأكوله كيف لا يتفكّر في

---

(١) تحف العقول: ابن شعبة الحراني، ص٢٣٣.

(٢) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٧٥/ص١٠٩.

(٣) مجموعة ورام: ج١/ص٥٢.

(٤) بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج١/ص٢١٨.

(٥) النحل: ٤٣.

معقوله، فيُجنّب بطنه ما يُؤذيه، ويودع صدره ما يرديه»[١].

فبعض الناس تراه يطيل النّظر ويقلّب طرفيه بحرارة في حاجة بسيطة، وخاصة النساء؛ فبعضهنّ يقضين النهار في انتخاب الفرشة التي تُبسط على السرير، أو نوع الصحون التي تتلاءم مع الكراسي والأسرّة، وباتت هذه الظّاهرة تأخذ اهتماماً بالغاً فصارت جزءاً من سلوك ربّة البيت، وأخذ بعض الرجال يشاطرون النساء عند الأقرباء والأصدقاء.

وأما على صعيد الأكل فأضحت القضية مؤسفة للغاية، فبعض العوائل تسمّر عيونها إلى التلفزيون وهمّها الأول اختيار الأكلة التي يعزُّ مثيلها عند الجيران.

وقد فطنت الكثير من الفضائيات إلى هذه الموضة فباتت تتخم برامجها في «الطبق الشهي»، وآخر «التشكيلة»، و«الأكلة الأوروبية»، وغيرها من المسمّيات.

وإنني آسى على قوم صار أكبرُ همّهم إشباع البطون دون العقل، فصغرت العقول وأصبحت قاحلة لا تحتضن بذور المعرفة، ومن المعلوم أنّ البطن لا تأخذ إلا القليل، ومهما أتخمناها فإن قابليتها على الأخذ تبقى قليلة، والتخمة تضر كثيراً خاصّة المعدة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «المعدة بيت الدّاء والحمية رأسُ الدواء واعط كلّ بدن ما عوّد به»[٢].

---

[١] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج١/ص٢١٨.

[٢] مستدرك الوسائل: ج١٦/ص٤٥٣.

ثمّ هناك تقارير تنصّ على أن الأبخرة التي تتصاعد من المعدة تؤثّر في الدماغ، لذلك فإنّ الأكول لا يحسن الكلام، ولا يتقن لغة العقلاء، وهكذا كان معاوية، فإن بطنه التي كانت تتدلّى على فخذيه كانت تتصاعد منها الأبخرة، فعطّلت الكثير من قواه العقلية.

فكان سيّئ الحفظ، وعيّ اللسان، وضعيف البيان، لذا فإن الهزالة كانت واضحة في خطبه، وظاهرة في معظم عباراته، لذلك كان يختصر خطبه بعبارات جوفاء.

وفي أحايين كثيرة كان يستعين بعمرو بن العاص، وكما هو ثابت فإنّ خلفاء بني أمية قاطبة كانوا ضعفاء في المنطق والبيان، الأمر الذي تنبّه إليه عمر بن عبد العزيز.

جاء في (تاريخ الطبري):

«إنّ عبد العزيز والد عمر كان يصعد المنبر ويخطب وفي نهاية الخطبة يعرج على شتم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فكان يسفُّ ويتلكّأ بشكل يلفت النظر، فسأله ولده عمر عن ذلك.

فقال عبد العزيز: أوَ تعلم بذلك؟

قال: نعم.

قال: بني، إنّ أمرَنا لا يستقيم إلا بشتم هذا الرجل.

وأنا لا أشكّ في أن عبد العزيز كان أكولاً لأن نظره القاصر يدلّ على ذلك.

وشتم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان أحد الأسباب في قصر عمر

الحكم الأموي، وجعله تحت مطرقة «المؤامرات البيتية» إن صحّ التعبير.

فباتت العائلة الحاكمة تئنُّ من المؤامرات الداخلية، وتضجُّ من أقرب المقربين، ممّا اضطرّها إلى سلوك أفظع الأساليب في القضاء على الخصم، ولو أن البيت الأموي الحاكم التفت إلى سلوك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي انتهج أفضل الأساليب في تثبيت حكمه ـ لطال حكمه ولأرجع الحكم إلى نصابه، فعليه فحِكَم الإمام تفيد الإنسان في الدنيا والآخرة، وتميّز ما بين الغثّ والسمين.

وممّا يحزّ في النفس أنّ بعض الضعفاء يلتفت بحرارة إلى ما يضرّه، وأما ما ينفعه فإنه يشيح بوجهه عنه.

والبعض يستمع إلى الجاهل قبل العاقل، ويأخذ كلامه أو حكمه أخْذَ المسلّمات، ويعوّل عليه، وهذا ما يحدث الآن.

قلت لأحد الإخوة بعد أن استمع إلى كلام أحد السفهاء وأخذ يعوّل عليه كثيراً: عجباً منك! تسمع كلام من لا يجيد لغةَ العقلاء ثم تعوّل عليه وتشيح بوجهك عن العقلاء وكأنهم جهّال لا يعرفون معنى التعامل والتآلف والتوازن!

وهكذا تغيّرت الموازين عند البعض فأخذ يقيم حسب ما يرتئيه ويرتضيه، وإن خالف قيم الإسلام، وتجافى عنها.

إنّ حكمة الإمام المجتبى (صلوات الله عليه) تشير إلى معانٍ عظيمة أشرنا إلى قسم منها، وكان ينبغي أن نفصّل إلا أن المقام لا يتّسع لذلك، وقبل أن أنتهي من هذا العرض اليسير أحبّ أن ألفت نظر القارئ الكريم

إلى بعض ما يخصّ تربية الأولاد:

إن بعض العوائل تهتمّ كثيراً في «مأكول» الأولاد دون المعقول، فبعض الأمهات يصرفن الأموال الطّائلة في مجال اللعب والثياب والحلويات، ولكنهنّ يقبضن أيديهن في شراء كرّاس لتعليم الصلاة والرسم والخط، وما شابه.

إننا كرماء في مجال التّرف والتّلف، ولكننا بخلاء في إثراء العقول بالمعرفة والعلم.

لقد دخلت أكثر من بيت فشاهدت التلفزيونات العريضة منصوبة في كل مكان، ولكنني لم أشاهد كتيّباً أو كرّاساً للتعليم والتثقيف، وفي ظل هذه الأجواء الشحيحة بالعلم فلا غرابة أن نشاهد صوراً مأساوية تحكي عن طفولة الإنسان وهو على أعتاب الشباب.

لقد باتت بيوتنا مهزوزة ومضطربة الأمر الذي أدّى إلى اضطراب الأبناء.

جاء في كتاب (معالم من سايكلوجية الطفولة والبنوّة والشباب):

«وهناك رأي علمي يقول: «لا يوجد طفل مضطرب بل هناك عائلة مضطربة»، فالطفل الصغير مخلوق بريء وكيان نقي غير ملوّث، ولا يمكن أن يكون مضطرباً ومختلاً إلا إذا اضطربت البيئة المحيطة به، وحدث خلل فيما يحيطه من مؤثّرات مادية وغير مادية»[1].

والعجيب في الأمر أنّ بعض الآباء يفصّل لك الآثار السيئة من جرّاء

[1] معالم من سايكلوجية الطفولة والبنوة والشباب: الدكتور إبراهيم كاظم العظماوي، ص١٧٥.

(معرض التلفزيونات) الذي نصبه في البيت، ومع ذلك يغضّ الطّرف عن واقعه، كأنه يسرد قصة من وحي الخيال حتى يجلب انتباه الآخرين.

إنّ إحدى مشاكلنا العويصة تكمن في الاختلاف الشّاسع بين المدَّعيات والواقع، فهناك مسافة شاسعة تفصل بين المدّعيات والواقع خصوصاً عند المسؤولين، والمشكلة أخذت بُعداً خطيراً حيث أخذت المسافة تزداد، فصار الكلام لا يطابق الواقع في أيّ من مفرداته، ممّا زرع الإحباط واليأس عند الكثير.

لذلك بات الكثير لا يصدّق من يدّعي حتى لو كان صادقاً وينوي الخير في كلامه.

لقد التقيتُ الكثير فألفيته مشمئزاً من هذه الحالة، ويتمنى من أعماق قلبه لو يكفّ بعض المسؤولين والذين يحتلون المواقع الأولى عن رفع الشعارات التي تفتقر إلى الواقع الحي.

لا أدري لماذا يصرّ البعض على هذا السلوك الأجوف، ثم يصرّ مستكبراً كأنْ لم يسمع تهكّم الناس، وتفكُّههم بما يتقوّله حتى أضحت مدَّعياته مادةً للتندر والاستهزاء، ومصدراً للنكات.

وحتى أختم حديثي قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«ما بقي من أمثال الأنبياء عليهم السلام إلا كلمة: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[(١)].

وخطب الإمام الحسن عليه السلام في الناس، فقال:

«اعلموا أن العقل حرز، والعلم زينة، والوفاء مروة، والعجلة سفه،

(١) مستدرك الوسائل: ج٨/ص٤٦٦.

ومجالسة أهل الدنيا شين، ومخالطة أهل الفسوق ريبة، ومن استخفّ بإخوانه فسدت مروّته، ولا يهلك إلا المرتابون وينجو المهتدون الذين لم يتّهموا الله في آجالهم طرفة عين، ولا في أرزاقهم، فمروّتهم كاملة، وحياؤهم كامل، يصبرون حتى يأتي بهم الله برزق، ولا يبيعون شيئاً من دينهم ومروّاتهم بشيء من الدنيا، ولا يطلبون شيئاً منها بمعاصي الله، ومن عقل المرء ومروّته أن يسرع إلى قضاء حوائج إخوانه وإن لم يُنزلوها به، والعقل أفضل ما وهب الله تعالى للعبد إذ به نجاته في الدنيا من آفاتها، وسلامته في الآخرة من عذابها، وقد قيل إنهم وصفوا رجلاً عند رسول الله صلى الله عليه وآله بحسن، فقال صلى الله عليه وآله: «انظروا إلى عقله، فإنما يجزى العباد يوم القيامة على قدر عقولهم، وحسن الأدب دليل على صحة العقل»[١].

حكم الإمام عليه السلام في طلب العلم:

قال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام:

«تعلّموا العلم، فإنكم صغار القوم، وكبارهم غداً، ومن لم يحفظ منكم فليكتب»[٢].

وعن الإمام عليه السلام أنه دعا بنيه وبني أخيه فقال:

«إنكم صغار قوم، ويوشك أن تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلّموا العلم، فمن لم يستطع منكم أن يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته»[٣].

---

[١] إرشاد القلوب: ج١/ص١٩٩.

[٢] تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج١٣/ص٢٥٩.

[٣] منية المريد: ص٣٤٠. وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٢/ص١٥٢.

وقال الإمام عليه السلام: «علّم الناسَ وتعلّمْ علمَ غيرك، فتكونَ قد أتقنت علمك وعلمت ما لم تعلم»[١].

ويذمّ الإمام عليه السلام من لا يستفيد من علمه، فيقول عليه السلام:

«يدخل النار قوم، فيقول لهم أهلها: ما لكم ابتليتم حتى صرنا نرحمكم مع ما نحن فيه؟

فيقولون: يا قوم، جعل الله في أجوافنا علماً، فلم ننتفع به نحن ولا نفعنا به غيرنا»[٢].

يتحدّث الإمام (صلوات الله عليه) عن العلم والعلماء، وقد أفصح (صلوات الله عليه) بعبارات بليغة عن أهمية العلم، وعن دورة البنّاء في إثراء العقول.

ويعدّ العلم في نظر الإسلام من العوامل المهمّة في تمكين قواعد الحضارة والمدنية، ولم أرَ ديناً كالإسلام يدعو بحرارة إلى العلم وإثراء العقول، فهو يدعو الأمة الإسلامية إلى إثراء عقلها بالمفاهيم العلمية الرصينة.

يقول تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٣].

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾[٤]،

---

(١) كشف الغمة: الأربلي، ج١/ص٥٧١.

(٢) مجموعة ورام: ج٢/ص٢٤١.

(٣) طه: ١١٤.

(٤) البقرة: ٢٤٧.

فالباري عزّ وجلّ يقدّم بسطة العلم على الجسم، وهذا دليل على أهمية العلم، فكم من جسم ضعيف ولكنه يحمل علماً مكيناً يوازي في قوّته معسكراً بكامله.

إنّ رجلاً عالماً يعادل أمة بكاملها، قال سبحانه عن النبي إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ ﴾[1]، فقد تصدّى النبي إبراهيم عليه السلام بعلمه وإيمانه لأعظم قوة في زمانه ممّا أركسهم في الحضيض، فاضطر «نمرود» العاتي إلى حرق النبي إبراهيم عليه السلام، فنجّاه الله، قال تعالى: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾[2].

إنّ أخوفَ ما يخافه الطغاة من الناس العلماء، فهم العدو اللدود لهم، والخصم العنيد الذي لا يقهر.

من هنا فإنّ الحكّام وعلى مرّ التاريخ وحتى عصرنا ينهجون أساليب قاسية ضد العلم والعلماء، وقد اتخذت أساليبهم أشكالاً عدّة منها تجفيف منابع القوة في المجتمع، والقضاء على المراكز العلمية، وشلّ حركتها، وهذا ما حدث في العراق إبان الحكم البعثي العفلقي.

فقد أجهز الحكم البعثي البغيض على مراكز العلم في النجف الأشرف وكربلاء المقدّسة وبغداد، وغيرها من المدن الحاضرة.

وحاول بشتى الأساليب القضاء عليها، بل واجتثاث أصولها، وكادت الحوزات العلمية، والجامعات تلفظ أنفاسها، وبعض منها لفظت أنفاسها

---

(1) النحل: ١٢٠.

(2) الأنبياء: ٦٩.

فعلاً، مثل جامعة أصول الفقه، وجامعة بغداد والمستنصرية التي كانت من الجامعات الرائدة ليس على صعيد الدول العربية فحسب وإنما على صعيد العالم الإسلامي وغير الإسلامي.

فقد تراجعت وقبعت في أدنى درجات الحضيض، وكذلك الحوزات العلمية شهدت تراجعاً مريراً، ممّا اضطرّ الكثير إلى تركها، واللجوء إلى دول الجوار، فجفّت منابع مهمّة للعلم والثقافة.

إنّ العلم يمثّل الشريان الأبهر لقلب الأمّة، فإذا أصيب بعطل تموت الأمة.

وفي الغابر فإن الأمم التي تقدّمت، وظلّت تقاوم النكبات، فبفضل الأجواء العلمية التي أطلّت على المجتمع، والمجتمع الإسلامي كان منارةً بفضل الإسلام الذي ساهم كثيراً في خلق الأجواء العلمية، وإيجاد فرص حقيقية لطلاب العلم، ويدخل في إطار المساهمة جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام، التي كانت بحق فرصةً سانحةً لتقدم العلم، وعلى كافة الأصعدة[1].

وقد خلقت جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام فرصاً حقيقية لطلاب العلم، حيث أمَّها الكثير، ومن مختلف الملل والنحل، الأمر الذي أدّى إلى تغيير حقيقي في مسار العلم، فأخذ يخدم الأمة الإسلامية في الصميم، في حين كان في نية الخلفاء تجييره لصالحهم، وجعله جسراً لمصالحهم الضيّقة.

---

[1] الإمام الصادق عليه السلام كما عرفه علماء الغرب.

لقد عاش العلم فترةً قاسيةً بعد الحصار الظالم الذي ضربه الخلفاء العباسيون على جامعة أهل البيت عليهم السلام، وقد حاول الخلفاء العباسيون القضاء على جامعة أهل البيت عليهم السلام، واستئصال شأفتها إلا أن جذورها العميقة الضّاربة في عمق المجتمع الإنساني حالت دون ذلك، ممّا اضطر الخلفاء إلى استعمال أساليب غاية في الخبث، حيث ألصقوا بها تُهماً رخيصة لا تصمد أمام الواقع، فقد اتهموها بالذيلية والتبعية، فقد اتهمها أكثر من خليفة بالتبعية للأجنبي، وأنها امتداد للفكر اليوناني والروماني.

وهكذا مرّت هذه التهمة وما زالت تعتمل في صدور الكثير من المستشرقين، فقد اتّهم الكثير من المستشرقين الفكر الإسلامي بالتبعية للفكر اليوناني.

وقد ردّ هذه التهمة المفكّر الإسلامي روجيه غارودي حيث قال:

«فالزعم بأن الفكر الإسلامي مجرَّد مترجم أو ناقل عن الفكر اليوناني، فهذا قول لا أساس له من الصحة.

١- فالرياضيات اليونانية تعتمد على مفهوم النهائي في حين إن الرياضيات العربية تعتمد على مفهوم اللانهائي.

٢- كان المنطق اليوناني نظرياً في حين إن العلم العربي تجريبي أساساً.

٣- كانت الهندسة المعمارية (الستاتيكية) تعتمد على الخط المستقيم، أما هندسة المساجد فإنها على عكس المعبد (سمفونية) من المنحنيات بأقواسها وقبابها.

٤- كانت الفلسفة اليونانية (من برميدس إلى أرسطو) فلسفة وجود، أما

الفلسفة الإسلامية فهي فلسفة الوجود والفعل، ثم هي تعتمد على (نبوة) أي على الوحي، فلها مصدر علمي آخر غير المصادر المادية للمعرفة»[١].

لقد بات واضحاً أن الفكر الإسلامي أضحى مرجعاً أساسياً لكافة الحضارات، ومنهلاً عذباً لكل الأمم بما فيها الأمم التي لم تسلك مسلكاً دينياً.

فهذه الأمم أصبحت في كل يوم تخطو نحو الإسلام، لأنها وجدت فيه المادة العلمية التي تغني حضارتها بشكل فاعل، وتثري عقولها لتستوعب مفردات التقدم والتطور.

ويقول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام:

«من أحبَّ الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه، وما أوتي عبد علماً فازداد للدنيا حباً إلا ازداد من الله بعداً وازداد الله عليه غضباً»[٢].

قال تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾[٣].

وفي التفاسير: قلبين حبيبين.

وهناك قاعدة في مجال الحب، فالإنسان كلّما ازداد حباً للآخرة وسعى في إعمار قلبه بها، انحسر حب الدنيا وبانحسارها تتكشف للإنسان قيمة الدنيا، أو بالأحرى حقيقتها التي باتت في منأى عن فهم الكثير.

ومن الحقائق التي تنطوي عليها الدنيا أنها تستحقر من يحبها، وتُفني من

---

[١] سر تأخر العرب المسلمين: الشيخ محمد الغزالي المصري، ص٤٨.

[٢] مستدرك الوسائل: ج١٢/ص٣٨، وكلمة الإمام الحسن عليه السلام: الشهيد السيد حسن الشيرازي قدس سره.

[٣] الأحزاب: ٤.

يتودّد إليها، بل في بعض الأحيان تجهز على من يتعلّق بها.

قال أمير الحكماء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: «من أبصر بها (الدنيا) بصّرته، ومن أبصر إليها أعمته»[1].

نقل لي أحد السادة الأجلاء هذه الحادثة:

التقى سيد بأحد باعة الخمر، وقد بلغ من العمر عتياً، فقد بلغ الثمانين.

فقال له السيد: ألم يَئِن لك أن تتوب وترجع إلى رشدك وتترك هذا العمل الخائب الذي لم تجن منه إلا الخسران؟ فقد أقبل عليك موسم الحج.

فرد عليه الرجل البائع: إنك سديد في رأيك فسوف أترك ولكن ليس في هذه السنة وإنما في السنة القادمة.

ولكن وبعد ثلاثة أشهر فارق بائع الخمر الحياة، ولم يَتُب إلى الله عزّ وجلّ، وعندما جاؤوا بالجنازة ليصلّي عليها تحيّر السيد ماذا يقول في أمره، فاتصل بأبيه صاحب الفضل الكبير.

فقال الأب: قل: «إني لا أعلم منه إلا خمراً» بدل «لا أعلم منه إلا خيراً».

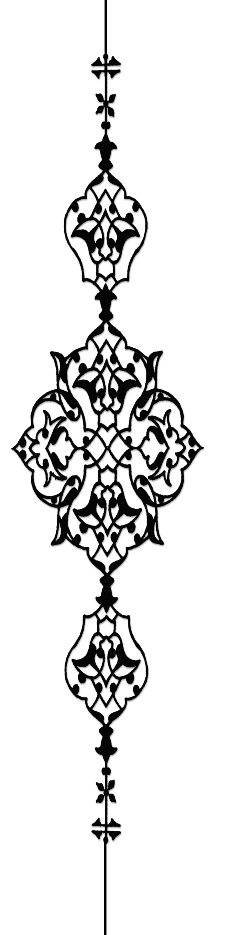
وإذا كان الإنسان يميل إلى الدنيا تباعاً فإنه يغوص في لجحها بحيث ينسى نفسه فهو ابنها، وتعدُّ هذه الحالة من أمهات المشاكل لأن الغوص فيها يختلف عن الغوص في البحر، فالغوص في البحر يجني منه الإنسان الكثير، ومنها اللؤلؤ والمرجان، وغيرها من الحلي، وأمّا الغوص في الدنيا فلا يجني منه إلا الخسران المبين.

[1] شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، ج٦/ص٢٣٨.

وذلك لأن الدنيا ظاهرها أنيق، ولكن باطنها خطير، ويُؤدّي إلى أوخم العواقب.

لقد رأيت أهل الدنيا في كل يوم يخسرون ميّزة، وفي مقدمتها الاتزان والتعقُّل والتروّي والتودّد والمحبة.

الفَصْلُ السَّابِعُ





صلح الإمام عليه السلام

صلح الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

إنّ الأزمات التي أطلّت على الأمة الإسلامية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله تعدّ الأخطر من نوعها في حياة الأمم، فقد عصفت بالأمة فتنٌ من كل جانب، واحتوشتها حتى كادت أن تقضي على القيم الإسلامية برمّتها.

وكانت الفتن عمياء وشوهاء أفقدت الكثير صوابه وأحالته إلى جثة هامدة لا حراك فيها، وقد تنبّأ رسول الله صلى الله عليه وآله بالفتن التي تأتي كقطع الليل يتبع بعضها بعضاً.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر أيّامه: «أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها»[1].

وقد حاول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع الثلّة المؤمنة من الصحابة تقليل مضاعفات الفتن، وحصرها قدر الإمكان، إلّا أن الأهواء الشخصية، والأحقاد الدفينة كانت تقف بقوة أمام أي خطوة لتطويقها.

علماً أن المجتمع الإسلامي كان وقتئذٍ لمّا يبلغ سن الرشد حتى يستطيع أن يستوعب الفتن الهوجاء، أو على الأقل يعرف مغزاها فيلتجئ إلى المخلّص الذي يمكن أن ينقذه من هذه الفتن.

---

[1] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣١/ص١٤٥.

لقد حاول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جهده حصرها حتى لو أدّى ذلك إلى تركه الموقع الأول.

فقال (صلوات الله عليه): «لأسلّمنّ ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جورٌ إلا عليّ خاصة»[1].

وهكذا تنازل الإمام (صلوات الله عليه) حفاظاً على بيضة الإسلام، وعلى القيم الإسلامية التي رأت النور بعد مخاض عسير، وكانت محاولات الإمام علي عليه السلام حثيثة، وذات أبعاد متعدّدة، فقد تحرّك على صعيد الإرشاد والتوجيه، وتوحيد الصفوف أمام الهجمات الفكرية سواء من الداخل أم من الخارج.

فهو الذي ردَّ الفتن والشبهات على أعقابها بحكمة بالغة، التقى بحبر من اليهود، فقال اليهودي: ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه.

فردَّ عليه الإمام عليه السلام قائلاً: «إنما اختلفنا عنه لا فيه، ولكنكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾[2] ..»[3].

إنّ هذه المواقف الكبيرة لتترجم بوضوح الحرص الكامل من قِبَل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على قيم الإسلام، وعلى وحدة المجتمع التي كادت أعمدتها تنهار تماماً.

---

[1] شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، ج٦/ص١٦٦.

[2] الأعراف: ١٣٨.

[3] شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج١٩/ص٢٢٥.

ونقول بالضرس القاطع:

إنّ مواقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الحاسمة ردّت الفتن الهوجاء على أعقابها إلا أن آثارها ظلت تتفاعل في مفاصل المجتمع الإسلامي.

لذلك فإنّ الخطر كان كبيراً، وفي نظري فإنه يُعدّ الأخطر من نوعه في حياة الأمم، فكان الإمام عليه السلام يجهد لتثبيت أعمدة الإسلام وتعميقها في قلب المجتمع، فأخذ الإمام عليه السلام على عاتقه تثقيف المجتمع عبر ثلّة مؤمنة كانت مثالاً في العلم والتقوى، أمثال: المقداد، وأبي ذر، وسلمان، وعمار بن ياسر، وحذيفة، ومالك الأشتر، وحجر بن عدي، وأويس، ورشيد.

وطفقت هذه الثلّة تزيل الآثار السلبية من نفوس الناس، وتقلع من عقولهم الأفكار الجاهلية التي نمت عبر ممارسات خاطئة للسلطات الحاكمة.

إن إقدام الصحابة على خطوة الإصلاح بقوة إنما كان يعتمد على المرجع العظيم، فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام أضحى مرجعاً ليس فقط للمسلمين، وإنما لكل إنسان ينشد العزّة والكرامة، وهناك علاقة جدلية بين القائد والأتباع، فكلما سما القائد فإنه يترك بصماته على سلوك أتباعه، وقد يصوغ منهم قادةً أفذاذاً، وهذا ما كان من أتباع أمير المؤمنين عليه السلام.

لقد امتلأ قلب الإمام رحمة وشجاعة وسماحة، وهذه الميّزات تشكّل قنوات مهمّةً لربط القائد بجماهيره.

جاء في كتاب (محراب علي) لخليل فرحات:

وأنت وَسِعْتَ الناسَ دوماً برحمةٍ   وقد أمطروكَ الوتْرَ في أثَر الوتْرِ

علوتَ وكنتَ النّفس أكبرَ قادر   على قهرها، تلك المليئةُ بالكِبْرِ
وقصّرَ عقلُ الناس عن قهر مَيلهمْ   فبوركتَ قَهّاراً على النَّفس يستجري[(١)]

ولا يسعني وأنا أسطّر هذه الكلمات إلا أن أقول: وما جرى للأمة الإسلامية حتى تستسلم للفتن بعد أن كشف عنها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام ؟!

لقد أماط أهلُ البيت عليهم السلام اللثام عن أهمّ فتنة يمكن أن تنطلي على المسلمين، وتتمثّل بالخلافة، فإنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام وفي مقدّمتهم سيد الكائنات محمدٌ صلى الله عليه وآله وضّحوا ملامح الخلافة، وبيّنوا قسماتها بحيث لا يمكن لأحد أن يأتي ويتقمّصها، أو يدّعي الانتساب إليها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «يا علي، إنما أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي»[(٢)].

إنّ هذا الحديث الشريف يوضّح تماماً ملامح الخلافة، فالنبيُّ صلى الله عليه وآله ربط منزلة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بمنزلة الوصيِّ هارون الذي كان بحق يشكّل الموقع الثاني للنبيِّ موسى عليه السلام .

قال تعالى عن لسان النبيِّ موسى عليه السلام : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[(٣)].

لقد أفصح النبيُّ موسى عليه السلام تماماً عن موقع هارون عليه السلام فقد جعله

---

(١) الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر: راجي أنور هيفا، ص٢٥٢، نقلاً عن كتاب خليل فرحات.

(٢) مستدرك الوسائل: النوري، ج١٨/ص٣٦٦.

(٣) الأعراف: ١٤٢.

خليفة على قومه، ثم أتبع بقوله: ﴿وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[١].

وبهذا فقد جمع النبيُّ موسى عليه السلام خصلتين مهمتين للخليفة: الإصلاح والاستقامة.

وبذلك بيّن النبيّ موسى عليه السلام موقع الخلافة وأهميتها.

إنّ حديث النبيِّ صلى الله عليه وآله للإمام عليٍ عليه السلام يأتي في غاية الأهمية كونه يربط بينه وبين موقع الوصيِّ هارون عليه السلام الذي ثبت في القرآن الحكيم.

وهكذا يكشف عن الملامح الرئيسة للخلافة من خلال ربطها بالقرآن الكريم.

ومع وضوح أمر الخلافة يأتي البعض ممّن لا حريجة له في الدين ولا إثارة له من علم ليتقوّل بما يتعارض مع آيات الله سبحانه البيّنة والأحاديث القاطعة لرسول الله محمد صلى الله عليه وآله .

إنه أمر خطيرٌ، وما زال هؤلاء يزعقون، وكأنهم لم يسمعوا آيات الله سبحانه وكلام رسول الرحمة صلى الله عليه وآله!!

ومن هؤلاء ابن تيمية الذي اختطّ لنفسه منهجاً فيه الكثير من المغالطات، ممّا أدخله في نفق مظلم مع أتباعه.

وممّا يحزّ في النفس أنّ أتباع ابن تيمية يجترّون ما تقوله مرجعيتهم، فلم يأتوا بجديد فيما يخصّ الخلافة، ولن يأتوا طالما هم لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يسترشدوا إلى ركن وثيق!!

إنني آسى على هذه الأمة التي أخذت تلتهم التعصُّب، وتلتقط الأقاويل

---

(١) الأعراف: ١٤٢.

من أفواهٍ ملْؤها الكذبُ حتى لو كان ذلك على حساب حياتها وسمعتها، ولا نذهب بعيداً فالأمة الإسلامية برمّتها مصابة بـ «داء التعصُّب» المقيت.

ألقيتُ خطبة في مناسبة استشهاد الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فذكرت طرفاً من أخلاقه السامية، منها زجره لأحد أصحابه الذي شتم مجوسياً كان يخدمه بعبارات مقذعة، وقلت: إن الإمام الصادق عليه السلام يربأ بأصحابه عن الشتم، بل يوصيهم بعدم إيذاء شخص بكلمة نابية.

وهناك بعض العلماء وعلى الفضائيات والإنترنيت يتفوّه بكلمات نابية للغاية لم أسمع بمثلها، والرجل ينحدر من أسرة علمية معروفة بالمعرفة والأخلاق.

وما إنْ أتممت المجلس حتى قامت قيامة البعض، فقام معترضاً بعد أن امتلأ غيظاً، وقال: يا شيخ، لماذا هذا الكلام؟ ولِمَ هذا التجرُّؤ؟

وأخذ يدافع عن هذا الرجل الذي خالف كلام الله سبحانه وتعالى وسيرة الأئمة عليهم السلام وأخلاق العائلة التي ينتمي إليها.

ما زال التعصب ينخر في عقولنا حتى حولها إلى صحراء لا تطيق احتضان بذور الفكر الحصيف، والفهم العميق.

وما زلت أفكّر في أمر هذا الرجل الذي لا يستثني أحداً، والأنكى من ذلك أنّ جماعة من مريديه أخذوا يدافعون عن سبّه المقذع بحرارة، أليس هذا هو التعصب بعينه؟؟!!

وقال لي أحد الخطباء: إن مريديه سوف يدافعون عنه حتى لو تجاوز على الباري عزّ وجلّ.

فقلت: لا أستبعد ذلك.

وهكذا يفعل التعصب قديماً وحديثاً!!

إنّ إحدى إفرازات التعصب المقيت تكمن في خنق الفرص لنموّ الحوارات البنّاءة، وتضيّق الخناق على العقلاء كي لا يتكلّموا، وفي نظري فإنّ التعصب هو أسوأ أنواع الإرهاب إن لم يكن الوسيلة المُثْلى لنموّه.

وهكذا فعل التعصب في العصر الأول أو بعبارة أخرى في السنوات الأولى من عمر الدولة الإسلامية، فقد استولى ثانية على نفوس البعض من الأصحاب، ثم تغلغل في العمق مما أفقدهم الاتزان، ونفاذ البصيرة، حتى صار أحدهم لا يرى إلا رأيه، ولا يصدر إلا من وحي عاطفته، وإن جرّه ذلك إلى مخالفة الكتاب الحكيم.

وقد عانى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً منه حتى نفث ما في صدره: «لقد سئمت الحياة بين أظهركم، ولَوددت أن الله يقبضني إلى رحمته من بينكم، وليتني لم أرَكُم، ولم أعرفكم معرفة والله جرّت ندماً، وأعقبت سدماً، أوغرتم ـ يعلم الله ـ صدري غيظاً، وجرّعتموني جرع التهمام أنفاساً»[1].

وقد أسلم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أمره لله عزّ وجلّ محتسباً صابراً.

وهكذا أزاح التعصب رجل الدولة الأول، وأقعده خمساً وعشرين سنة، إنها مسافة طويلة تركت أسوأ الآثار، وعندما استلم القيادة كان التعصب قد ضرب أطنابه فأفرز ظلالاً سوداء أصمّت الكثير وأعمت بصيرتهم، إلا من

---

[1] الغارات: ج٢/ص٣٢٥.

عصم الله عزّ وجلّ.

وقد عبّر التعصب عن شكله القبيح في صفين، إذ انحاز ابن الأشعث إلى ضغنه نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، فأركس جماعته، وأوبقهم إثم الأولين والآخرين، في مكيدة كان قد أعدّها مع عمرو بن العاص ومعاوية في الليل: رفع المصاحف.

وهل يعرف معاوية وعمرو بن العاص معنىً للمصحف حتى يرفعوه على الرماح بدل القلوب؟

إنّها خدعة الطفل عن محالب أمه على حدّ تعبير أمير البلغاء.

وهكذا انطلت الخدعة، وظل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يكابد الألم، ويجترُّ الآهات والحسرات حزناً على القيم الإلهية التي جاهد رسول الله محمد صلى الله عليه وآله في تثبيتها بصبرٍ لا مثيلَ له، فرأى الإمام عليه السلام بأمِّ عينيه كيف أن القيم الحقّة أخذت تفارق الحياة الواحدة بعد الأخرى وتنهار أعمدة الدين، ثم تحتل مكانها قيم الجاهلية بأيدٍ قذرة لا تعرف معنى للإنسانية وللقيم السامية.

وفي خضمِّ الأجواء الملبّدة بغيوم الشكِّ والارتياب تسلّم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام زمام القيادة بنصّ من رسول الله صلى الله عليه وآله، وتأكيد من سيد الوصيّين أمير المؤمنين عليه السلام، ومبايعة الناس له.

جاء في كتاب (عقيدة الشيعة) لـ «رونالدسن» نقلاً عن كتاب (الأخبار الطوال): «ودفن علي (عليه السلام) ليلاً، وصلّى عليه الحسن (عليه السلام)، وكبّر خمساً، فلم يعلم أحد أين دفن، ولما توفّي عليٌّ خرج الحسن إلى المسجد الأعظم

فاجتمع الناس إليه فبايعوه»[(١)].

وقد تعمّدتُ نقل خبر البيعة من كتاب «رونالدسن» لأن الكاتب المذكور يتحامل كثيراً على سيد شباب أهل الجنة بشكل غريب، ويسطّر شبهاتٍ ظالمةً بغير سلطان، ولا أعرف الأسباب والدواعي لهذه الحملة الشعواء، ولكن وكما هو معروف فإنّ معظم المستشرقين يكتبون من وحي التعصُّب والكبرياء، لأن الغرب يرى نفسه الأعلى والأرقى فهو يسقط ما في داخله على الآخرين.

يقول الكاتب المسيحي «إدوارد سعيد» في كتابه القيّم (الاستشراق):

«إنّ نواة العملية الاستشراقية هي التمييز الذي لا يزول بين التفوّق الغربي، والانحطاط الشرقي»[(٢)].

وهكذا فإن الغرب ما زال ينظر إلى الشرق بعيونه المليئة بالحقارة والاستصغار.

وهذه قاعدة مضطردة، فمن يملك ـ إلا ما ندر ـ يتملّكه الكبرياء، وتستبد به روح الأثرة والاستعلاء، وعلى كلّ حال فإن «رونالدسن» يصف الإمام الحسن عليه السلام بأوصاف لا يمكن أن نأتي بها «ثم يتّهمه بالقصور، وحب النساء، والراحة، لذلك تنازل عن الخلافة لمعاوية بعد أن رأى نفسه مجرّدة عن المؤهلات اللائقة للخلافة»[(٣)].

---

(١) عقيدة الشيعة: دوانيه رونالدسن: ص٨٥.

(٢) الاستشراق: الدكتور إدوارد سعيد: ص٤٤.

(٣) عقيدة الشيعة: دوانيه رونالدسن.

إنّ هذه التهم الرخيصة إنما تترجم القصور عن فهم الأحداث، وضعف الإحاطة الشاملة بخلفيات الحدث.

كان ينبغي للمستشرق الإنگليزي تحرّي الدقّة في تناول الوقائع المهمة التي لها أكثر من سبب، وكان عليه أن يعتمد على المصادر الموثوقة التي لها وزنها التاريخي لا المحرّفة، فهناك مصادر تاريخية كتبت من أجل السلطان بغية رضاه بدراهم معدودة وبالأخص الحدث «الصلح»، فالصلح حدث مهمّ لا ينبغي تناوله بسطحية، فهناك جملة عوامل إستراتيجية إن صحّ التعبير دعت الإمام الحسن عليه السلام إلى الصلح، ثم تسليم أزمة الأمور إلى معاوية بن هند التي كشفته وعرّته تماماً.

وفي نظري فإنّ الصلح كشف معاوية، وأظهره للملأ ممّا أدّى به إلى تقليل مؤامراته الدنيئة ضد الإسلام، وقيمه.

فالصلح قلّل من خطط معاوية، وأجبره على أن يراعي بعض الشيء مشاعر الناس، ومع ذلك فهو قام بخطوات خطيرة للغاية، حيث ألصق تهماً بسيد الكائنات رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وسيد الوصيّين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه)، وسنّ سنّة سيّئة جرّت الوبال على المسلمين قاطبة.

يقول الشيخ محمد الغزالي في كتابه (في موكب الدعوة):

«فاحتال لنقل المُلك إلى ابنه يزيد بأن دعا الناس في حياته إلى عقد البيعة له، فأصبح يزيد ملكاً بالبيعة التي اصطُنِعت له، وإن شعر الناس بأن النظام الإسلامي قد عراه تغيُّر خطير، وأن هذه البيعة المفتعلة ستارٌ لعودة الجاهلية الأولى في توريث الملك».

ويقول: «ولا أعجب إذا (كان علي) وصحبه من أولي السبق في الإسلام يُلعنون على المنابر في ظل الحكم الأموي الوراثي الجديد، إنّها طبيعة الحياة الدنيا غُلّبت ثم وجدت من الكتّاب والشعراء والعلماء من يمشي في الركاب، ويرضى بالواقع، ويستكين لسير الأمور، بل لعله يبرّرها، ويتصيّد لها الفتوى»[١].

الصلح أسبابه وأبعاده:

قبل أن نسرد أسباب الصلح، نقول: إن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أبرم الكثير من المعاهدات وكتب الصلح والأمان، والدّعوات الموجّهة إلى الأباطرة والملوك والأمراء ورؤساء القبائل.

جاء في كتاب (نظام الحكم والإدارة في الإسلام):

«بلغ مقدار ما كشف البحث عنه من الوثائق السياسية والإدارية المروي صدروها عن النبيِّ صلى الله عليه وآله: ستاً وأربعين ومئتي (٢٤٦) معاهدة، وكتاب صلح، وكتاب أمان، وكتاب دعوة، موجّهاً إلى الأباطرة، والملوك والأمراء، ورؤساء القبائل»[٢].

وهذه المعاهدات تدلّ على مبدأ السلم والسلام الذي اعتمده الإسلام مبدأ أوّلياً في التعامل مع الآخرين، وقد يكون الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله هو الأول في التاريخ البشري في مجال إبرام الصلح مع الآخرين، وبضوابط

---

[١] في موكب الدعوة: الشيخ محمد الغزالي المصري: ص١١٢-١١٣.

[٢] نظام الحكم والإدارة في الإسلام: العلامة المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين، ص٥٩٧.

وقواعد لا تحتمل التأويل والنقض، أو الفقد لشروط الديمومة.

وكما نعلم فإنّ معاهدات الصلح بين الدول قديماً وحديثاً ينقصها الكثير من الشفافية، فإنّ نصوصها تقبل أكثر من تأويل وأكثر من معنى، وهي تفتقد الضوابط لديمومتها، فالكثير من معاهدات الصلح قائمة على ضوابط محدودة بحدود الزمان الذي انعقدت فيه، ثم إن المعاهدات الدولية تقوم على المصالح المشتركة، وليس على أساس الأخلاق والقيم الإنسانية، وهذه تعتبر نقطة ضعف مريرة في المعاهدات، فالمصالح تتغيّر وتتبدل وهي قابلة للنقض في كل لحظة، لأنها لا تعترف بالقيم.

وهكذا فإن محكمة العدل الدولية التي تعتبر قمة الهرم في القانون الدولي تضع «العدالة» جانباً، فهي تشكّل مادة ثانوية في مبادئ المحكمة!!!

جاء في كتاب (الرؤية الإسلامية للقانون الدولي):

«أوضحت المادة ٣٨ من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية أن مبادئ العدالة هي مصدر قانوني من مصادر القانون الدولي يأخذ بها القضاء الدولي إذا رضي بها أطراف النزاع»[١].

وقد أكّد الإسلام على أهمية العدالة في كافة قوانينه، بل ألزم ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ

[١] الرؤية الإسلامية للقانون الدولي: قاسم خضير عباس، ص١٠٦.

[٢] النساء: ٥٨.

أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾[٢].

والعدالة في القانون الإسلامي مادة أساسية في كل قوانينه الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وغيرها.

وقد راعى رسول الله صلى الله عليه وآله جانب العدالة في كل أحكامه، وهي مادة أساسية يحكم على أساسها مساوياً جميع الملل والنحل.

جاء في كتاب (الرؤية الإسلامية للقانون الدولي):

«إنّ النبي الكريم صلى الله عليه وآله في مسيرته قد أشاع العدالة بين الناس جميعاً مسلمين وغير مسلمين، فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «من آذى ذمّتي فقد آذاني»[٣].

وورد عن أنس أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله قال: «من آذى ذميّاً مؤدّياً الجزية مقرّاً بذلته فأنا خصمه يوم القيامة»[٤].

وعن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من قتل معاهداً، لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها لَيوجد من مسيرة أربعين عاماً»[٥].

وورد أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله بأنه قال: «من ظلم معاهداً، أو انتقصه حقاً، أو كلّفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم

---

(١) المائدة: ٨.

(٢) النحل: ٩٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٤/ص١٢٤.

(٤) معرفة الصحابة: ج٣/ص١٦١٢.

(٥) مسند أحمد بن حنبل: ج٢/ص١٨٦، وسنن ابن ماجه: ج٢/ص٨٦٩.

القيامة»[١].

وجاء في عهد النبي صلى الله عليه وآله لأهل نجران أنه: «لا يؤخذ منهم رجل بظلم آخر»[٢].

ثم إن النبي صلى الله عليه وآله ثبّت الحقوق الكاملة لكل معاهد ضمن معاهدات قانونية لا تقبل النقض مهما تقادم عليها الزمان، وهذه نقطة مهمة في القانون الإسلامي، بخلاف القانون الدولي في التعامل الدولي حيث يعتبر سقوط الحق بالتقادم، أو ما يعبّر عنه بنظرية «التقادم المكسب»، وهذا ظلم فاحش، وخلاف العدل، وهناك نقاط ضعف عديدة سوف نأتي على ذكرها إن شاء الله في كتاب (قبس من نور الإمام السجّاد صلوات الله عليه).

ومن خلال هذه الجولة نستخلص: أن الإسلام شرّع الصلح كمبدأ أساسي في التعامل الدولي، وثبّته واقعياً، ولكن ما يحزّ في النفس أن الحكام الذين جاؤوا خلسةً وتحت غطاء الدين قلبوا موازين الإسلام، وتنكّروا له كلياً، ومنهم معاوية بن أبي سفيان الذي أدّى دوراً خطيراً في قلب الموازين الإسلامية، ومنها مسألة الصلح.

فقد استغلّه لتثبيت دولة الأمويين التي عبرها تنفّست الجاهلية من جديد، مخلّفة أسوأ الآثار.

أمّا ما هي أسباب الصلح التي دعت الإمام المجتبى (صلوات الله عليه) إليه؟

---

(١) سنن أبي داود: ج٣/ص١٧٠.

(٢) الرؤية الإسلامية للقانون الدولي: قاسم خضير عباس، ص١٠٧.

لقد كان الصلح ضرورة ملحّة لوحدة المسلمين، وإنقاذ ما تبقّى من شيعة أهل البيت عليهم السلام، ثم تجميد ما تبقّى من خطط معاوية لإجهاض التجربة الإسلامية الفتية.

وفي نظري فإنّ من الأسباب المهمة التي من أجلها صالحَ الإمام المجتبى عليه السلام معاوية بن أبي سفيان تصدُّع الجبهة الداخلية للدولة الإسلامية، بسبب وجود الطابور الخامس المتمثّل بالمنافقين.

علماً أن هذه الفئة كان لها دور خطير في حياة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وامتد خطرها تباعاً إلى أن وصلت ذروتها في حياة أمير المؤمنين عليه السلام، وكان على رأسها الأشعث بن قيس الذي تولّى كبر هذا الإفك الخطير، فهو الذي تآمر مع معاوية في إعداد خطّة لاغتيال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام[1].

وقد أدّى الأشعث دوراً خطيراً في تمهيد الأرضية للمنافقين في الكوفة، وذلك عندما بنى مسجداً فيها.

جاء في كتاب (الأمالي) لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي قدس سره:

عن خالد بن عرعرة، قال:

سمعت علياً عليه السلام يقول: «إن بالكوفة مساجدَ مباركةً، ومساجدَ ملعونةً، فأمّا المباركة فمنها مسجد «غني» وهو مسجد مبارك، والله إنّ قبلته لقاسطة، ولقد أسّسه رجل مؤمن، وإنه لفي سرة الأرض، وإنّ بقعته لطيّبة، ولا تذهب الليالي والأيام حتى تنفجر فيه عيون، ويكون على جنبه جنّتان، وإن أهله ملعونون، وهو مسلوب منهم، ومسجد «جعفي» مسجد مبارك، وربّما اجتمع

---

[1] سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام : السيد هاشم معروف الحسني، فصل شهادة الإمام عليه السلام ، ج١.

فيه أناس من العرب من أوليائنا فيصلّون فيه، ومسجد «بني ظفر» مسجد مبارك، والله إنّ فيه لصخرة خضراء، وما بعث الله من نبي إلا فيها تمثال وجهه، وهو مسجد «السهلة»، ومسجد «الحمراء» وهو مسجد يونس بن متى عليه السلام، ولَتنفجرَنّ فيه عينٌ تظهر على السبخة وما حولها.

وأما المساجد الملعونة: فمسجد الأشعث بن قيس، ومسجد جرير بن عبد الله البجلي، ومسجد ثقيف، ومسجد سمّاك، ومسجد بالحمراء بُني على قبر فرعون من الفراعنة»[1].

وكان الأشعث بن قيس يسعى في مسجده لإفشال الخطط التي يُقْدِم عليها أمير المؤمنين عليه السلام لإنهاء البؤر الفاسدة، ومنها بؤرة معاوية بن أبي سفيان.

يقول الإمام كما في (نهج البلاغة)، عن جندب بن عبد الله الأزدي:

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أيها الناس المجتمعةُ أبدانُهم، المختلفة أهواؤُهم، كلامُكم يُوهي الصُّمَّ الصّلاب، وفعلُكُم يُطمِعُ فيكُمُ الأعداء، تقولون في المجالس كيت وكيت فإذا جاء القتال قلتم حيدي حياد ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم أعاليل بأضاليل، وسألتموني التطويل دفاع ذِي الدَّين المَطُول، لا يمنع الضيم الذليل، ولا يُدرك الحقُّ إلا بالجِدِّ.

أيّ دارٍ بعدَ داركُم تمنعُون، ومع أيِّ إمام بعْدي تُقاتِلُون؟! المغرورُ والله من غرَرْتُموهُ، ومَنْ فَازَ بكُم فقد فازَ والله بالسَّهم الأخيب، ومن رمى بأفوق

---

[1] الأمالي: شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي، ص١٦٨-١٦٩.

ناصل، أصبحت والله لا أصدِّق قولكُم، ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد العدو بكم، ما بالكم ما دواؤكم ما طبُّكم؟ القوم رجالٌ أمثالكم، أقولاً بغير علم؟ وغفلةً من غير ورعٍ؟ وطمعاً في غير حقٍ؟».

قال: فكان جندب لا يذكر هذا الحديث إلا بكى، وقال: صدق والله أمير المؤمنين عليه السلام قد شملنا الذلُّ، ورأيناهُ الأثَرَة، ولا يُبعّدُ الله إلا من ظَلم[1].

وهكذا كان الإمام عليه السلام يتضجّر ويتألّم من سوء الأفكار التي كان ينقلها رأس المنافقين وينشرها في نفوسٍ أترعت بحب الدنيا، فتحوّلت إلى حجر عثرة أمام أيّ خطوة إصلاحية، وقد حاول الإمام (صلوات الله عليه) تطويق هذه الفئة، وحصرها في مساحة ضيّقة، إلا أن المؤامرة التي حاكها معاوية مع الأشعث بن قيس حالت دون ذلك.

فامتدّ بها العمر، وبرزت كقوة فاعلة في زمن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، فطفقت تنسج أقذر المؤامرات، منها تسليم الإمام الحسن عليه السلام إلى معاوية، واغتياله.

جاء في كتاب (الفكر السياسي الشيعي.. الأصول والمبادئ):

«فقد أراد معاوية قتل الحسن، وسعى له سعيه، وبذل جهده، ولكنه أراد في نفس الوقت ألا يتهم بقتله، وألا يكون مسؤولاً أمام الناس والتاريخ عن دمه، أراد ألا يحتجّ عليه بدماء ابن بنت الرسول»[2].

---

[1] نهج البلاغة: ص٧٢. وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٤/ص١٣١.

[2] الفكر السياسي الشيعي: الدكتور حسن عباس حسن، ص٣٣٤، ط الدار العالمية.

وقد حاولت فئة المنافقين اغتيال الإمام غيرَ مرةٍ حتى اضطر (صلوات الله عليه) إلى أخذ الحيطة والحذر، ولبس الدرع تحت ثيابه.

وقد جاءه سهم قاتل، وهو في أثناء الصلاة إلا أن الدرع وقاه من ذلك.

وممّا يؤسف له أنّ رؤوس النفاق كانوا يحتلّون المواقع الأولى في عشائرهم، ممّا يجعلهم يتحركون بمساحة واسعة، ويألّبون بقية العشائر على نقض الاتفاقات والعهود المبرمة مع الإمام الحسن عليه السلام، فالأشعث بن قيس، وشمر بن ربعي، وعمر بن سعد بن أبي وقاص، وحجر بن عمرو، وعمرو بن حريث، وأبو موسى الأشعري، وعمارة بن الوليد، وعبد الله بن وهب الرواسي، فهؤلاء كانوا قد بايعوا الإمام الحسن عليه السلام[1].

ومن جانب فإن معاوية بن أبي سفيان بدأ يتصل ببؤر النفاق، ويفتح قنواتٍ خطيرةً، وقد تمكّن من تكوين بؤر خطيرة أخذت على عاتقها زعزعة الأمن الداخلي للدولة الإسلامية، ممّا أثّر كثيراً في نكوص الكثير ليس عن جيش الإمام الحسن عليه السلام فحسب، وإنما عن الإسلام وقيمه، فقد تغيّرت معالم الإسلام بشكل خطير بحيث ظن الكثير أن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لم يبعث للبشر.

يقول الشيخ محمد الغزالي المصري، نقلاً عن الأستاذ محمد بن أبي زهرة أحد كبار علماء الأزهر:

«إنّ النفاق هو الذي قطّع أوصال الأمة الإسلامية قديماً وحديثاً، فهو الذي جعل الحكم الإسلامي مُلْكاً عضوضاً، بعد أن كان أمر المسلمين

---

[1] تاريخ الطبري.

(شورى) بينهم، إنه لولا النفاق ما جعل معاوية بن أبي سفيان الخلافة من بعده حكماً وراثياً، إن كان يسمي الحكم الوراثي خلافةً تتسم بالدين.

إنه لولا أمثال ذلك الخطيب الذي وقف يقول لمعاوية: أمير المؤمنين هذا (ويشير إلى معاوية)، ومن بعده هذا (ويشير إلى يزيد ابنه)، ومن يمتنع فهذا (ويشير إلى سيفه).

إنه لولا هذا المنافق وأشباهه ما استطاع معاوية أن يجعلها وراثيةً في ذريته، وما استطاع سنَّ تلك السنَّة التي ضاع بها.

وإنّ واجب الأمة لهذا أن تحارب النفاق، وتجاهد في دفعه ومنعه، حفظاً لوحدتها، ودفعاً لهذا الداء الدويّ الذي يريد أن يفتك بها.

ولو رجعت إلى التاريخ الإسلامي في ماضيه وحاضره لوجدت النفاق هو الذي أفسد أمر الأمة، فهو الذي أفسد الحكم قديماً على إمام الهدى علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وهو الذي جعل الدولة الإسلامية حوزات ملوك توزّعتها الأقاليم، حتى كان الملك المسلم يحارب ملكاً مسلماً آخر بجنود مسلمين، ليكون ملكه أزلياً وأكبر من ملك أخيه»[1].

نخلص من هذا إلى أن النفاق في زمن الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن المجتبى عليهما السلام أخذ بعداً خطيراً، فكان أحد الأسباب التي دعت الإمام الحسن عليه السلام إلى التريُّث، وتقديم الأصلح للأمة الإسلامية، ثم إن النفاق هو الذي قاد القادة الميدانيين إلى خيانة الإسلام، وترك الجهاد.

وفي نظري فإنّ عامل النفاق قد يكون أحد الأسباب التي جعلت القادة

---

(١) معركة المصحف في العالم الإسلامي: الشيخ محمد الغزالي المصري، ص١٧٠.

الميدانيين يثّاقلون إلى الأرض، ويتركون ساحة المعركة، وهناك أسباب أخرى منها: حب الدنيا الذي استولى بشكل غريب على النفوس ممّا جعلها ساحة مفتوحة تلعب بها الأهواء والرّغبات.

فعبيد الله بن العباس الذي فَقَد ولديه في اليمن من قبل بُسر بن أرطاة أحد قادة معاوية، عظمت رشوته، حيث حصل على مبلغ غرَّه في دينه، فترك الحق والتحق بالباطل، وسبحان من خلق الحق، فإن من يترك الحق لا يرى العزّ إطلاقاً، فظلّ عبيد الله بن العباس مكبّلاً بقيود الذل والمهانة في قصور معاوية.

إنّ الذين يسجدون على أعتاب دنيا معاوية قديماً وحديثاً أمثال عمرو بن العاص، والأشعث بن قيس، وأعور ثقيف، وغيرهم، لم يكتب لهم العزّ والشموخ فكانت الإهانات تترى عليهم من كل جانب، وأما بعد مماتهم فكانت اللعنات وإلى يومنا هذا.

وقد يسأل البعض: وكيف صار حب الدنيا يحتلُّ مساحة في قلوب من لا حريجة له في الدين؟؟

نقول: إن أحد الأسباب يعود إلى الفتوحات، فهي التي فتحت شهية الكثير وأركستهم في حب الدنيا، وكما هو ثابت فإنّ حب الدنيا (يفقد الإنسان بصيرته).

قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا

فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[1].

والمشكلة أنّ كبار الصحابة وقعوا في فخّ المغريات، فطفقوا يلتهمون المغريات بنَهَم فظيع، فسُلب منهم الاتزان والبصيرة، فأخذ الكثير ينسج على منوالهم، بل ويزيد طبق القاعدة: «الناس على دين ملوكهم، والصغير يتبع الكبير».

وهكذا كان عبيد الله بن العباس، وغيره، فقد اتَّخذ الزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، مثالاً في الأثرة وحب المال، فمن الطبيعي أن يميل إلى دنيا معاوية ويتّخذه مغنماً بعد أن كان مغرماً وعدواً لدوداً.

إنها الدنيا تضرُّ وتغرُّ وتمرُّ على حدّ تعبير أمير البلغاء والحكماء علي بن أبي طالب عليه السلام.

من هنا فإنّ المال ومغريات معاوية كانا عاملين في استمالة من كان يعوّل عليهم الإمام الحسن عليه السلام من القادة والوجهاء والشيوخ.

جاء في كتاب (الشيعة والحاكمون) للشيخ محمد جواد مغنية قدس سره:

«فصل أسباب صلح الإمام الحسن عليه السلام»:

وقد أوجزها الشيخ محمد جواد مغنية قدس سره في خمسة عوامل:

١- تخاذُل أهل العراق.

٢- كون أكثر الوجهاء والشيوخ الذين بايعوه والتفّوا حوله طلّاب غنائم ومناصب.

---

[1] طه: ١٢٤-١٢٦.

٣- نفاق عدد غير قليل ممّن بايعه، فقد كانوا يشايعونه ظاهراً ويكيدون له سرّاً.

٤- تخلُّف خَلْقٍ كثيرٍ عنه عندما صمّم على القتال، وعدم خروجهم معه، بعد أن كانوا قد وعدوه بالقتال ضدَّ عدوِّه، وكذلك انضمام قائد جيشه عبيد الله بن العباس إلى معاوية بعد أن اشتراه بمليون درهم.

٥- إرسال معاوية إلى الحسن عليه السلام كل ما أتاه من كتب أصحابه الذين وعدوه فيها أن يسلّموه إيّاه أو يفتكوا به، وتأكُّد الإمام من نسبة الخطوط إلى أصحاب التواقيع[1].

وقد جعل الشيخ محمد جواد مغنية قدس سره تخاذل أهل العراق في مقدمة الأسباب الداعية إلى الصلح، وإني لا أميل إلى هذا الرأي:

أولاً: إنّ عبارة الشيخ «تخاذل أهل العراق» تفيد العموم، والحال أنّ مِن أهل العراق مَن وقف مع الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام الحسين عليهم السلام، وسطّروا ملاحمَ لا تنسى من ذاكرة الإنسانية والتاريخ، كحجر بن عدي الكندي، وحبيب بن مظاهر الأسدي، وبرير بن خضير، وغيرهم من الأفذاذ.

وممّا يحزّ في النفس أن عبارة «أهل العراق» ما زالت تلوكها الألسن، وتنفث بها الصدور بين الحين والآخر، ممّا وفّر للأعداء فرصةً لإلصاق التهم، وافتعال الكثير من الأقاويل بحق العراقيين، وما زال الكثير يزعق بهذه الأقاويل.

---

[1] الشيعة والحاكمون: الشيخ محمد جواد مغنية.

وقد وجد الأعداء في تخاذل العراقيين مادة دسمة، فأخذ يلصق بهم الكثير من التهم الرخيصة، أمثال ابن العربي في (العواصم من القواصم)، وفي عصرنا الحاضر القرضاوي، وقد تحامل ابن العربي كثيراً على أهل العراق حتى أطلق عليهم «أوباش»، ثم اتهم الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام بـ «التهوّر» (والعياذ بالله)، وعدم البصيرة، وغيرها.

وقد أوردت في كتابي (قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام) بحثاً أثبتُّ فيه سموَّ الشيعة عن هذه الاتهامات، وهي ألصق بغيرهم منهم، فإذا كان البعض من شيعة الكوفة قد خذلوا الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام بفعل عوامل عديدة، فإنّ منهم من نصر الإمام أبا عبد الله الحسين عليه السلام، وفي مقدمتهم البطل الشهيد حبيب بن مظاهر، وبرير بن خضير، وعابس، ومسلم بن عوسجة، والحر بن يزيد الرياحي، وغيرهم.

ولكن وماذا عن أهل المدينة ومكة وغيرهما من الأمصار؟ ماذا فعلوا إزاء ثورة سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة عليه السلام ؟؟

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في أهل المدينة آنذاك: «لم يكن واحد من أهل المدينة يحبنا»[1].

ثم نسأل الشيخ الجليل محمد جواد مغنية قدس سره: وهل عبيد الله بن العباس من أهل العراق؟

إنّ خيانة عبيد الله بن العباس شكّلت «القشّة التي قصمت ظهر البعير»، مما ترك أثراً فادحاً في معنويات الجيش، فكاد يسلّم نفسه لولا أن تداركه

(1) قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام : للمؤلف.

البطلان قيس بن سعد، وسعيد بن قيس الهمداني، فموقف عبيد الله بن العباس كان مشيناً وهو الذي شجّع بقية القادة على التخاذل وخيانة الإمام الحسن عليه السلام.

ثانياً: ومن الأسباب التي دعت الإمام الحسن عليه السلام إلى الصلح كثرة الخروقات التي أحدثها معاوية بن أبي سفيان في جدار الدولة الإسلامية.

فقد استطاع معاوية بن هند بالتنسيق مع رؤوس المنافقين إحداث ثغرات مريرة في عمق المجتمع الإسلامي، فقد صدَّر عبرها الدعايات المغرضة، ومنها قبول الإمام الحسن عليه السلام الصلح، وقد أوعز معاوية بن أبي سفيان إلى أعوانه في الكوفة وغيرها بتهيئة أرضية الصلح، وعمل المنافقون جهدهم بذلك، فأدخلوا في روع الناس عزم الإمام الحسن عليه السلام على صلح معاوية فاستقبل جند الإمام الحسن عليه السلام الخبر وصدّقوا به، ممّا أثار سخط البعض من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام، وما زلت أؤكد على خطورة الاختراق، فهو السلاح الأول للعدو قديماً وحديثاً.

ويحاول العدو بشتّى الطرق اختراق المؤسسات الدينية والثقافية والسياسية[1].

فاليهود يؤكدّون أولاً على اختراق المؤسسات الدينية، فهي تشكّل العمق الإستراتيجي للمجتمع، وصمّام أمان، لذلك تسعى الدّوائر المشبوهة جاهدة لاختراقها، وقد نجحت في اختراق بعض المؤسسات الدينية فشكّلت تياراً متعصّباً أخذ يكفّر كل من لا يتفق مع أفكاره الشيطانية، إننا نهيب بالإخوة القائمين على المؤسسات بأخذ الحيطة والحذر، وتحصين

(١) راجع بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة محمد خليفة التونسي.

المؤسسات بالفكر السليم، وكشف طرق العدو التي باتت تتلّفع بأكثر من ثوب.

هذا وقد عملت الفئات المنافقة التي كوّنها معاوية في داخل الدولة على ترويج فكرة «الهيمنة الأموية»، وخلق مناخات ملائمة لزرعها في عقول الكثير، وتنصّ الفكرة على أنّ الإمام علياً عليه السلام لم يستطع قهر معاوية، ولم يستطع زحزحته عن مقامه، فكيف بولده الإمام الحسن عليه السلام.

فإذا كان علي بن أبي طالب عليه السلام لم يستطع ذلك، فهل بمقدور الحسن أن يزحزح معاوية؟!!

وهكذا أخذ النفاق يروّج لهذه الفكرة، ويوجد أرضية لانتشارها فسرت في أوساط المجتمع الكوفي وغيره مما أقعدهم عن القتال، فقام الإمام الحسن عليه السلام مع الثلّة المؤمنة في إيقاظ روح العزم عبر خطابات بليغة.

جاء في كتاب (الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام):

«الحمد لله لا إله غيره، وحده لا شريك له، ثمّ إنّ ممّا عظّم الله عليكم من حقّه، وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصى ذكرُهُ، ولا يُؤدّى شُكره، ولا يبلُغه قولٌ ولا صفةٌ، ونحن إنّما غضبنا لله ولكم، فإنه مَنّ علينا بما هو أهله أن نشكر فيه آلاءه وبلاءه ونعماءه، قولٌ يصعد إلى الله فيه الرضا، وتنتشر فيه عارفة الصدق يصدّق الله فيه قولنا ونستوجب فيه المزيد من ربنا قولاً يزيد ولا يبيد، فإنه لم يجتمع قومٌ قطّ على أمر واحدٍ إلا اشتدّ أمرهم، واسْتحكمت عُقدتهم، فاحتشدوا في قتل عدوّكم معاوية وجنوده، فإنه قد حضر ولا تخاذلوا فإنّ الخِذلان يقطع نياط القلوب، وإنّ الإقدام على الأسنّة

نجدةٌ وعصمةٌ لأنه لم يمتنع قومٌ قطّ إلا دفع الله عنهم العلّة، وكفاهم حوائج الذلّة، وهداهم إلى معالم الملّة»[١].

وكاد الإمام الحسن عليه السلام يفوّت الفرصة على المنافقين الذين جهدوا كثيراً في تحريف العقول، وتسميمها بأفكار جاهلية.

ولكن خيانة القادة الميدانيين بالاتفاق مع جبهة المنافقين ضيّق الفرص أمام خطوات الإمام المجتبى عليه السلام.

ثالثاً: ومن العوامل التي جعلت الإمام الحسن عليه السلام يصالح معاوية تشرّب قلوب الكثير من الجيش روح الجشع والنهم.

فقد تشرّب قلوب الكثير من قادة الجيش والعسكر حب الدنيا ممّا قلّل فيهم روح الاندفاع والتضحية إن لم يقض عليها، وقد ورث القادة والعسكر الجشع والنهم من أسلافهم الذين فتحوا المدن والأمصار.

فإنّ الفتوحات زرعت في قلوب الكثير حب الدنيا، وتحوّل الحب بمرور الوقت إلى عامل مهمّ في اندفاع الجيش، من هنا فإنّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تريّث في خوض المعارك بل أوقفها تماماً حتى يتمكّن من إزالة الرواسب وكنسها من نفوسهم، وبقي هذا الحب كبيراً في قلوب من لا حريجة له في الدين.

وقد عانى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من تعلّق الصحابة بالدنيا، وأراد أن يجتثّه من قلوبهم إلا أنه كان عميقاً، وأخذ مساحة واسعة من نفوسهم

[١] شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، والروائع المختارة من خطب الإمام الحسن عليه السلام: ص٥٩.

وقلوبهم، وقد تكرّرت المعاناة في زمن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، فرآه كبيراً.

عند ذلك قال الإمام الحسن عليه السلام:

«أما والله ما ثنّانا عن قتال أهل الشام ذِلّةٌ ولا قِلّةٌ، ولكن كُنّا نُقاتلُهم بالسّلامة والصبر، فشيب السّلامة بالعداوة، والصّبرُ بالجزع، وكنتم تتوجّهون معنا ودينكم أمام دنياكم، وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم، وكُنا لكم وكنتم لنا، وقد صرتُم اليوم علينا، ثم أصبحتم تصدّون قتيلين، قتيلاً بصفين تبكون عليهم، وقتيلاً بالنّهروان تطلبون بثأرهم، فأمّا الباكي فخاذلٌ، وأمّا الطّالب فثائرٌ، وإنّ معاوية قد دعا إلى أمر ليس فيه عزٌّ ولا نَصَفَةٌ، فإن أردتم الحياة قبلناه منه، وأغضضْنا على القذى، وإن أردتم الموت بذلناهُ في ذات الله، وحاكمناه إلى الله».

فنادى القوم بأجمعهم: بل البقية والحياة.

أو قيل: فناداه الناس من كل جانب: البقية البقية.

وأمضى الصلح[1].

وهكذا تمكّن حبُّ الدنيا من القلوب، فأضعف الهمم، وأوقف في عروقهم روح العزم والإقدام.

ومن التناقضات العجيبة أنّ معظم جيش الإمام عليه السلام رأى بأم عينيه خيانة القادة وفرارهم إلى دنيا معاوية، ومع ذلك وضعوا اللوم على الإمام عليه السلام في صلحه، طلبوا منه الكرّة.

---

[1] الكامل في التاريخ: ج٣/ص٢٠٤، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص٢١.

إنه سلوك عجيب بُني عن عمى!! أو لعله تسويغٌ لتخاذلهم ونكوصهم عن نصرة الحق.

لقد كان بإمكانهم الكرّة على معاوية وتحقيق انتصار ساحق على ابن هند، ولكن ما النتيجة في نظرهم؟ هل هناك غنائم أو مال؟ لقد تعوّدت الجيوش في المعارك أن تحقّق المآرب الدنيوية وتحصل على الغنائم، وهذا ما كان يصبو إليه بعض القادة الميدانيين.

ولربما سائلٌ يسأل: وكيف يقود الإمام الحسن عليه السلام جيشاً مشبّعاً بحب الدنيا؟ وهل بإمكانه مع هذا الحب تحقيق انتصار على جيش معاوية؟

الجواب: **أولاً** لقد أراد الإمام عليه السلام إلقاء الحجّة على المجتمع الإسلامي الذي طالب في أحايين كثيرة مجابهة معاوية، وتفعيل جبهة الحق بعد أن تبيّن خطل رأيهم فيما يخصّ التحكيم.

فقد ظهر للكثير سوء التقدير الذي انطوت عليه العقول خصوصاً جماعة الأشعث بن قيس، وذو الخويصرة زهير بن حرقوص، فهؤلاء أصروا على التحكيم، وأجبروا الإمام علياً عليه السلام على النزول عند رغبتهم، بالرغم من محاولات الإمام عليه السلام الجادّة لكشف اللعبة، وهكذا فإن بعض القادة الميدانيين أرادوا الكرّة على جيش معاوية، وتحقيق نصر مؤزّر عليه.

ثانياً: حتى يثبت الإمام عليه السلام أنه على خطّ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مقارعة الظلم والظالمين، فقد تصوّر البعض أن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام سوف يسلك مع معاوية طريقةً تختلف مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، ولكن إصرار الإمام المجتبى عليه السلام بدّد التصوّرات التي كانت تجول في بعض

العقول.

ومن المؤسف أنّ الدكتور طه حسين في كتاب (الفتنة الكبرى) يتبنّى فكرة خلاف الإمام الحسن عليه السلام مع أبيه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ويورد وقائع هي بعيدة عن خُلُق سيد شاب أهل الجنة عليه السلام، بل هي بعيدة عن خلق الناس العاديين.

ويبدو أنّ الدكتور لم يكن ملمّاً بحياة الإمام الحسن عليه السلام، أو لعله استقى معلوماته من كتب مغرضة هدفها الانتقاص من سيد شباب أهل الجنة عليه السلام، مثل كتاب (عقيدة الشيعة) للمستشرق المغرض «رونالدسن».

ثالثاً: إنّ إصرار الإمام المجتبى عليه السلام على الخروج يؤكّد باطل معاوية، وأنه رأس النفاق والشرك، وقد عدَّ النقّاد هذه الخطوة نقلة نوعية في التصدّي للباطل، لأنّ زيف معاوية استشرى في مفاصل المجتمع، وأخذ ينهش قيمها ومثلها، وما زالت قيم معاوية تعمل في نفوس الكثير، فبعض المذاهب السنية يتبنّون أفكار معاوية، ويدافعون عنها بحرارة، معتبرين إياه الخليفة الراشد بعد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

والحال فإنّ الخلافة محرّمة على بني أمية، وفي مقدمتهم معاوية بن أبي سفيان[١].

وقد انبرى الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بكل صلابة لمحاربة معاوية بن أبي سفيان ومناجزته بكل ما أوتي من قوة، وقد أصرّ الإمام عليه السلام على مناجزته ومنازلته لأن إرجاء المنازلة يعطي فرصة لمعاوية كي يجمع كيده،

---

[١] تفسير مفاتيح الغيب: الفخر الرازي، وروح المعاني: الآلوسي.

ثم يأتي صفاً لمحاربة الإمام عليه السلام.

ثم إن إصرار الإمام عليه السلام يترجم فهمه للأحداث، وبُعد نظره، فمعاوية لن يستكين في حبك المؤامرة لاختراق الجبهة الداخلية لمجتمع الدولة الإسلامية، وقد تعجّل في ذلك، ومدّ خيوطه ليربطها مع الثلّة المنافقة في الكوفة عبر إرسال عيون له، تمّ الكشف عنها في البصرة والكوفة.

وهكذا كانت عيون معاوية تترى وتحاول توسيع الثّغرات في جدار الدولة الإسلامية بالتعاون مع الثلّة المنافقة، لذلك انبرى الإمام (صلوات الله عليه)، وتهيّأ وأعدّ العساكر إعداداً إستراتيجياً، فقد أعدّ للحملة الأولى ثلاثة قياديين هم عبيد الله بن العباس، وقيس بن سعد، وسعد بن قيس الهمداني، ليتدارك الأمر تماماً.

رابعاً: ومن أسباب الصلح ضعف العقيدة، وانحسار القيم الإسلامية عن مساحة كبيرة من المجتمع الإسلامي:

إنّ ضعف العقيدة وانحسار القيم الإسلامية من العوامل المهمّة في انحراف الأمة، وابتعادها عن الإسلام، ويعزو الكثير ضعف العقيدة إلى تخلُّف (المؤسسة السياسية) بعد رسول الله صلى الله عليه وآله في استيعاب المتغيّرات الاجتماعية والسياسية، وغيرها من الجوانب الأساسية للمجتمع.

فعندما تولّى أبو بكر الخلافة لم يكن لِيستوعب الأحداث التي طرأت على الدولة الإسلامية، وكان متلكّئاً في خطواته ممّا أدّى به إلى الاعتراف «لقد ولّيتكم ولست بخيركم»[1].

---

[1] شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، ج١٧/ص١٥٧.

ويقول: «أقيلوني أقيلوني فلست بخيركم»[(١)].

وقال عمر بن الخطاب: «إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها، فمن عاد إلى مثلها من غير مشورة فاقتلوه»[(٢)].

وقد خلّفت المؤسسة السياسة أسوأ الآثار، وعلى أكثر من صعيد، خصوصاً على صعيد الأخلاق والعقيدة، فتمزّقت الأمة شِيَعاً، وصارت تتنازعها الأهواء والمصالح.

وفي خضمِّ التقلّبات السياسية يقول علماء النفس الاجتماعي: يتسرَّب الشك إلى النفوس في قدرة النظام على إدارة المجتمع، هذا ما ينعكس سلباً على عقائد الناس. ومن جرّاء التشكيك ترسبت آثار سلبية على عقائد الناس، فاعتقد الكثير أن لا قدرة للعقيدة على النهوض بالواقع الإنساني، وكذلك الحكام.. وما الاغتيالات التي طالت الخلفاء إلا مؤشّر واضح على ذلك، ويأتي إضاعة الناس الكثير من الفرائض كمؤشّر آخر على ضعف العقيدة، وانحراف المجتمع.

يقول أنس بن مالك: «حتى الصلاة ضيّعناها».

وعندما صلّى خلف الإمام علي عليه السلام قال: «ذكّرتني صلاة عليّ بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله».

وقد تكون الفتوحات عاملاً آخرَ أدّى إلى ضعف العقيدة، وتدنّي

---

(١) تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: الباقلاني، ج١/ص٤٩٤، والغنية في أصول الدين: عبد الرحمن النيسابوري، ج١/ص١٨٦.

(٢) البدء والتاريخ: ابن طاهر المقدسي، ج٥/ص١٩٠، والملل والنحل: الشهرستاني، ج١/ص٢٤.

المستوى الأخلاقي للأمة.

فبعدما كان المسلم يجتهد في أن يفتح قناةً طاهرة مع الله عزّ وجلّ، ويحلّق في سماء العبودية، ويكون في أعلى درجاته، صار يفكّر كيف يفتح طريقاً لابتلاع الأموال والغنائم، ويكون عبداً للدنيا وللشهوات.

وإذا كانت الفتوحات أفاءت على المسلمين بعض الغنائم والأموال فإنها سلبت منهم القيم والأخلاق.

لقد كان بالإمكان فتح البلدان لو كان الإسلام قوياً في المجتمع والإيمان متجذّراً في القلوب ولكنه كان طريّاً ولم يقم على سوقه، لذا خاض المسلمون الكثير من المعارك والدنيا تحدوهم والأمل في الحصول على الغنائم نصب أعينهم، وقد تجمّعت ثروات طائلة، وأصبحت دولة بين الأغنياء منهم.

فثروات الزبير، وطلحة، وعبد الرحمن، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم، صار يضرب بها المثل.

وبسبب الدنيا العريضة التي جاءت بها الفتوحات تسرّب داء الترهّل إلى النفوس، وقبع فيها، فطمع الناس في دنياهم، وصارت أكبر همّهم، وقد حاول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تقليص مساحة الترهّل، وحب الدنيا، إلا أن الفئة المنافقة كانت تترصّد خطواته، وتجهز عليها تباعاً.

وهكذا حوّل المنافق الأشعث بن قيس بعض المساجد في الكوفة إلى بؤر لتصدير المؤامرات، ممّا شكّل مأزقاً كبيراً للدولة الإسلامية.

ومع جود هذه البؤر الفاسدة، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يسمح بغلقها،

وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على سعة صدر الإسلام في احتواء الطرف الآخر.

وحاول الإمام (صلوات الله عليه) فتح حوارات مع الفئات الخارجة على القانون، وطيّ صفحة الماضي، إلا أنها أصرّت على أفكارها، وأوصدت أمامه باب الحوار.

فطلب أصحاب الإمام عليه السلام منابذتهم، فامتنع، وقال كلمته المشهورة: «إننا ندعهم على ما هم عليه، إذا لم يرفعوا سيفاً، ولم يتعرّضوا سبيل المسلمين».

ولكن هذه الفئة الخارجة على القانون استغلّت سماحة الإمام عليه السلام، فأخذت تتعرّض سبيل المسلمين، وتعبث، وتقتل، فقتلوا عبد الله بن جناب بن الأرت، وبقروا بطن زوجته، ثمّ ذهبوا بها عريضة فأخذوا يقتلون كلّ من خالفهم، فحقّ عليهم القول، فقاتلهم الإمام (صلوات الله عليه) في النهروان، وقضى عليهم إلا عشرة، وقد ماجت البلاد بالفتن، وساهم في تأجيجها معاوية بن أبي سفيان.

وقد ورث الإمام الحسن عليه السلام هذه التركة الثّقيلة، والتي أتعبت النفوس كثيراً، بالذات نفوس العراقيين، فكانوا يميلون إلى الدعة، وهكذا اجتمعت العوامل لتشكّل حاجزاً قوياً أمام أيّ خطوة إصلاحية، يرمي من ورائها سيّد شباب أهل الجنة ترميم الوضع.

ومن خلال هذه الجولة، نستخلص أنّ الصلح إنما أتى عنوةً، وليس رغبة، وقد فُرض على الإمام الحسن المجتبى (صلوات الله عليه) فأخذ به،

ممّا أغضب البعض من أصحابه كزيد بن وهب، والجراح بن سنان، وسفيان بن أبي ليلى.

قال زيد بن وهب الجُهَني: وهل تترك شيعتك كالغنم ليس لهم راع؟

إشارة إلى الصلح وتنازل الإمام عليه السلام.

فقال الإمام الحسن عليه السلام:

«وما أصنع يا أخا جهينة؟ إني والله أعلم بأمر قد أدّي به إليّ عن ثِقاتهِ، أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لي ذات يوم وقد رآني فرحاً: يا حسن، أتفرحُ؟ كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً؟ أم كيف بك إذا وَلِي هذا الأمر بنو أمية، وأميرها الرّحبُ البُلعوم الواسع الأعفاج، يأكل ولا يشبع، يموت وليس له في السماء ناصرٌ، ولا في الأرض عاذرٌ، ثم يستولي على غربها وشرقها، تدين له العبادُ، ويطولُ مُلكُه، يستنُّ بسُنن البِدَع والضّلال، ويُميت الحقّ وسُنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، يَقْسم المال في أهل ولايته، ويمنعه من هو أحقّ به، ويُذلّ في مُلكه المؤمن، ويَقْوى في سُلطانهِ الفاسقُ، ويَجعلُ المال بين أنصاره دُوَلاً، ويتّخذُ عباد الله خَوَلاً، ويَدْرُسُ في سُلطانه الحقُّ ويَظهرُ الباطلُ، ويُلْعَنُ الصّالحون، ويُقتّل مَنْ ناوَاهُ على الحقّ، ويَدينُ مَنْ والاه على الباطل، فكذلك حتى يَبعثَ الله رجلاً في آخر الزمان، وَكَلَبٍ مِنَ الدَّهر، وجَهْل من النّاس، يُؤيّدُهُ الله بملائكتِهِ، ويَعْصمُ أنصارَهُ، ويَنصرُهُ بآياته، ويُظْهرهُ على الأرض، حتى يَدينُوا طَوعاً وكَرْهاً، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونُوراً وبُرهاناً، يدينُ له عرضُ البلاد وطولُها، حتى لا يبقى كافرٌ إلا آمَنَ، ولا طالحٌ إلا صلَحَ، وتصطلِحُ في مُلكِهِ السِّباعُ، وتُخرجُ الأرضُ نَبتَها، وتُنزلُ

السماء بركتها، وتَظْهرُ له الكُنوزُ، يملكُ ما بين الخافقين أربعينَ عاماً، فطوبى لمن أدركَ أيّامهُ، وسمعَ كلامَهُ»[١].

وجاء سفيان بن أبي ليلى إلى الإمام الحسن عليه السلام، فقال: السلام عليك يا مذلّ المؤمنين.

فقال له الإمام عليه السلام: وعليك السلام يا سفيان.

وكان سفيان راكباً، فقال له الإمام عليه السلام: انزل.

فنزل، وقال له الإمام عليه السلام: كيف قلت يا سفيان؟

قال سفيان: قلت السلام عليك يا مذلَّ المؤمنين.

فقال الإمام عليه السلام: ما جرّ هذا منك إلينا؟

فقال سفيان: أنت والله بأبي وأمي أذللت رقابنا حين أعطيت هذا الطّاغية البيعة، وسلّمت الأمر إلى اللعين ابن آكلة الأكباد، ومعك مئة ألف كلُّهم يموت دونك، وقد جمع الله عليك أمر الناس.

فقال الإمام عليه السلام: «يا سفيان! إنّا أهل بيت إذا علمنا الحق تمسّكنا به، وإني سمعت علياً عليه السلام يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا تذهب الأيام والليالي حتى يجتمع أمر هذه الأمة، على رجل واسع السُّرم، ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع، لا ينظر الله إليه، ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذرٌ، ولا في الأرض ناصرٌ، وإنه لمعاوية، وإني عرفت أن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ

---

[١] كلمة الإمام الحسن عليه السلام: الشهيد السيد حسن الشيرازي قدس سره، ص٨٢-٨٣، وبحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٤٤/ص٢٠.

بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ ﴾[1] ..»[2].

وهكذا فإنّ الإمام (صلوات الله عليه) كان يشرح ملابسات الصلح لأصحابه، والظروف التي أدّت إلى قبول أهون الشرين.

ولربما سائل يسأل: أليس الصلح قد أعطى الشرعية لخلافة معاوية؟

الجواب:

أولاً: قد يكون السؤال صحيحاً إذا كان الإمام عليه السلام قد سلّم الخلافة طوعاً لمعاوية وبدون شروط.

ثانياً: إنّ الإمام عليه السلام اقتفى أثر جدّه رسول الله محمد صلى الله عليه وآله في صلحه مع قريش، فالضرورة اقتضت ذلك، وليس الصلح معناه اعترافٌ بكفر قريش، أو إكسابها الشرعية، وإنما تقديم الأصلح والأهمّ، فكان الأصلح للأمة الصلح وإيقاف نزف الدم الذي أصاب شريان الأمة.

وحاول معاوية بشتى الأساليب الاستيلاء على السلطة، عبر أساليب غاية في الدناءة منها تسقيط شخصية سيد الكائنات محمد صلى الله عليه وآله والمؤامرة على الحكم الشرعي، كل ذلك لحكم دنيوي، لقد كان نهمه للسلطة لا حدود له لو وسع البشرية لبقي فضلٌ منه.

ثالثاً: إنّ الإمام عليه السلام بصلحه أوقف نزف الدم الذي أصاب جسد الأمة الإسلامية حتى كادت أن تفقد حياتها، فقدّم الأهمَّ على المهمّ.

فالدماء لها حرمة ولها قدسية، وهي فوق كل الاعتبارات بما فيها اعتبار

---

(1) الطلاق: ٣.

(2) كلمة الإمام الحسن عليه السلام: الشهيد السيد حسن الشيرازي، ص١٠٤.

السلطة التي أضحت مستنقعاً آسناً لجمع كل القذارات.

ردود الفعل من قِبَل شيعة أهل البيت عليهم السلام :

وكانت هناك ردود فعل من شيعة الإمام عليه السلام ، وقد وضّح الإمام (صلوات الله عليه) نقاطاً مهمّة، فقال عليه السلام لهم: «ويحكم ما تدرون ما عملت؟ والله لَلذي عملت لشيعتي خيرٌ ممّا طلعت عليه الشمس أو غربت، ألا تعلمون أني إمامكم، ومفترض الطاعة عليكم، وأحد سيدي شباب أهل الجنة، بنصٍ من رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ؟».

قالوا: بلى.

قال: «أما علمتم أنّ الخضر لمّا خرق السفينة، وأقام الجدار، وقتل الغلام، كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران عليه السلام ، إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك، وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمةً وصواباً؟

أما علمتم أنه ما منّا أحدٌ إلا يقع في عُنقه بيعةٌ لطاغية زمانه إلا القائمُ عجل الله فرجه الشريف الذي يُصلّي خلفهُ روحُ الله عيسى بن مريم عليهما السلام ؟ فإنّ الله عزّ وجلّ يُخفي ولادته ويُغيّب شخصهُ، لئلا يكون لأحد في عُنقهِ بيعةٌ، إذا خرج ذاك التاسعُ من وُلد أخي الحسين ابنُ سيدةِ الإماء، يُطيل الله عُمرهُ في غيبته، ثم يُظهره بقُدرته، في صورة شابٍ دون أربعين سنةً، ذلك ليُعلَم أنّ الله على كل شيء قدير»[١].

هذا وقد شرط الإمام (صلوات الله عليه) في صلحه مع معاوية، وهذا

---

[١] كلمة الإمام الحسن عليه السلام : السيد حسن الشيرازي، ص١٠١-١٠٢، والاحتجاج: الطبرسي، ج٢/ص٢٩٠.

نص ما كتبه الإمام عليه السلام وقَبِل به معاوية بدايةً ثم تنصَّل منه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما صالح عليه الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام معاوية بن أبي سفيان.

١- صالحه على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الخلفاء الصّالحين.

٢- وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد لأحد من بعده عهداً، بل يكون الأمر للحسن من بعده، فإن حدثَ به حدثٌ، فلأخيه الحسين.

٣- وأن يترك سبَّ أمير المؤمنين عليه السلام والقنوت عليه بالصلاة، وألا يذكر علياً عليه السلام إلا بخير.

٤- وألا يسمّي الحسنُ عليه السلام معاوية أمير المؤمنين، ولا يقيم عنده شهادة.

٥- واستثناء ما في بيت مال الكوفة وهو خمسة آلاف ألف، وعلى معاوية أن يحمل إلى الحسين كل عام ألف ألف درهم، وأن يفرّق في أولاد مَن قُتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل، وأولاد من قُتل معه بصفين ألف ألف درهم، وأن يجعل ذلك من خراج دار أبجرد.

٦- وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله في شامهم وعراقهم، وحجازهم ويمنهم، وأن يؤمن الأسود والأحمر، وأن يتحمّل معاوية ما يكون من هفواتهم، وألا يتبع أحداً بما مضى، وألا يأخذ أهل العراق بإحنة، وعلى أمان أصحاب عليّ حيث كانوا، وألا ينال أحداً من شيعة عليّ بمكروه، وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم

ونسائهم وأولادهم، وألا يتعقّب عليهم شيئاً، وألا يتعرّض لأحد منهم بسوء، ويوصل إلى كل ذي حقٍّ حقّه.

٧- وعلى ألا يبغي للحسن بن علي، ولا لأخيه الحسين، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله غائلةً سرّاً ولا جهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق.

٨- وعلى معاوية بن أبي سفيان عهد الله وميثاقه، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى من نفسه، شهد عليه بذلك الله وكفى بالله شهيداً، والسلام»[1].

وعند ملاحظة الشروط فإن الإمام الحسن عليه السلام بهذه الشروط ضيّق على معاوية فرص المناورة والتستّر بالدين.

لذا فإن معاوية بن أبي سفيان نقض العهد الذي أبرمه مع الإمام عليه السلام والشروط التي قطعها على نفسه، فقال وهو يخاطب أهل الكوفة:

«يا أهل الكوفة..

أترونني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحج، وقد علمت أنكم تصلّون وتزكّون وتحجّون؟ ولكنني قاتلتكم لأتأمّر عليكم وعلى رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا إنّ كل مال أو دم أصيب في هذه الفتنة فمطلول، وكل شرط شرطته فتحتَ قدميّ هاتين، ولا يُصلح الناس إلا ثلاث: إخراج العطاء عند محله، وإقفال الجنود لوقتها، وغزو العدو في

[1] كلمة الإمام الحسن عليه السلام: الشهيد السيد حسن الشيرازي قدس سره، ص١١٢-١١٤.

داره، فإن لم تغزوهم غزوكم»[1].

وهكذا داس معاوية قيم الإسلام، ومن قبل داسها أبو سفيان، ولكن خَسِئَت محاولاتهم، فالإسلام أرفع وأسمى من أن تدوسه تلك الأقدام القذرة التي ما وطئت أرضاً إلا ولعنتها ملائكة السماء والأرض.

وفي نظري فإنّ الصلح كشف سوءات معاوية لأنه استلم السلطة عن طريقه، والسلطة تضع الإنسان على المحكّ.

ولولا الصلح لما انكشف معاوية، ولبقي يحيك المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين، وهو يحتلّ الموقع الأول بين الصحابة في نظر الكثيرين، وأمّا أنه استلم الخلافة فقد عرّته تماماً، وأظهرته للملأ أنه ابن هند آكلة الأكباد، وأنه الامتداد الحقيقي لخطّ الجاهلية الذي ناصب العداء للإسلام ولقيمه الحقّة.

---

[1] شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي، ج١٦/ص١٤، وأعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي، ج١/ص ٥٧٠.

الفصل الثامن



شبهة الزوجات

شبهة زوجات الإمام الحسن عليه السلام

عند استلام معاوية زمام الأمور أخذ يفتّش عن أساليب قذرة ليُسقط من خلالها رسول الله محمداً صلى الله عليه وآله، وأهل البيت عليهم السلام، ومن جملتهم مولانا الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، ليتّسع له العذر في ارتكاب السيئات، والموبقات الفظيعة.

وبدأ يلصق برسول الله محمد صلى الله عليه وآله أحاديثَ مشينة، وبالإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وبالإمام الحسن عليه السلام، ومنها: أن الإمام الحسن عليه السلام مزواج ومطلاق، وقد هيّأ لذلك صنّاعاً لا حريجة لهم في الدين، ولا يرقبون في الإسلام إلاً ولا ذمّةً.

جاء في كتاب (سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام)، للسيد الحسني، من المجلد الأول:

أنّ الشبلنجي، والمدائني، وأبا طالب المكّي، وهم ممّن تولاه ـ كبر هذا الإفك ـ ألصقوا تهمة الزواج والطّلاق بالإمام الحسن عليه السلام، فالمدائني يروي كما في (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد أن الإمام الحسن عليه السلام تزوّج سبعين امرأة، وأمّا زواج التسعين فيرويه الشّبلنجي في (نور الأبصار)، وبدون سند.

أمّا رواية المئتين والخمسين، والثلاثمئة، فيرويها أبو طالب المكي في

(قوت القلوب) المتوفى سنة ٣٨٠هـ.

ويقول السيد الحسني في (سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام):

وعلى ما يبدو أن الذين ألصقوا بالإمام الحسن المجتبى عليه السلام كثرة الزواج والطلاق هؤلاء الثلاثة: المدائني، والشبلنجي، وأبو طالب المكي في كتابه (قوت القلوب)، وعنهم أخذ المؤرّخون من السنة والشيعة والمستشرقين.

أمّا علي بن عبد الله البصري المعروف بالمدائني، والمعاصر للعباسيين، فهو من المتّهمين بالكذب في الحديث، كما في (ميزان الاعتدال) للذهبي، فإن مسلماً في (صحيحه) قد امتنع عن الرواية عنه، وإن ابن عدي قد ضعّفه، والمدائني يروي عن ابن عوانة، وابن عوانة كما جاء في (ميزان الميزان) كان يضع الأخبار لبني أمية.

أمّا رواية التسعين فقد أرسلها الشبلنجي في كتاب (نور الأبصار) ولم ينسبها إلى أحد، والمرسل إذا لم يكن مدعوماً بشاهد من الخارج أو الداخل للاستدلال فلا اعتبار له.

وأمّا رواية أبي طالب المكي في (قوت القلوب) فهي أقرب إلى الأساطير من غيرها، لأنها لم ترد على لسان أحد من الرواة، وأبو طالب المكي كان مصاباً بالهستريا كما نصّ عليه معاصروه.

وجاء في (البداية والنهاية) لابن كثير:

أنه أوصى أحد أصحابه إن غفر الله له أن ينثر على جنازته لوزاً وسكراً، وجعل العلامة على ذلك أن يُقبَض على يد صديقه ساعة الاحتضار، فقُبض

على يده في تلك الساعة، ونفّذ صديقه ما أوصاه به[1].

هذا وقد يكون أولاد الإمام الحسن عليه السلام دليلاً آخرَ على كذبهم، فقد قال أكثر المؤرخين أن الإمام عليه السلام توفّي عن ثمانية ذكور وأربع إناث، وبين من قال بأنه ترك أحد عشر ذكراً وخمس إناث.

ويمكن مراجعة جميع المصادر التاريخية التي تشير إلى حياة الإمام الحسن عليه السلام.

ويمكن أن نضيف دليلاً آخر هو اشتراك أولاد الإمام الحسن عليه السلام في معركة الطفّ، فالروايات المشهورة عند الفريقين أن ثلاثة من أولاده قد اشتركوا مع الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام في معركة الطف، وهم القاسم ابن الحسن، وعبد الله بن الحسن الذي استشهد في حضن عمّه المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام وهو يدافع عنه، والحسن بن الحسن الذي جُرح وأخذه أخواله، وبعدها تزوّج فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام، وكان الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام قد أوصى بذلك.

وأمّا زيد بن الحسن المعروف بزيد الأبلج لحسن جماله لم يحدث المؤرخون أنه اشترك في واقعة الطف، وعاش في المدينة، وقد تولّى صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله[2].

ومن أولاد الإمام الحسن عليه السلام الحسن الأنور.

وهو والد السيدة نفيسة ذات المقام المعروف في القاهرة، ومن أولاد

---

[1] سيرة الأئمة الاثني عشر: السيد هاشم معروف الحسني، ص٢٥٥-٢٥٧، بتصرف.

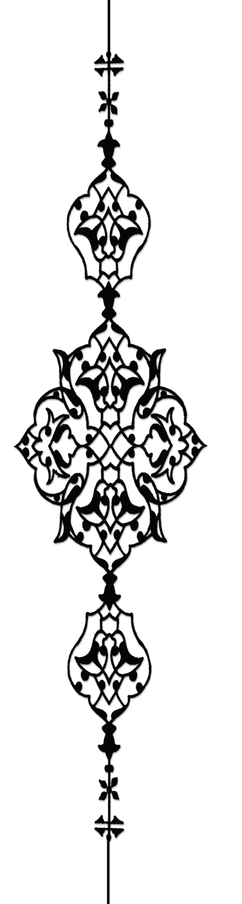
[2] الإرشاد: الشيخ المفيد قدس سره.

الحسن الأنور يحيى المتوج والد زينب التي لازمت عمّتها نفيسة في القاهرة، ودفنت فيها بجوار قبر ابن العاص، وكانت من الزاهدات العابدات، وأهل مصر يأتون لزيارة قبرها من كل فجّ عميق، حتى إن الخليفة الفاطمي الظاهر كان يقصدها ماشياً.

ولعل القبر المعروف بقبر زينب في مصر هو قبرها[١].

[١] أهل البيت عليهم السلام: توفيق أبو علم، ص٥٤٤.

الفَصْلُ التَّاسِعُ



الإمام الحسن عليه السلام في الشعر العربي

الإمام الحسن عليه السلام في الشعر العربي

كان الشعر وما يزال أبلغ الكلام وأسناه في لغة العرب حيث يمثل قمة البيان العربي الذي يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ من البيان لسحراً»[1].

وقد أبدع شعراء العربية في تنوّع أغراضه فترجم حياتهم وعبّر عن الحرب والسلم والشجاعة والمديح والرثاء والهجاء حتى قالوا: «الشعر ديوان العرب».

وهذه مجموعة من الشعراء الذين أنشدوا في الإمام أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام ..

*** *** ***

(١) - آية الله العظمى الإمام السيد محمد الشيرازي قدس سره[2]

تقبّل ثنائي

حسن المجتبى تقبّل ثنائي ... ومديحي يا سيداً ذا العلاء

أنت ريحانة الرسول وسبط ... وحفيد لخاتم الأنبياء

---

(١) وسائل الشيعة: الحر العاملي، ج٧/ص٤٠٤.

(٢) ولد الإمام الشيرازي عام ١٣٤٧هـ في النجف الأشرف، وهاجر إلى كربلاء المقدسة بصحبة والده قدس سره، وقد تلقى العلوم الدينية على يد كبار العلماء والمراجع في الحوزة العلمية بكربلاء المقدسة حتى بلغ درجة الاجتهاد ولما يبلغ العشرين. وقد واصل تدريسه للخارج لأكثر من أربعين عاماً في كربلاء المقدسة والكويت وقم ومشهد المقدستين، وكان يحضر درسه ما يقارب الخمسمائة من العلماء والفضلاء، حتى عام ١٤١٦ هـ، كما بدأ بتأليف (موسوعة الفقه) وهو في الخامسة والعشرين.

تـه جـلالا وسـؤدداً واعتـزازاً ببتـــول وســـيد الأوصـــياء
كفّه البحر حين يعطي ولكـن من عطايـا البيضـاء والصـفراء
علمه الغيث حين يهطل وبـلا فتـرى منـه خضـرة الصـحراء
حلمـه الطـود راسـياً مسـتقراً لا تثنّيـــه عاصـــفات الهـــواء
نطقه العذب كـالزلال ارتشـافاً يتلقّـــاه مـــن صـــغى، بهنـــاء
جاهـد المـارقين والقاسـطينا والأولى ينكثون حـين الوفـاء
خلقة، مـا أجـلّ مـن قـد بـراه فـــي جمـــال، وهيبـــة، وبهـــاء
خلقة كالنسيم عنـد مهـب الــ ــفجر صبح الربيـع بالأشـذاء
هو مولى علـى جميـع البرايـا قام أم لـم يقـم، بـوحي السـماء

وفي رثائه عليه السلام يقول السيد محمد الشيرازي قدس سره :

أنجبته أعاظم الكرماء

جرعتــه يـــد الزمـــان مـــراراً أكؤساً ملؤها زعـاف وعلقـم
فـابن هنـد عليـه جـرّ جيوشـاً وأقـاموا عليـه أخبـث ملحـم
طعنتـــه بخنجـــر يـــد بغـــي إذ لساباط حينمـا كـان أقـدم
وعلـى رجلـه أمـال عصـاه موصـلي أثـيم أعمـى ملـثّم
نهبـوا ثقلـه واردوه فـي الــ أرض وما في أولئكم من ترحّم
ســـــلبوه عمامـــــة ورداءاً حسبوه من بغيهم خيـر مغـنم
نافقـت صـحبه عليـه وسـبو ه عنـاداً بالنصـح اذ مـا تكلّـم
يـا لـه الله حـين سيطر حـرب ولسبّ الوصـي، حقـداً تقـدّم
ابن هند الوضيع، حـين تـولى شيعة الطهر، قـد أبـاد وأعـدم

وأخيراً جعيدة أردت الطهر بكأس رافت بشيء من السمّ
مرّقت قلبه المبارك إرباً حينذاك الإمام استفرغ الدم

*** *** ***

(٢) - الشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي[1]

إمام الهدى

علـى حُـبِّكُمْ يـا آلَ بيـتِ محمـدٍ تَرَعرَعتُ في مَهـدِ الطّفولـةِ ناشِيا
وعندِيَ مِنْ وَحيِ الوَلاءِ عواطِفٌ عَرَفـتُ بهـا حُبِّـي لكُـمْ ووِلائِيـا
صَهَرتُ بها رُوحي هُدىً وعقيـدةً وأ فعَمـتُ بالإيمـانِ مِنهـا فُؤاديـا
فـؤادٌ بكُـمْ غـالى هَـوىً وصَـبابَةً فأصـبحَ فـيكُمْ مُغرَمـاً مُتفانِيـا
أُغذّيـهِ عَـذباً مِـن غَـديرِ وَلائِكُـمْ يَعُـبُّ بـه عَبّـاً ويَصـدُرُ ظاميـا
وأعجَـبُ مـن قلـبٍ يعُـبُّ معينَـهُ ويَصـدُرُ ريّانـاً مـن الحُـبِّ راويـا

[1] ولد الشيخ عبد المنعم الفرطوسي عام ١٩١٧م بقرية من قرى (قضاء المَجر الكبير) بمحافظة العِمارة (ميسان) في العراق، وبعد ولادته عاد به والدُه إلى النجف الأشرف، ولما بلغ عمرُه اثني عشرَ عاماً فُجِعَ بوفاة والده، فتكفله عمُّه الشيخ علي وأولاه عنايته، وفي الخامسة عشرة من عمره لبس العمامة البيضاء وبدأ بدراسة علم النحو والصرف، والعُرُوض والمَعَاني، والبَيَان والمَنطِق، ثم الفِقه والأصُول، حتّى أتقنها جميعها، ثم اتجه الى البحث الخارج في الفقه والأُصول على يد السيد أبو الحسن الأصفهاني والسيد مُحسن الحكيم والسيد أبو القاسم الخوئي ولم يُتم درجة الاجتهاد بل اتجه الى نظم ملحمة أهل البيت عليهم السلام، التجأ الشيخ الفرطوسي الى أبو ظبي وتُوُفي فيها سنة ١٩٨٤م ودفن في النجف. للشيخ عبد المنعم الفرطوسي ملحمةُ في أهل البيت عليهم السلام، وعددُ أبياتها يتجاوز الأربعين ألف بيتاً وهي من بحر واحد وهو بحر الخفيف وقافيةٍ واحده وهي الهمزة المكسورة وقد طبعت في ثمانية أجزاء، وفيها يبتدأُ بصفات الله سبحانه وتعالى، ثم العقائدِ كأصول الدين وفروعه والحشر والنشور، ثم علوم القرآن وقصة الإسلام من هجرة النبي وغزواته وبيعة الغدير والانقلاب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله ومظلومية فاطمة الزهراء عليها السلام، ثم عقيدة الإمامة ووقعة الطف وغيرها.

**

سَمَوتُ بفِكريْ فالتقطتُ الدَّراريا ونسَّقتُها في سِلكِ شِعريْ قَوافيا
وقَطعتُ أوتارَ الفُؤادِ نوابِضاً ولطفتُها حتى استحالتْ أغانيا
وأسرَجتُ من رُوحي ذُبالَ عواطفٍ أطلّتْ على الدنيا شُموعاً زواهِيا
هُنالِك بعثرتُ الدراريْ فتارةً أُرصِّعُ ثغرَ الدَّهرِ فيها أمانيا
وطوراً أزُفُّ العاطِفاتِ عرائِساً وأجعلها بِإْسمِ الوَلاءِ نَثاريا
ورُحتُ لهاتيكَ الأغاريدِ مِن فمي وقد عطرَتْهُ مِن شَذاها غَواليا
أُوقعُها لحناً مِنَ القلبِ خالِصاً وأسكُبُها راحاً من الحُبِّ صافيا
وأنثرُها في مولدِ السبطِ بهجةً لَآلِيءَ أفراحٍ تنيرُ اللياليا
أزُفُّ بها للمرتضى خالِصَ الوَلا وأحمِلُ للزَّهراءِ فيها التهانيا

**

تفتَّحتِ الأكمامُ عن كُلِّ مبسَمٍ يُعَطرُ بالأنفاس حتى الأقاحيا
وأشرقتِ الأضواءُ من كلِّ بسمةٍ تُلاطِفُ بالبُشرى الضّحى المتهاديا
ورفرفتِ الآمالُ فوقَ خمائلٍ مِنَ النَّفسِ أضحتْ للأمانِيْ مَراعيا
وأسفرتِ الأستارُ عن كُلِّ جَلوةٍ لِبكرٍ من الأشعارِ تسبي الغوانيا
وسادَ الهَنا حتى اكتسى أُفقُ السما ووجهُ الثرى بَرداً من اللطفِ ضافيا
وأزهرتِ الدُّنيا بنورٍ مبارَكٍ أطلَّ عليها بالبَشائِرِ زاهيا
تلألأَ في بيتِ النّبوةِ مُشرقاً مِنَ الحَسَنِ الزاكي ينيرُ الدياجيا
إمامُ الهُدى مِن ذِروةِ العَرشِ نورُهُ تنزَّلَ كالقُرآنِ بالحقِّ هاديا

*** *** ***

(٣) - الشيخ نجم الدين البغدادي[١]

الحسن الطهر

وإنـي لتهـديني الـى الربـع نفحـة سرت من معاني تـربهم ولهـا سـر
ونور الامام الحيدري الذي عنـت لغرتـه الشـمس المُنيـرة والبـدر
وريحانه كم شـمها الطهر أحمـد ففاح به مـن طيـب عنصـره النشـر
لـه الشـبه السـامي بنصـف محمـد وفـاز بباقيـه الفتـى الحسـن الطهـر
همـا أقسـما شـبه الرسـول وراثـة وناهيك من فخر يـدين لـه الفخـر
همـا نقطتـا يـاء النبـي فطالمـا من المصطفى المختار ضمهما الصـدر
همـا قرتـا عـين البتـول وحيـدر فيا عجباً هل كيف غالهمـا الـدهر
همـا نيـرا مجـد وعلـم وسـيدا شباب جنان الخلد فيما أتى الـذكر
همـا بطـلا حـرب وليثـا بسـالة وغيثا نـدى جـود إذا بخـل القطـر
همـا بحـر علـم إن وردت مياهـه رويت وفي كفيك مـن فضـله در

❊❊

ألا يا حسين السبط يا ابـن محمـد ومن قد سما في العالمين لـه قـدر
مصـابك قـد أولـى الوجـود كآبـة مدى الدهر لا تفنى وإن فنـي الـدهر
ففـي كـل قلـب منـه نـار تـوهج وفي كل صدر مـن تأججهـا حـر
وجود بكى لما سقطت على الثرى إلى الآن لم تنزف لمدمعه الغـدر
لـئن بكـت الاجفـان مـاء لفقـده فتلـك عيـون الافـق أدمعهـا حمـر

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

---

[١] الفقيه نجم الدين البغدادي الشافعي الاديب الملقّب بالعشاري المتوفى سنة ١١٩٥ هجرية.

(٤) - الشيخ هادي كاشف الغطاء[1]:

خير الورى

إن الامـــام الحســـن المهـــذّبا خيــر الــورى جــداً وأمــاً وأبــا
كــريم أهــل البيــت أهــل الكــرم علــيهم بعـــد الصـــلاة ســـلم
كنيتـــه الغـــر أبـــو محمـــد وأمـــه الزهـــراء بنـــت أحمـــد
ســماه جــده النبــي المصــطفى وعـــق عنـــه وكفـــاه شـــرفا
ألقابـــه الســـيد والزكـــي والســـبط والطيـــب والتقـــي
كــان جميــل الوجــه جعــد الشــعر مــا فيــه مــن طــول ولا مــن قصــر
طلــق المحيــا أدعجــاً ذا وفــره أبــيض لــون مشــرباً بحمــره
أزج أقنــى الأنــف كــث الشــعر وطلعـــة مشـــرقة كـــالقمر
أشـــبه جـــده النبـــي أحمـــدا خَلْقــاً وخُلقــاً وحجــى وســؤددا
أنفــق مــرتين كــل مــا ملــك لله مــا أبقــى لــه ومــا تــرك
وقاســـم الله ثلاثـــاً مالـــهُ ولــم يخيــب مــن جــدى آمالــه
وكـــان شـــهماً صـــابراً حليمـــا وســـيداً ومصـــلحاً عظيمـــا
مولـــده أعـــلا الالـــه ذكـــره فــي ســنة اثنتــين بعــد الهجــرة
قضـــى شـــهيداً ســـنة الخمســـين أو ســـنة التســـع وأربعـــين

*** *** ***

[1] الفقيه الامامي الشيخ هادي كاشف الغطاء مؤلف كتاب (أوجز الأنباء في المقتل الحسيني)، وكتاب (مستدرك نهج البلاغة)، وكتاب (البرهان المبين فيمن يجب إتباعه من النبيين). وننتقل الى الشيخ العالم الأديب هادي كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٦٠ للهجرة ففي إرجوزته هذه يمدح فيها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

(٥) - الشيخ محمد حسين الأصفهاني[١]

المدائح الحسنية

نور الهدى:

نور الهدى من أفق الحقّ بدا فاشرقت به معالم الهدى
والنّيّر الاعظم نوره خبا مذ اشرق الكون بنور المجتبى
وكيف لا ونور وجهه المضيء زيتونة يكاد زيتها يضيء
والمثل الاعلى لنور النّور فليس اجلى منه في الظّهور
ونوره القاهر للأنوار يكاد ان يذهب بالابصار
وادي طوى بنوره استنارا ومنه آنس الكليم ناراً
ومن سناه خرّ موسى صعقاً واندكّ منه الطّور لما اشرقا
كيف وهذا النّيّر الالهي مثال من ليس له التّناهي
وذاته لطيفة قدسيّة رقيقة الحقائق العلويّة
وما الحروف العاليات إلا اسمائه الغرّ اذا تجلّى
إذ هو رمز الغيب والشهود فاتحة الكتاب في الوجود

---

[١] ولد في ٢/محرم/١٢٩٦هـ في اصفهان، اضافة الى اجتهاده وتبحره بعلوم الفقه والاصول والتفسير كان آية في العلم والفقاهة والاجتهاد، انتقل الى رحمته تعالى في ٥/ذي الحجة/١٣٦١هـ في النجف الاشرف، على اثر جلطة قلبية ألمّت به وكان نائماً، وبوفاته فقدت الحوزة العلمية ركناً قويماً من أركانها. قال فيه العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي: كان المرحوم الشيخ الأصفهاني رجلاً بمعنى الكلمة، جمع بين العلم والعمل، وبين الذوق والتقوى، وكان صاحب طباع حميدة وكلام جميل، وله ديوان شعر احتوى على اغراض الشعر المختلفة، ومؤلفاته كثيرة ومعروفة بين أوساط العلماء، حتى اعتبروها من مستلزمات حياتهم العلمية والأدبية.

بـــل ذاتـــه نقطـــة بـــاء البســـملة ومجمـــل الحقـــائق المفصّـــلة

موقفه من الكيان العالمي:

اصـــل الوجـــود غايـــة الايجـــاد جـــلّ عـــن الاشـــباه والانـــداد
بـــل هـــو فـــي مقامـــه الكـــريم رابطـــة الحـــادث والقـــديم
وفـــي محـــيط الكـــون والمكـــان واســـطة الوجـــوب والامكـــان
ومبـــدء الخيـــر ومنتهـــى الكـــرم ومصدر الوجود مـن كـتم العـدم
ســرّ الوجـــود فـــي محيّـــاه علـــن فـــثمّ وجـــه الله وجهـــه الحســـن
غرّتـــــه مطلـــــع انـــــوار الازل فـــلا يـــزال نورهـــا ولـــم يـــزل
وفـــي مظـــاهر الوجـــود لـــن تـــرى اعظـــم منـــه مظهـــراً ومنظـــراً
أعظـــم مظهـــر لأجلـــى ظـــاهر بـــه ظهـــور ســـائر المظـــاهر

ووالد وما ولد:

يهنيـــك يـــا ابـــا الـــولاة السّـــادة وقـــادة الخلـــق الـــى السَّـــعادة
بمـــن تســـامى شـــرفاً ومجـــداً أخـــاً وأمّـــاً وأبـــاً وجـــدّاً
ريحانـــة الطّهـــر وروح الطـــاهرة قلب الهدى عقل العقـول القـاهرة
انســـان عـــين عـــالم الامكـــان وبهجـــة الزّمـــان والمكـــان
جـــامع شـــمل الحـــقّ والحقيقـــة والفـــرد فـــي الخلقـــة والخليقـــة
وارث سـّيد الوجـــود مـــن دنـــى مـــن ربّـــه فنـــال غايـــة المنـــى
فـــاز وجـــاز مـــن مقـــام العظمـــة كـــلّ فضـــيلة وكـــلّ مكرمـــة
بـــل هـــو منـــه مثـــل نـــور الباصـــرة وعـــن معاليـــه المعـــاني قاصـــرة
بـــاب الهـــدى وبيتـــه المعمـــور مـــن بســـناه ينجلـــي الـــدّيجور

قبلــــة كـــلّ عـــارف ربّـــاني ومســـتجار كعبـــة الامـــاني
وبيتــه المنيــع محــور الفلــك وبابــه الرَّفيــع مركــز الملــك
ما العرش ما الكرسيُّ ما الضُّراح ببابـــه النَّجـــاج والفـــلاح
بـل هـو بـاب حطّـة الـذَّنوب وعنـــده مفـــاتح الغيـــوب
بـاب جوامـع العلـوم والحكـم بـاب التجليـات بـالمجلي الاتـمّ
ينـــاه بـــالحق يـــد التأييـــد علـى اساس العـدل والتّوحيـد

البشرى:

بشـــراك يـــا حقيقـــة المثـــاني بواحـــد الـــدّهر بغيـــر ثـــاني
بالحســـن المنطـــق والبيـــان ومـــن حـــوى بـــدايع المعـــاني
مـــن اجتبـــاه ربُّـــه وائتمنـــه ســـبحان مـــن ابدعـــه واتقنـــه
واصــله مؤصِّـــل الاصـــول وفرعـــه جـــواهر العقـــول
وآيــة النُّــور جمــال غرّتــه وجنَّــة الخلــد مثــال وجنتــه
لســـان صـــدقه بكّـــل قيـــل حقّـــاً وصـــدقاً منيـــة الخليـــل
وروضـة الـدّين بوجهـه الحسـن قطوفهـــا دانيـــة مـــدى الـــزّمن
زكــت ثمــار العلــم بــالزَّكيِّ اكـــرم بهـــذا الثَّمـــر الجنـــيِّ
واهتـزَّت السَّـبع العلـى لمولـده وطابـت الارض بطيـب محتـده

التَّهنئة والفضائل:

لـــك الهنـــا بالسَّـــيِّد المطـــاع يـا ليـث غـاب عـالم الابـداع
سّـــماه سِّـــيد البرايـــا سّـــيداً كفـاه فضـلاً لـو نظـرت جيّـداً
فهـــو لـــه السُّـــمو والسِّـــيادة فـي ملكـوت الغيـب والشَّـهادة

اعطــاه جــدُّه نبــيُّ الرَّحمــة ســوودده وعلمــه وحلمــه
من رشحات بحر علمه الخضمَّ جـرت ينـابيع العلـوم والحكـم
هــو الكتــاب المحكــم المبــين فــي لوحــه التَّشــريع والتَّكــوين
بــامره جــرى بمــا جــرى القلــم والامــر منــه امــر بــاريء النَّســم

التَّسليم والرِّضا:

وحلمــه لــه المقــام السّــامي في حلمه ضلَّت اولـوا الاحـلام
وســلمه فــي موقــع التّســليم مــن نفحــات قلبــه السِّــليم
رضــاه فيمــا كــان للّــه رضــا قضــى علــى حقوقــه بمــا قضــى
وصــبره العظــيم فــي الهزائــز يكــاد ان يلحــق بالمعــاجز
مــن حلمــه اصــابه مــن الــبلا مــالا تطيقــه السَّــموات العلــى
تبَّــت يــدا آكلــة الاكبــاد اتــت بــرأس البغــي والفســاد
اتت بمن لا تكشف النِّساء عن اخبــث منــه فــي الشّــقاء والاحــن
مــا لابــن هنــد لا ابــاً لــه ابــى ولايــة الامــر لأصــحاب العبــا
فاشــهر الحــرب علــى الله العلــيِّ مذ حارب الوصيَّ بالنَّصِّ الجلي
وســنَّ ســبَّ ســيدٍ الاكــابر بغيــاً علــى الله علــى المنــابر
وبعــده عــدا عنــاداً واعتــدى علــى ســليله ســلالة الهــدى
فاســتلب الامــرة بالتّســويل عــن اهــل بيــت الــوحي والتَّنزيــل
كيــف يليــق الــرِّجس بالإمــارة دون ســليل القــدس والطّهــارة
فــلا وربّ العــرش لا يليــق بمنصــب الامامــة الطّليــق
لكنَّــه ريــب الزَّمــان ذو غيــر ســاعده الغــدر عليــه والقــدر

فانتشــر الشّــرُّ وشــاع المنكــر ولــيس للمعــروف اسـم يــذكر
وكم وكم من حرمات هتكت ومـن دمـاء زاكيـات سـفكت
ومـا جـرى منـه علـى الامـام تنكــل عنــه الســن الاقــلام
وكم وكم منه تجرَّع الغصص... وجرعـة السّـم اخيـرة القصـص
وكــان ســهمه عقيـب رحلتــه ســهام بغــيهم وعتــك حرمتــه

المدفن القدسيُّ:

أيمنــع الحبيــب عــن حبيبــه ظلمــاً ولا مــانع عــن رقيبــه
أيســتباح قربــه لصــاحبه ويحــرم الاقــرب مــن اقاربــه
ايحـرم الزَّكـي عـن قـرب النَّبـيَّ وســاغ قربــه لــرجس اجنبــيٍّ
يـا ويـل مـروان وويـل عايشـة لقــد تحمَّــلا خطايــا فاحشــةً
مــا راقبــوا النَّبــي فــي قربــاه بعــداً لمــن ابعــد مجتبــاه
ومـا رمـوه اذ رمـوه بـل رمـى مـن كـان اشـقى مـنهم واظلمـا
لهفــي لآل المصـطفى الا ماجـد رمــاهم الكــلُّ بقــوس واحــد
قوس الالى وهل ترى من الالى مــن وتــر النبــي فــيهم أولا
اولئــك الــذين عمــداً كفــروا بــربّهم فبّــدلوا او غيّــروا
هــم اسَّســوا السـقيفة السَـخيفة ظلمــاً ومــا ادراك مــا السّـقيفة
بنــاء غــدر بيــد محتالــة علـى اسـاس الكفـر والضّـلالة
قضت على الدّين الحنيف والهدى بضــربة لابــدَّ منهــا أبــدا
قضــت علــى الشّـريعة الغّــراء فاســودَّ منهــا افــق السَّــماء
قضــت بجورهــا علــى الكتــاب فغيبتــه عــن اولــى الالبــاب

قضـت علـى سـنَّة سـيِّد الـورى فاصبحت الى الـورى كمـا تـرى
قضـت علـى المنبـر والمحـراب فاصـــبحا غنيمـــة الاذنـــاب
قضـت علـى ليـوث آل غالـب فاصـــبحت فريســـة الثَّعالـــب
قضـت علـى كفيـل اهـل الـدّين فاقعدتـــه حجـــرة الظّنـــين
قضـت علـى العلـم بسـدٍّ بابـه فـــآل امـــره الـــى خرابـــه
قضـت علـى الامـرة والولايـة فـــثمَّ لفّـــت رايـــة الهدايـــة
قضت على حقوق آل المصطفى بكـلّ مـا امكنهـا مـن الجفـا
فيالهـــا مـــن فتنـــة مضـــلّة مبـــدء كـــلّ عثـــرة وزلّـــة
لقـد اضـاعوا شـرف الخلافـة بعقـــدها لابـــن ابـــي قحافـــة
تـــالله مـــا اظّلـــت السّـــقيفة يومـــاً علـــى انـــتن منـــه جيفـــة
وهـــو بمعـــزل عـــن الامـــارة لـــولا اتبـــاع نفســـه الامّـــارة
وقـــد رأى بيعتـــه المشـــومة الســـامريُّ فلتـــة مذمومـــة
وهـو مـن العجـل اخـسُّ منزلـةً فانّـــه عجـــل ولا خـــوار لـــه
واعجبـــا أبـــالعتيق يقتـــدى ويتـــرك الحـــقّ واهلـــه ســـدى
تعسـاً لهـم فمـا عـدا ممـا بـدا حتـى تـواردوا علـى ورد الـرّدى

*** *** ***

(٦) - الشاعر الإربلي[١]

ابن الأكرمين

أيـا بـن الأكـرمين أقـل عثـاري فتقصـيري علـى الحـالات بـاد

---

[١] علي بن عيسى بن أبي الفتح الاربلي: المتوفى عام ٦٩٣هـ.

وكيـف أطيـق أن أحصـي مزايـا ... خصصـت بهـن مـن بـين العبـاد
لـك الشـرف الـذي فـاق البرايـا ... وجـلَّ عـلا علـى السـبع الشـداد
سبقت الى المفاخر والسجايا الـ ... ـكريمة والنـدى سـبق الجـواد
وجـود يـديك يقصـر عـن مـداه ... إذا عـدّ النـدى صـوب الغـوادي
وبيتـك فـي العلـى سـامٍ رحيـب ... بعيـد الـذكر مرتفـع العمـاد
أبوك شـأن الـورى شـرفا ومجـدا ... فأمسـى فـي العلـى وارى الزنـاد
وجـدّك أكـرم الثقلـين طـرّاً ... أقـرّ بفضـله حتـى الأعـادي

*** *** ***

(٧) - الشاعر ابن هانئ الأندلسي[١]

معدن التّقديس

هـو علـة الـدنيا ومـن خلقـت لـه ... ولعلّـة مـا كانـت الأشـياء
من صفو ماء الوحي وهو مجاجـة ... مـن حوضـه الينبـوع وهـو شـفاء
من ايكة الفردوس حيث تفتّقت ... ثمراتهـا وتفيّـأ الأفيـاء
من شعلة القبس التي عرضت على ... موسـى وقـد حـارت بـه الظلمـاء
من معـدن التقـديس وهـو سـلالة ... من جوهر الملكوت وهـو ضـياء
هـذا الـذي عطفـت عليـه مكّـة ... وشـعاها والـركن والبطحـاء
فعليـه مـن سـيما النبـي دلالـة ... وعليـه مـن نـور الإلـه بهـاء

*** *** ***

---

[١] ابن هانئ الأندلسي (٣٢٦-٣٦٢هـ/٩٣٨-٩٧٣م): محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسي، أبو القاسم يتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة. أشعر المغاربة على الإطلاق وهو عندهم كالمتنبي عند أهل المشرق، وكانا متعاصرين. ولد بإشبيلية.

(٨) - رثاء الإمام الحسين عليه السلام له

أنت بعيد والمزار قريب

أأدهن رأسي أم تطيب مجالسي ... ورأسك معفور وأنت سليب
أو استمتع الدنيا لشيء أحبّه ... ألا كل ما أدنى اليك حبيب
فلا زلت ابكي ما تغنّت حمامة ... عليك وما هبَّت صبا وجنوب
وما هملت عيني من الدمع قطرة ... وما اخضر في دوح الحجاز قضيب
بكائي طويل والدموع غزيرة ... وأنت بعيد والمزار قريب
غريب واطراف البيوت تحوطه ... ألا كل من تحت التراب غريب
ولا يفرح الباقي خلاف الذي مضى ... وكلّ فتى للموت فيه نصيب
فليس حريبا من اصيب بماله ... ولكن من وارى أخاه حريب

*** *** ***

(٩) - الشيخ محمد علي الأعسم[1]

لوعة الزهراء عليها السلام

ما كان أعظم لوعة الزهراء ... فيما به فجعت من الأرزاء
كم جرّعت بعد النبي بولدها ... غصصا لما نالوا من الأعداء
ما بين مقتول بأسياف العدا ... دامي الوريد مرضض الأعضاء

---

[1] الشيخ محمد علي الأعسم: المتولد في النجف عام ١١٥٤هـ تقريباً وهو ابن الشيخ حسين ابن الشيخ محمد الزبيدي النجفي. توفي سنة ١٢٣٣ في النجف الأشرف ودفن في المقبرة التي تنسب إليهم في الصحن الشريف المرتضوي. وآل الأعسم أسره نجفية كبيرة عريقة في العلم والفضل والأدب، أصلها من الحجاز من نواحي المدينة المنورة وجاء جدهم الأعلى إلى النجف الأشرف وتوطنها، كان الشيخ الأعسم عالماً فاضلاً فقيهاً ناسكاً أديباً شاعراً له ديوان شعر وله مراث كثيرة في الحسين ٧ ومدائح في أهل البيت وبعضه في أستاذه بحر العلوم. له منظومة في الرضاع وأخرى في المواريث وثالثة في العدد ورابعة في تقدير دية القتل وخامسة في آداب الطعام والشراب المستفادة من الأخبار.

ظمآن ما بلَّ الغليل وشارب سمّاً يقطع منه في الأمعاء
بأبي الذي أمسى يكابد علة ما ان يعالج داءها بدواء
ما ان ذكرت مصابه إلا جرت عيني وشبّ النار في احشائي
ولأن بكت عيني ببيض مدامع فيحق أن تبكي بحمر دماء
لم أنسه في النعش محمولاً وقد بدت الشماتة من بني الطلقاء
وأتوا به كيما يجدد عهده بأبيه أحمد أشرف الآباء
شكّوا بأسهم حقدهم اكفانه وأبوه ان يدني أشدَّ اباء
أو كان يرضي المصطفى ان ابنه يُقصى وأن يدنى البعيد النائي
لهفي على الحسن الزكي المجتبى سبط النبي سلالة النجباء
قاسى شدائد لا أراها دون ما قاسى أخوه سيد الشهداء
ما بين أعداء يرون قتاله وبشيعة ليسوا بأهل وفاء
حتى أصيب بخنجر في فخذه وجراحه بلغت الى الأحشاء

*** *** ***

(١٠) - الشيخ نزار سنبل[١]

قراءات في وادي السنا

قرأتُ حبّك منقوشاً على اُفقٍ تضجّ فيه دموعُ الورد والشفقِ

---

[١] هو: الفاضل والشاعر الشيخ نزار بن محمد شوقي بن عبد الرزاق بن الشيخ بدر آل سنبل، ولد سنة ١٣٨٥هـ في الجش، القطيف، التحق بالحوزة العلمية بعد إنهائه شطراً من الدراسة الأكاديمية سنة ١٤٠١هـ ودرس في القطيف والنجف الأشرف وأخيراً في قم المقدسة حيث يحضر الآن البحث الخارج، ومن نتاجه الأدبي: ١- ديوان شعر. ٢- أهل البيت في الشعر القطيفي المعاصر. ٣- رواية عندما يُرفع الستار (عقائدية)، كما نُشرت له بعض القصائد في مجلتي الموسم والتوحيد، ومن نتاجه العلمي ٤- تقرير بحث الخارج فقهاً وأُصولاً لبعض الأساتذة الأعلام، وله أيضاً مشاركة في النوادي الأدبية والثقافية.

قـرأت فيـه حيـاتي كـلّ دائرتـي ... ففـي الفـؤاد حكايـا آخـر الرّمـق
وخاطبـتْ لغتـي أقـلامَ محبرتـي: ... هوى المحبّين حرفٌ من دم الحَدَق
تذوب كلّ لغات الزهر حين هوت ... على يديه طيور العشق فاحترقي

* * *

قـرأتُ فجـركَ يـا أحـلام قـافيتي ... فأُلهبـت فـي دمـي أثوابُـه الخضـرُ
وكـان يشـرق مـلء الأرض هالتُـه ... يضـيء يبسـم لكـنّ المـدى جَمُـر
يسـلّ مـن وجـع العشّـاق إبرتـه ... فتنطفـي الـروح والأحـلام والكِبَـر
ومـا تعـوّد أو ألقـاه مُنكسـراً ... حتـى تكسَّـر فـي شـطآنه البحـر

* * *

قـرأتُ ليلـك مشـدوهاً علـى سـفرٍ ... تـئنُّ فيـه حكايـا الـدّمع والسـهرِ
رأيـتُ روحـاً تمـدّ الكـون سـابحةً ... تشـدّ خـيط شـعاع الشـمس بـالقمر
رأيـتُ ظـلاًّ شـفافيّ الـرؤى أَلِقـاً ... يـرشُّ أفنيـةَ الأيـام بـالزّهر
رأيـتُ شـيئاً ومـا أدركـتُ صـورته ... وحسبُ روحي أن تفنى على قَدَر

* * *

قـرأتُ عصـرك أصـناماً مُحنّطـةً ... وسُـجَّداً حولهـا تبكـي بـلا أمـل
تعثّرت في كهوف الليل وانطفأت ... حتى الشموع التي ترنو على خجل
وكنتَ تلمح خلف الغيب قاحلة ... تذيب كـل معـاني الـوحي والمُثـل
وكانت الفأس في كفيك غاضبةً ... فحطّمـتْ كـلّ مجـد صيغ بالحيـل
وإن سعيت إلى الجلّى بلا وجل ... فإنَّ رُوحك من روح الإمام علي

* * *

قرأتُ كلّ دوالي الورد بوحَ مُنى وصرتُ أقطفُ من ثدي النخيل جَنى
وصغت من ولهي أُنشودة رُسِمَتْ على دروب الحيارى التائهين سَنا
وناغمت بسماتُ الطير ساقيتي فرفَّ من حُلُمِ الواحات ما سَكنا
وما تحيّرت في حسن أبادله حلو الأحاديث إلاّ الوحي والحَسَنا

* * *

(١١) - **الشيخ قاسم آل قاسم**(١)

سمات البقيع

إذا شئتَ أن تقرأ الوحي، أن تكتب الوحي، أو أن تقولْ...
فلا بد أن تستشفّ البقيع لتصبح وحياً وتصبح بعض معاني الرسول
إذا شئت أن ترسم النور أو تنحت النور... فارحل مع الشّمس.
لا تنتظر أن تضيق دائرة الأُفقِ
فكم ألّم العاشقين الأُفولْ.
إذا شئت أن تسمع الوحي لا تخش أن تدع الناس تغرقُ نحو السّماء
تطرق أبوابها وحلّق إلى الأرض خلف البقيع..
ولا تنسَ أن تطرق الباب كما كان يطرقه جبرئيل.
وقف خاشعاً خلف أعتابه واطرقِ.. وإن شئت فاجثُ على الأرضِ

(١) هو: الشاعر الفاضل الشيخ قاسم بن عبد الشهيد بن علي آل قاسم، ولد في القديح ـ القطيف سنة ١٣٨٢هـ، حاز على الشهادة الثانوية العامة (القسم العلمي) وإبتدأ دراسته الحوزوية في القطيف عام ١٤٠٧هـ ثم غادرها إلى قم المقدسة عام ١٤١٢هـ حيث يحضر الآن مرحلة البحث الخارج، ومن نتاجه الأدبي: ١- ديوان شعر (مخطوط)، ومن نتاجه العلمي: ٢- بحث في نشأة اللغة وحقيقة الوضع، وله مشاركة في النوادي الثقافية والدينية.

كي تستعير من الزغب، زغبَ الملائكِ شيئاً لترسم وجه (الحسن)
ولن تستطيع
لأنّك حين تحاول أن ترسم بعض معانيه يسمو، لأنّ (الحسنْ)
فوق ضيق المسافات فوق الزمن
ولن تستطيع
لأنّك حين استضفت القوافي وقاموسك الأبجديّ
حكمتَ بأنّ على الفن أن يتنازل عن عرشه
ليسجن بين زواياك بين حدود القلمْ
وحتى لو انّ رؤاك خيال السماوات لن تستطيع
لأنّ الذي دونه حسن والذي تبتغيه (الحسنْ)
وكل الذي ها هنا هو منه، لذاك أبى القوم تشييعه ونفوا نعشَهُ
وظنّوا بأنَّ ثراه يضيع.
وما علموا أن بُردته ستكون (البقيعْ)
وما علموا أنّه توشك الأرض تنشق عن مثلِهِ
ألف جيل ويأتي يصلّي على قبره جبرئيلْ
لأنّ التراب ارتوى عبق الوحي منه،
وفي كل شبر من الأرض كل التراب يحدِّث عنه
فيا قومنا: حطّموا المئذنهْ، أزيلوا القبابْ
فلا تستطيعون محو التراب ولا تقدرون بأن تخرسوا ألسُنَهْ
لكيلا يكون الحسن:

عليكم بان تذبحوا كل فنٍّ، وأن تحرقوا كلّ وجه جميلْ
عليكم بأن تنحروا الفجر كي يتمزّق وجه الأصيل
أن تقطعوا سعفات النخيل، أن تطفئوا الشمس حتى يموت النهار
أن تصنعوا من وجوهِ اُميّة اشرعةً مشوّهةً تصادر لون البحارْ
لكيلا يكون الحسنْ
عليكم بأن توقفوا عجلات الزّمنْ، لئلاّ يجيء الربيع
فتبدو على كلّ زهرة روض سمات البقيع ووجه الحسنْ
أيا وهجاً من عيون البتول، ويا لونَ بسمتها والضحيّة
ويا لحن إيقاعها حين تخطو تحاكي الرسول
ويا عرفها إذ تدير الرّحى، ويا رجع أنغامها والصدى
منحتَ السحابَ الندى، فعاش على راحتيك الربيع
فهل يا ترى يحتويك البقيع؟!
مساكينُ أعداؤك الواهمون
إنّك بين الزوايا بلاك الكفن
وما علموا أنّ في كل شبر صداكَ، وفي كلّ ذرّة رمل وطنْ
فإن أوصدوا باب أرض البقيعْ
فما أوصدوا بابَ روح الحسنْ

*** *** ***

(١٢) - الأستاذ معروف عبد المجيد[1]

كبد وجراحك الخضراء

لا تقترب يا نجمُ، وابق هناك محجوباً بأسداف الزمن
لا تحرق الدنيا بطلعتكَ الوضيئةِ حين تولَدُ..
فالظلام يلوك فاكهة الخلودِ
وألفُ عاصفة تهبُّ وتكسر الأمواج والقمر المعلّق في الصواري المائساتِ
وتستبيح البسمة الحسناءَ في ثغر السُفنْ
لا تدنُ من أرض يلذُّ لها الهجوعُ، وتستكين ذليلةً..
فوق التواريخ الكسيحةِ والمرايا السودِ والحمّى.. وأكتاف المحنْ..!
وانظر إلى هذا الوجودِ تجده قفراً، لا تداعبه النسائم والخزامى..
والرياحين الطريّةُ والبحيرات العِذاب، ومهرجان الطير والروضُ الأغنّْ!
واربأ بهامتك الكريمة عن عوالمنا الذميمة.. إذْ هَوَتْ مزقاً محرّقةً بأخدود الفتنْ
واعبر مدارات الحياةِ
فكأس (جعدة) دائرٌ يسقي الحماماتِ النبيلةَ والأحبّةَ.. والوطنْ..

---

[1] ولد في محافظة القليوبية بمصر عام ١٩٥٢م في أسرة تعتنق المذهب الشافعي. درس الآداب واللغات السامية في جامعة الأزهر في مصر، والنقوش السامية في جامعة روما في إيطاليا، والآثار الكلاسيكية اليونانية واليونانية في جامعتي زيوريخ في سويسرا و غوتنغن في ألمانيا. يجيد عدداً من اللغات الحية والقديمة. يعمل الآن في الحقل الأعلامي في الصحافة والإذاعة والتلفزيون. اعتنق مذهب أهل البيت عليهم السلام سنة ١٩٨٤م. صدر له: ١- أنا الحسين بن علي (رواية). ٢- معلقة على جدار الأهرام (شعر). ٣- أحجار لمن تهفو لها نفسي (شعر). ٤- وينصبون عندها سقيفة (شعر). ٥- أكاسيا (مجموعة قصصية). ٦- حديث الولاية ـ القسم الثاني (ترجمة).

وارحم ثكالى الخلق.. والأمل المذهّب في بطون الأُمّهاتِ
وهدأةَ الرّيف الملفّع بالطفولةِ واشتعال الشيب في رأس المُدن.
فالأرض أضعف طاقةً من أن تراك تجود بالنفس الزكيّة مرّة أُخرى
وتقتل يا حسن!!
إرفق بنا..!
فعيوننا لم تكتحل بالنور دهراً..
وتعوّدت أجفانُنا برموشها السوداءِ أن تغفو..
وتحلمَ أنّ أشواكَ الظلامِ غدت نجيمات.. وزهرا
حتى مآقينا.. ترجّح أن تشبّ الأُمنيات الزغْبُ.. في أرحامها البتراءِ جمرا
فإذا صحت.. ورأتك واقعها المضيءَ تحيَّرت..!
وهي التي لم تحتضن أهدابُها من قبل.. لألاءً.. وبدراً
حتى المآذن.. والسواقي.. والفصول الخضرُ ما عادت تؤذّنُ
أو ترشُّ على التلال ندىً وتكبيراً.. وغزلاناً وزغردة وعطرا
حتى المواسمُ.. والمواكبُ والكواكبُ
لم تعد تُضفي على الأعشاش.. والأعشاب والليل الحزينِ بشاشةً سكرى..
وإشراقاً.. وسحراً..
حتى الليالي لم تعد تنأى ليلتمس الحيارى البائسون هدىً وأسحاراً.. وفجراً.
حتى المحافلُ.. والرحيلُ الحلوُ في زهو الذُّرى والأُمسياتُ ودهشةُ الشُعراءِ
ما عادت تفيض على السهول وهودج العشاقِ وحياً.. وارتعاشاتٍ وشعراً
فإذا أتى الميلادُ يحمل للحزانى فرحةً.. ونبوءة تشدو.. وبشرى

وتفجّرت آفاق هذا الشرق نوراً

وهجُهُ:

طه، وحيدرةٌ، وزهرا..

فلتبتهج يا عمرنا الخالي من الفرحِ المجنَّحِ فهي ذكرى.. أيُّ ذكرى..!!

وتجيء تسبح في الدّماءِ وفي رؤاك الطفُّ، والعطش الرهيبُ

وشهقةُ الأطفال، والشفق النحيلْ..

وأخوك ممدودٌ على وجه الثَّرى كالكون. أضجعه الزمان على الرمال

فبدؤهُ: قِدَمُ الخليقةِ

والنهاية.. في امتداد المستحيل

وأخوك شعشعةُ النجوم على الممالكِ واشتعالاتُ التجلّي واقتدارُ الضوء..

والمشكاة.. والقنديلْ

وأخواك جمهرةٌ من الأفلاكِ ترفض أن تحطّ على الترابِ

وأن تذوب مع انطفاءات الأصيلْ

وأخوك جلجلة الفوارسِ والتماعات السيوفِ

تضنّ أن تهوي.. فيسكتها الردى

وتدوسها ضعة السنابك وانتكاساتُ الخيولْ..!

وأخوك زلزلةُ الملاحمِ وازدهاراتُ الفتوحِ وثورةُ البركان.. والغزواتُ

والفَرَسُ الأصيلْ

وأخوك خامس خمسةٍ تحت الكساءِ، الله سادسهم.. وجبرائيلْ

وأخوك جوهرةُ الإمامةِ وانفجارُ الوحي.. والقولُ الثقيلْ..

وأخوك أسفار البشارةِ و(المؤيّدُ) للمسيح وصرخةُ الشهداء في التنزيلْ
وأخوك هدهدةُ الولايةِ بين أحضان النبيِّ ومعجزات المرسلين وفلكُ نوحٍ
والأساطيرُ المجيدة، والشرائعُ، والنقوشُ..
وآية الرهبان في ديرٍ على بَرَدى وأسرارُ النبوءات الخبيئة في ضفاف النيلْ
وأخوك أحزانُ الفراتِ وولولاتُ البدو في غسق الخيام
وأنّة الأنسام في سعف النخيلْ
وأخوك أوصال النهارِ تناثرت فوق المدائن وانشطار الشمس والخطب الجليلْ
وأخوك حُرقتنا.. وآهتنا وقصّتنا التي اختزلت بها الدنيا حكاياها العجيبةَ..
فهي تقصرُ.. كي تطول..!
فأخوك عاشوراءُ والقتل المحرّمُ والدم المطلولُ والدمع الهطولُ
وأخوك راسٌ ناشرٌ حُمْرَ الجدائل
واختضاب الجرح في وجع الضفائر
والتهاب البوح في هلع الذهولْ
وأخوك أنفاسٌ.. وأوردةٌ
تمزّقها الضغائن.. والنصولُ
وأخوك عزفٌ.. كالعواصف في متاهات المدى
وأخوك نزفٌ.. كالسيول
وأخوك تقدمةٌ.. وأضحيةٌ ومذبحةٌ.. تجولْ!
وأخوك زينبُ.. والسبايا والرسالة.. والرسولْ
وأخوك مأتَمُنا الموشّح بالسوادِ تنوح فيه الحور من أزلٍ

وتندبُ فيه حواءٌ، وآمنةٌ ومريمُ، والبتولُ
وأخوك قبتنا الذبيحة في جنائز كربلاء
تمدُّ كفّيها المخضبتين بالدم للسماء
وتشتكي لله أحفاد المغولْ
وأخوك سامرّاءُ.. والأملُ المغيّبُ في الضمائر والمشاعر والعقولُ
وأخوك نكبتنا.. ومحنتنا الحبيسةُ في ذراري النسلِ جيلاً بعد جيلْ
وأخوك: أنت.. وأنتما: أنتمْ..
وأنتم كلكم حيٌّ كدفق النبض في قلب الحياة
وكلّنا.. نحن القتيلْ..!
يالي.. ويا لربابتي الرعناءِ كيف تميتني صمتاً
لتعزف ما تمنّت أن تقولْ..!!
قد كنت أرجو أن أصوغ قصيدةَ الميلادِ
في هذا المساءِ الطلقِ لكنَّ الحسين..
جراحُهُ سكنتَ فمي
فتحوّلت فيه الأغاريد البهيجة نوحةً
وتحوّل النّغم الطروبُ إلى عويل..!!
يا كلَّ آياتِ النبوّةِ والأناشيد النديّةِ في شفاه المصطفى..
يا سبطه المسمومَ.. قامَ ومزّق الأكفانَ وهو يطوف حول البيت.. متّئداً
ويسعى بين مروةَ.. والصفا
قعدوا.. ولم تقعد..!

ولكنّ الخيانةَ في (النّخيْلةِ)

وانكفاءات القبائل حمّلتك من الشدائد ما كفى..!

خذلوك، وانتهبوا المصلّى والمتاعَ ونازعوك بساطك النبويَّ

ثم تأمّلوا أن يُسلموك إلى ابن هندٍ حيلةً.. وتزلّفاً..!

غصصٌ.. على غُصصٍ..!!

وهم من جرّعوا أضعافها يوماً أباكَ.. فما احتفيت.. وما احتفى..!

طعنتكَ شرذمةُ النّفاقِ

ولو تخيّرت القتالَ

بدا من الغدر المُبيّتِ.. ما خفى!

يا عزَّ هذا الدين

كم ذُلّتْ رقابٌ خالفتكَ

وكم من الفرسان حين البأس صار مخالفاً..!

صلحٌ.. به حُقنت دماءٌ لو جرت.. لأتوا على الثقلين

موجدةً.. وحقداً تالداً.. وتعسفاً

عهدٌ.. به بيّضت وجه المسلمين

فبئس مَن جافى.. وعزّك في الخطاب وأرجفا..!

لو لم يكن نصراً.. فكيف بغى معاوية عليك وما وفى..؟!

مهَّدْتَ للثوار دربَهمُ الطَّويلَ فحمحمت خيل الحسين

وأدرك التاريخ أن النخل حين يموت من ظمأٍ يظل على الدوام مرفرفاً..

ومعانقاً هامَ السماءِ وواقفاً.

يا أيّها المظلومُ.. أمنحك الفؤادَ مفتّتَ الرئتين يخفقُ.. نازِفاً
أُهديك في الميلاد تاريخاً، وشمساً لا تغيبُ ومُصْحَفا.

*** *** ***

(١٣) - الأستاذ يقين البصري[1]

الندى المحترق

مقدّمة:

تعـال إلـى روح شـفيف هيامُهـا   وعـين بـرغم الصبح طال ظلامُهـا
تعـال نلـمّ الشـوق ورداً ونسـمة   ومُفــردةً عــذراء ثــرٌّ غمامهـا
تعـال نوافيـك الهـوى جمـر ليلـة   تطول كليل القطب كيف تنامها
لنرحل صوب الشمس عجلى خيولنا   وقد ساقها يحدو الرّكابَ مرامها
فجازت بنا والنجم يرقب شوطنا   وقد طاف في أقصى الفضاء سلامها
إلى مولد السبط الذي شعّت الدُّنى   بمولـده مـذ حـلّ فجـراً هُمامهـا
فيـا صـابراً صـبر المسيح وملجمـاً   خطوباً على الإسلام صعبٌ لجامها
فرغم دعاوى البغي كنتَ زعيمَها   لك انقاد رغم البغي طوعاً زِمامُها

الندى المحترق:

نزفنـا فـي الغمـيم دمـاً مضـافاً   فأورثنـا الصـدى سُـمّاً زُعافـا

---

[1] هو : الشاعر المبدع الأديب الأستاذ يقين البصري، ولد في البصرة سنة ١٣٧٠هـ، أنهى دراسته الأولية فيها، ودخل جامعة بغداد ـ كلية القانون ـ سنة ١٣٩١هـ وتخرج منها سنة ١٣٩٥هـ، وله مشاركات في الاحتفالات والمنتديات الأدبية والثقافية، ومن نتاجه الأدبي ديوان شعر مخطوط وكتابات أخرى.

يفـيض بـداوةً وتفـيض مجـدا ونغتـرف السـمو بـه اغترافـا
هبـي دمنـا المفجَّـر أريحيـا فكيـف رميتـه البـيض الخِفافـا
وكيف رأيت مجدك أن تصفّي الأسـنّة والسـيوف لـه اصـطفافا
رغبت عن العلى شرفاً ومجداً وتـأبين المـروءة والعفافـا
سـطوت بغـدرة فزرعـت لؤمـاً وعُـدنا نحصـد الشـرف المضـافا
ولـولا مـا أراد الله فينـا لأورثنـاكِ ذلاً واعتسـافا
وأوردنـاك فـيضَ دمٍ وكأسـاً مُصـبَّرة وبالسـيف انتصـافا
بـدأت بحربنـا حتـى مضـينا عـن البيـت ابتعـاداً وانصـرافا
فليت شعاب مكة ما استقامت علـى سـمّ القطيعـة أن يـدافا
ورحت تحكّمين السيف دهراً إلـى أن كـلَّ عزمُـك أو تنـافى
وأرخصـت الـدماء إذ انتضـينا سـيوف نبـوّةٍ بيضـاً رهافـا
وأيّ مدى يغطّي الشمس حتى تنكّـر مسـتريبٌ أو تجـافى
وآمنّـاك مـن فـزع وإنـا نُـؤمِّن مسـتغيثا أن يخافـا
وآثرنـا عليـك الـوحي حتـى ملكنـا البيـت رُكنـاً والطّوافـا
وأعطينـاك فكـراً مسـتنيراً ففضـلت التنـافر والخلافـا
وكم سطعت لنا شمس فعادت علـى عينيـك قـاراً أو غلافـا
كأنّـك ترتـدين الليـل سـتراً ليفضـحك النهـار إذا تـوافى
ركبت خيولَ حقدك فاستشاطت وأزمعـت الشـقاق والاختلافـا
وكـم رحـمٍ قطعـت بغيـر حـق ركبـت هـوىً وأحلامـاً خفافـا
وفـي بيـت النبـي أطـلّ فجـرٌ ورفـرف بيـرق خفـق انعطافـا

فأســرجنا إليــك لســانَ وحــي يقــارع ألــف صــرحٍ إن تنــافى
ويــا بكــر النبــوّة ألــف نجــم إلــى قــدميك قــد سـجد اعترافـا
تلاقــى فيــك عُــرْفُ دم كــريم فلامــس بالهــدى منــك الشّــغافا
علـى كفّيـك مـاءُ حيـاً تصـاف ومــن عينيــك أطلقــتَ الرِّعافــا
وطــرزت المــدى ألقــاً كريمــاً كــأنّ الــنجم طــلّ بــه وطافــا
تســاقينا هــوى عينيــك ســكراً نعــاف بــه الكــؤوس أو السُّــلافا
وأفرغنــا الجــوى لــيلمَّ عنّــا عيــون اللّيــل والســهد المضــافا
نجرّ لـك الخطـى شـوقاً وسـكراً ونعتمــــر التمنّـــع والعفافــــا
يعيــر الشــمس وجنتــه افتخــاراً فتنهـــل منـــه عبَّـــا واغترافـــا
تــدين لــه المكــاره قبــل ألــف ويغمــر مــن ســماحته الصّــحافا
مشى مجداً وطاف هُدى وأسرى كــريم الطبــع قــد ســلك القيافــا
وعــش تحــت الكرامــة مســتظلاًّ مــن المجــد اعتبــاراً لا يكــافى
تمطــر عــارض هطــل فســالت مرابــع طالمــا شــكت الجفافــا
يطيــب بــك الزمــان أريــج قــدس تــذوق بــه الــدُّنى طعمــاً نطافــا
ســقتك مــن النبــوة ألــفُ عــينٍ وعــاد جنــاك يُقتطَــف اقتطافــا
تطيــر بــك الســماء لتمتطيهــا وتحتضــن الشــواطئ والضــفافا
ولــدت بمهــده فحبــاك حجــراً فكنــتَ بــه المُشــرَّف والمُعــافى

*** *** ***

(١٤) – الأستاذ فرات الأسدي[1]

البوح المشتهى

نضّـر الأرضَ أيّهـا الحسـنُ يـدهش الخلـد تنبهـرْ عـدَنُ
ويمـدّ الـورد الخطـى ولهـاً والينـابيع تُـروَ والمُـزن
ويُـرقْ دورقُ الفتـون شـذىً أخضـر الرُّوح جسمه الفـنن
والربيـع البهـيُّ أغنيـةٌ والعناقيـدُ لحنُهـا وطـن
كم تثنّى نبضُ الأسى فرحاً فـي يـديها وأورق الشـجن
فـي جـدار البقيع فـي مـدنٍ حيـثُ لا غيـر حزنها مـدن
وغفا الحلم أو صحا الوسنُ وانطـوى الـزمنُ
نضّـر الحسـن مـرّةً يشـتعلْ عـالم الـترابْ
بالمواويـل غضّـة وحكايـا اللظـى العـذاب
وبقايـا خبيئـةٍ دونهـا سُـدَّ ألـف بـاب
ليفيـق الثـرى علـى وجـعٍ جـامح الرِّغـاب
أيُّهـا المتـرف الخطـى أيّهـا الفتنـة العُجـاب
يـا أخ النهـر مولـداً يـا رؤى البحـر والعبـابْ
دونـك الـزمنُ

[1] هو: الشاعر الأستاذ فرات الأسدي، ولد سنة ١٣٨٠هـ، من عائلة علمية معروفة، أنهى شطراً من الدراسة الاكاديمية ودرس عدة مراحل في الحوزة العلمية، ومن نتاجه الأدبي: ١- ذاكرة الصمت والعطش (مطبوع) ٢- صدقت الغربة يا ابراهيم. ٣- النهر وجهك. ٤- الخناجر الميتة (رواية)، وله مساهمات فعالة في النوادي الأدبية والثقافية والدينية، كما شارك في الصحافة والكتابة الأدبية، ويدير الآن دار الأدب الإسلامي: مشروع النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته في الشعر العربي.

والمـــــــدى ســـــــفن
أطلــق الخصــب فهــو مــرتهنُ
يولَـــــد النـــــوء يختـــــزن

يا رائع المجتلى بي للهوى ظمأٌ　　يكـاد لـولا ولاك العـذب ينطفـئ
تَلهُّــفُ الرمـلِ للأمطـار قـافيتي　　تَتـوهُ ثـم إلـى لقيـاك تلتجـئ
سفحتَ جمري واستبقيت صبوتَهُ　　يـا ليتهـا دون نـار الوجـد تختبـئ
الحبّ وجهك يندى كبرياء هوىً　　ولي من الخوف وجهٌ رشّه الصدأ
ولـي مـن العمُـرِ المجـدورِ أُمنيـةٌ　　خرساءُ قبل صداها الصمتُ مُهترئ
تكـاد لـولا ولاكَ العـذب تنطفـئ　　وفي متيـه الزمـان المسـخ تنكفـئ

احمل الشمسَ في مقلتيك فإنّ الشتاء يكاد يضيق بليل الضياع المجدّر وجه المصابيح والعتمات تمزّق تاريخنا
احمل البحرَ في شفتيك ومرّ على الماء زنبقةً ومدى دون جنحين من زهرات الفراشات في يثرب الشاحبة
احمل الحبَّ بين يديك ورُشّ به تلعاتِ الضغينة وارتدْ بزهـوك ذلّ حقـول قريش
اليبيسة أطلق ينابيعك الفرحة
احمل الطفلَ في وجهك النبويّ البريء وبـاركْ بـه النظـرات وأيقـظْ لغـاتِ العيون
الكسيرة أطلقْ حروف القناديل من كلّ معنى دنيء
إبتكرْ حُلمنا أيُّهذا الفتون الوضيءْ

أيّها الماثلُ الآن في الرُّوح يا مبدأ الحبّ والمنتهى

أيّها الرائع المشتهى

أيّها البوح في دمنا العلويّ المرقرَقِ بين المياه ونيرانها أيّها الجرح يا سيّد العنفوانْ

لك في مقلتيّ بريقُ الكلام وفي سرّي الهمس والأُغنيات الحِسان

صمتتْ بعد أن راود الشوك أجفانها بنعاس الضغينهْ

خرستْ بعد أن سرّبتها الحرائق خلف جدار البقيع الأصمّْ

آهِ يا سيّد الحزن يا وجهنا الأبديَّ الذي يصلُ النبعَ بالدمع والموت بالفرح المستبدّْ

آهِ يا ذاهل الشدو يا رائع الخطوات الشهيده

آه يا موتنا المتشظّي المؤرّخ عصر الرمادْ

لم يكن غير أن تحمل الشمس في اُفقيك وأن تتهاوى النهارات خلف حصاد السيوفْ

لم يكن غير أن تُودِع النهر في قدميك وأن تتوضّأ منك التواريخُ بالعشب واللّهفة اليانعهْ

لم يكُنْ غير أن تحمل الخصب ما بين يوميك ثمّ تسرّبُه للشهاده

لم يكن غير أن تمنح الأرض ميلادها..

لم يكن غير أن:

أوقظَ اللّغة المستعادهْ

***　　***　　***

(١٥) – الشيخ علي الفرج[1]

صوفيّة جرح

(١)

حينما يقرأ الناس كفَّكَ خطاً فخطاً..
يقولون: تعشقكَ امرأةٌ من دخانٍ تسمّى سماءْ
يقولون: إنّك يوماً
ستصبح والبحر شيئاً
فحيناً يسمّى الزكيَّ
وحيناً يسمّى محيطات ماءْ
يقولون: إنّ الزمان سيحفر أيامك الحالماتِ شقوقاً..
وينهش ثوبك ذئبٌ ويعوي.. إلى أن يموت
وتدفنه أنتَ في ظلمة العار وجهاً غريباً.. وتتركه.. ثمّ تمضى مع الأنبياءْ
وأمّا أنا..
سوف أقرأ كلّ أكفّ الحياة جميعاً
وسوف أراك بها شاخصاً من بعيدٍ
وجوداً.. وجوداً

---

[1] الشيخ علي بن عبد الله بن علي الفرج (المملكة العربية السعودية): ولد عام ١٣٩١ هـ/١٩٧١م في القديح إحدى مدن القطيف. التحق بالمدرسة وهو في السادسة من عمره. رحل إلى مدينة النجف سنة ١٤١٠هـ، ثم إلى دمشق ١٤١٢هـ، وعاش في إيران فترة بعد ذلك. بدأ بقول الشعر، وهو في الثانية عشرة من عمره. دواوينه الشعرية: أصداء النغم المسافر ١٤١٧هـ، ونسيج المرايا ١٤٢٠. مؤلفاته: تجديد البلاغة: نحو إعادة صياغة للتراث البلاغي العربي.

وغيرُكَ حتى أكفّ الحياة
فناءٌ.. فناءْ

(٢)

كـان وجهـاً ممزّقـا كيف غنّـى وصـفّقا
كـان نهـراً محاصَـراً وحريقـــاً تـــدفّقا
بـين ألـف انكسـارةٍ تتـــدلّى ليشـــنقا
كان جرحاً وأعمقا وجحيمـاً وأحرقـا
فـاعلاتُنْ لمسـتْه مـن البتـول غصـونٌ فأورقـا
فتمشّـــى بـــه الجحـــيم شـــفيفاً وأزرقـــا
يتمطّـى علـى الشـقاء ولا يعـرف الشـقا
أنـــا شـــيءٌ علـــى يـــديك ترامـــى ليغرقـــا
فـإذا مـا رأى سـناك علـى السـحب حـدّقا
وإذا مـــا رأى ســـناك جبـــالاً تســـلّقا
وسيصـحو بـك الشـروقُ ويهـواكَ مَشـرقا
وســتغدو إلـــى الســماءِ ويغـــدو مُحلّقـــا
غيـــر أنّـــي إلـــى الفنـــاءِ ومســـراك للبَقـــا

* * *

أنـــا شـــيءٌ مـــن الرمـــادِ صـــريعٌ بـــأحرفي
أتلـــوّى علـــى يـــديك وأحيـــا وأنطفـــي
وتلهّفـــتُ فانســـكبتُ أنـــا فـــي تلهُّفـــي

أنــتَ شــيءٌ أراك تســكن حتّــى تصــوّفي
أنـت صـوفيّتي نمَـتْ بـين كهفـي ومُصـحفي
فـي دمـي يختفـي الـورى وأنـا فيـك أختفـي
أنــتَ تحتــلُّ مــن صــلاتي خفايــا تزلّفــي
وبرؤيـــاي مالـــكٌ تتشـــهّى وتصـــطفي
أنــتَ مــن أنــتَ يــا هــوىً عسـليّاً لمــدنفِ
مــات قــيسٌ علــى هــواه ولــيلاه لــم تَــفِ
وأنــا أنهــل الحيــاة بــذكراكَ يــا وفــي

***

حــدّثْتني رؤاي أنّــك شــيءٌ قــد انتشــرْ
فغــدا هــذه النجــوم الجمــيلات والقمــر
وارتمى بعض ضوئه فـي يـد الأُفـق وانهمر
فغـدا يصـنع الصـباح الـذي يشـربُ السّـحر
ثــمّ غنّــى علــى التــراب لحونــاً مــن القــدر
فمشــى يفــرش التــراب أفــانينَ مــن شــجر
حــدّثتني رؤاي أنّــك فــي رحلــة الســفر
ســكنتْ فيــك آهــةٌ آه مــا أظلــمَ البشــر
أنــت تُغضــي ويظلمــون وتعفــو وتؤتســر
عجبــاً يقطــع الخميلــةَ مــن يأكــل الثَّمــر

***

أنـا شـيءٌ علـى البقيـع هيـامٌ علـى هيـامْ

وأُسـمّى جنـازةً وقفـت فوقهـا الحمـام

صُلِبَتْ ألـفُ شـمعةٍ هـا هنـا تحمـل السّلام

وهنـا الكـون ينحنـي ومجرّاتـه تنـام

وأنـا جـاثم هنـاك حريقـاً مـن الغـرام

طفتُ لوناً على الترابِ ولوناً على الغمام

أ أهنا أنتَ أم على السحب أم أنتَ لا تـرام

مَن أنا يا تـرى تناثر وجهي مع الحطام

أأنـا ذلـك الهشـيم تنـاءى بـه الظـلام

فتـذكرتُ أن نعشـي قـد غيـلَ بالسـهام

مـن بقايـاك طينـةٌ أنـا لا أعشـق انقسـام

*** *** ***

(١٦) - الأستاذ حسن فليح البغدادي

امصاب الحسن عليه السلام

على امصابك يا شبل حامي الحمه

انعزّي جدك والصميده اوفاطمة

***

أبد ما ننسه مصابك يالحسن

ونلعن الغدروك أصحاب الوثن

والأشرار السببوا هاي الفتن

خسروا يحصلون بيك الغانمة

***

شيعة واليومك فلا ينسونه

والأشرار الگبرگ ايهدمونه

عنك أهل الجور ميحجبونه

وبالنياحة نسجب المدمع دمه

***

شلون نعشك يالحسن يرمونه

طاعوا أمر الحاقده الملعونه

والدفن يم جدك ايمنعونه

والله يلعن كل خبيثة وظالمة

***

شلون هاي النايبه أتحملونها

أجنازه بسهام العده يرمونها

تندفن يم النبي ايرفضونها

صعبه ما تنحمل هاي الموزمه

***

چبدك المالوم بالسم ينطعن

عليك نبچي اوتنزل ادموع الحزن

شلون ما ندمي على أمصابك جفن

وحشه هاي الدنيه عگبه مظلمة

***

انته من جعده شفت سم الغدر

صاب چبدك والگلب فوگ الصبر

اتنازع ومالوم من لهبت جمر

اليمك اتحومي المنيه امحتمه

***

هذا موقف زينب أگبال الحسن

ظلت الهليوم عبرات ومحن

اتصيح چبدك خويه بالسم أنطعن

وجعده دستلك السم أمحزمه

***

انته سبط المصطفى سيد البشر

وانته ابن المرتضى فارس مضر

تبقى بالأرواح مادام الدهر

شخصك بكل گلب أصبح مأتمه

***

على امصابك يا شبل حامي الحمه

انعزي جدگ والصميده اوفاطمة

*** *** ***

وله أيضاً:

دمه وجبود

دمــــــه وجبــــــود بطشـــــــت ممـــــــرود
والگبره يهدمونه

لا يــبن الوصــي صــدمات جعــده وقــدمت لســموم
مــا ننســه الغــدر هيهــات واســموم الحقــد والگــوم
شـــوفنه الـــدهر طشـــتين طشـت البـي چبـد ودمـوم
والثـــاني يهـــد الحيـــل رأس أحســين هــالمظلوم
جســـــم ممــــــدود أبـــــــد ميعــــــود
والگبره يهدمونه

مــن علمــك يشـع النــور يــا نــور الوصــي حيــدر
رغــم الحاقــد الملعــون تبقـى ابكـل گلـب تزهـر
بالهـــادي تظـــل شـــامخ مــن عنــده العلـم مصـدر
وبهـــذا الغـــدر جـــازوك ودم شـــــريانك اتخثـــــر
وعـــــــد موعـــــــود غـــــــدر مقصـــــــود
والگبره يهدمونه

والليلــه الحســن انصــاب مســـموم ابغـــدر عـــدوان
وحســين اليصــب دمعــه لمصــاب الحســن حزنــان
تصـــرخ بـــالحزن زينـــب يـــا خويـــه عظـيم الشـــان
گلـب اختـك مثـل گلبـك مــن يــوم الســقيفه اوثــان

راعـــــي الجـــــود ســـــيف محـــــدود

والگبره يهدمونه

مسموم الحسن مسموم شبلك يا علي غدروه

بنت الأشعث الغدرت يا ويلي شكثر سموم

جعده اوكشرت لنياب وبهذا الفعل جازوه

والليله يا مولانه چبدك بالطعن خلوه

يـــرد أردود الـــم ميهـــود

والگبره يهدمونه

يشهد خالق الاكوان ما ننساك للتالي

ونظل أبدمع ننعاك نلطم رأسنه العالي

وانته بالگلب مطبوع طول الدهر وأگبالي

نصرخ دوم لمصابك ودمعنه يظل هالي

صـــبر وحـــدود يـــالموعود

والگبره يهدمونه

ما ننسه ابو القاسم چبده من امگطع اوجمره

كل عمره گضه مالوم وداع الشهگه والعبره

واحسين ابوفه يشمه گام ونزله أبگبره

من ذاك الزمن لليوم أنعزي فاطمه الزهره

عهـــد معهـــود يـــا معبـــود

والگبره يهدمونه

دمـــــــه وجبـــــــود بطشـــــــت ممـــــــرود

والگبره يهدمونه

*** *** ***

(١٧) - **السيد محمد الموسوي**

عترة الهادي

قـد شـككوا بظليمـة لـم تعهـد وهـي التـي مـن مثلهـا لـم تشـهد
أعنــي بهــا ظلــم البتولــة فــاطم يــوم ارتقــى طـه عنــان الأمجــد
يــوم ارتقــى نحــو العليّــا شــاكياً مــن أمــة ســامته كيــد المُلحــد
هـل ذا جـزاء نبـيهم وهـو الـذي أعلاهم فوق الورى وبـذا الهـدي
ولقـــد بهـــا أوصـــاهم وببعلهـــا وبعتــرةٍ هــي عــزّ مجــد أرغــد
وكأنــه مــا كــان خيــر مبلــغ لرسـالة المـولى لأكمـل مرشـد
فلـم امتطـوا صـهوات كيـدٍ سـافر ثـم ارتـأوا إغـلاق بـابٍ موصـد
دون الظليمـــة وانبـــروا بســـفاهةٍ يتخبّطـــون بغـــيّهم يتـــردّد
يوم ارتقت حول العلا فـوق الـدّنا أزكـى النفـوس سـريرة بتمجّـد
فتـــآمروا وتقـــايظوا وتحـــالفوا وكأنمــا أوصــوا بعتــرة أحمــد
أن يقتلوهـــا عنـــوةً وبـــلا حيـــا مـن خـالق عـدلٍ حكـيم أوحـد
عصروا الزّكية خلف بـاب لـم يكـن مسـتقحمٌ مـن خيـر خلـقٍ منجـد
بل كان مأموراً بـأن يرجـو الرضـا منهـا وإذنـاً فـي الـدخول لمقصـد
أمـر مـن المـولى الجليـل بحقّهـا يسـتأذن الهـادي البشـير ليقتـدي
بـأوامر الـربّ الجليـل بشـأنها إذا عظّم الزهراء بالشرف النـدي

حتى لقد ألفيت من بلغ العلا أعني الرسول محمداً هو يفتدي
نفس البتول بنفسه وبروحه أعظم به من رفعةٍ بل سؤدد
يستأذن الهادي الأمين ببابها عند الدخول بأمر ربٍ واحد
ذاك الرسول محمد وملاذهم عند اشتداد كروبهم والموقد
وهم بجرأة ملحدٍ ومكابر باباً لها دفعوا بجرأة ملحد
لولا وقائع يومهم يوم السّقيـ ـة ما جرا من بعدهم من جاحد
ولمّا عدا أنذالهم سفهاً على دارٍ بها جبريل لم يتردّد
في ودّه أو قربه من أهلها كيما ينال كرامة بتودّد
يدنو إليها راجياً لرضاهم وكذا الملائك والملأ من سجّد
دارٌ بها جبريلهم متشرّف ذي مهبط الوحي العظيم السرمدي
تهفو لخير نساء أهل الجنة الـ ـلائي صغرن لبنت أزكى سيد
فلقدر منزلة الفتى عظمت به تلك المظالم من حقودٍ أجحد
فمصائبُ الزّهراء لا تُعلى ولا يرضى بها إلا أشدّ معاند
دار النبوة أحرقت وتهتّكت وكأنما أوصوا بها بتشدّد
يا ليتهم كفّوا أذاهم عندها لكنهم جازوا حدود المفسدِ
وكريمة البيت الذي بلغ العُلا زهراء أعني مَن سمت مِن ماجد
بخصالها هي قد سمت فوق الورى إلا أباها والوصي لأحمد
ضلعاً كسروا وبغضاً منهم لنبيهم ولآله وبمرصد
بل أسقطوا ولداً لها فتألمت وبحسرةٍ من فجعها بتسهد
لكنّها لم تحتمل مثل احتمال خطوبها خطب الوصي الماجد المتفرّد
من بين خلق ذا إمام ماجد هو خيرة المولى العليم الأمجد

فجـرت وراء ركـابهم ودموعهـا تجـري مناديـة النبـي الأرشـد
أخـذوا الوصـي مقيـداً ذا بعلهـا بكـلا الوصـية والمـلا للمعتـدي
عـادوا لهـا بسـياطهم وعتـوّهم مـا ردّهـم فضـل النبـي محمـد
قالوا ارجعي ولنا مع الليث الهما م مآبـاً ليبـايع الرّكـب الـردي
لمـا أبـت لطمـت فمـا أحـدٌ هجا أو قد بكـى لمصابها فـي المـورد
تعساً لمن ترك الهدى بعد الهدى طلبـاً لـدنياً بالبقـا لـم تعهـد
ويلٌ لهم سكتوا ولـم يستصرخوا وكـأنّهم قبلـوا بغـي المفسـد
فتشـطّروا ضـرع الخلافـة نكّصـاً بؤسـا لقـوم بالرسـالة تبتـدي
بُعـداً لهـم أنّـى لهـم ليزحـوا ثقـل الأمانـة والسـماء بمرصـد
هانت شريعة خـاتم الرسـل التـي هـي خيـرُ ديـنٍ يرتضـى للموعـد
هـم يحسـبونه هيّنـاً ولـدى الإلــ ـه كمعصـم زان الوجـود ومرفـد
فليرقبـوا يومـاً شـديداً عاصـفاً قبـل القيامـة شاخصـاً لـم يعبـد
أعنـي بـه يـوم الظهـور لحجـةٍ يوم انتقـام محمـدٍ لـذوي الهـدي
هـم مـن إلـه العـرش وصـى بهـم وبـنهجهم ذاك السّـديد المرفـد
أمّا لـدى الحشر الملائـك خشـعاً لمصـائب الزهـراء والخيـر النّـدي
لمحمـــد ولآلـــه نجـــبٌ هـــم غـــرر وأعـــلامٌ لهـــم لـــم تنفـــد
آهٍ علـى قلـب الوجـود أفـاطم فلـدى التّراقـي روحنـا لـم تبـرد
لظليمـــةٍ أبكـــت عظـــيم خلائـــق بل قد بكى لمصابها ذا المعتـدي
وغدت لكـل نوائـب الـدّهر التـي عظمت كعطب رحىً تدور بـلا يـد
عـرش الجليـل تقـوّت أركانـه وكتابـــه بـــدم بكـــى متبـــدّد
والله مـن فـوق الطّبـاق لشـاهدٌ إني ذكرت الغيض من مسترفد

رفـد الشـجون بدمعـه وأنينـه | وكـذا المظـالم بالأسـى وبمسـند
غيضاً من الظلم الذي طفحت بـه | سـنن الـدّهور وشـيب رأس الغـد
والثـار كـل دقيقـة نـبضٌ بنـا | بقلوبنـا يغلـي دمـاً لـم يبـرد
زهـراء يـا نـور السماء لموكـب | نصبت ملائكـة السماء للمشـهد
مـذ نابهـا ذاك المصاب وضلعها | وجنينهـا عـدلين هـم مـن شـهد
زهـراء يـا سـرّ الوجـود بحزنهـا | فـي سـبعها أملاكهـا لـم تسـعد
مـذ نابهـا هجـر النّصير وجحـده | وغدت مآسي حكمه هي ترتدي
أعنـي فصـول مظـالم نابتـكِ مـن | كـم مبـدع أو مـدّع لا يهتـدي
زهـراء هأنـذا بخـتم قصـيدتي | أرجو الشفاعة منكم فـي مرقـدي
نـور النبـوة والهـدى كعمـود نـور | زاهـر بـين العُـلا والمسـجد
هـو كعبـة الأمـلاك مـا بـين العُـلا | ولصـالح المـلا الكـرام العبّـد

*** *** ***

(١٨) - السيد محمد جمال الهاشمي[١]

في ذكرى الإمام الحسن عليه السلام

تباركتَ أقـدمْ مرحباً بـك يـا شـهر | لـك الشـكر فيمـا جئتـه ولنـا الأجـرُ
تعاليـت شـأناً عـن ثنـاء يبثّـه | لسانُ أديب جاش في صدره الشعر

---

[١] هذا العالم الجليل هو من مواليد النجف الاشرف عام ١٣٣٢هـ وهو ابن احد كبار مراجع النجف الاشرف وهو المرحوم السيد جمال الدين الهاشمي، أما عطاءه الشعري، ففي الواقع الرجل أديب راقي، ترك المرحوم أثراً وافياً في مقام الشعر والأدب، ولقد كان السيد محمد جمال الهاشمي عنصر عطاء في حوزة النجف الأشرف تحمل ما عاناه من النظام العفلقي الآلام حتى وافته المنية عام ١٩٧٧م في النجف الأشرف وترك فراغاً لا يسد، شيع تشييعاً مهيباً ووري الثرى في النجف الأشرف.

وأنت الذي شاد النبيُّ بذكره وقدّسه الشرع المطهّر والذكر
دُعيتَ بشهر الله وهي كرامةٌ سمت وانحنى ذلاً لعليائها الدهر
تصوم لكَ الأجسام عن شهواتها فلا يعتري أرواحَها الرّين والوزر
لياليكَ شعّت بالعبادة مثلما زهت بجلال الصوم أيّامك الغر
خُصصتَ بتكريم لو أنّ أقلّه على الذرّ، فاق الطودَ في قدره الذرُّ
خصال ثلاث حقّقت كل غايةٍ من الفخر يكبو دون غايتها الفخر
ففيكَ كتاب الله أُنزل، وانجلتْ بأنواره الظّلماء وانكشف السِّتر
وفي ليلة القدر التي جلّ قدرُها ولم يبق للأيّام من بعدها قدر
تنزلت الأملاكُ فيها وأقبلت تُحيّيك حتى انشقّ عن صبحه الفجر
وفيكَ بدا فجر الزكيِّ وأشرقت سماء الهدى لما بدا الحسَنُ الطُّهر
شعاعٌ ترائى من علي وفاطم ونجمٌ نمته الشمس في الضوء والبدر
وسبط نبيٍ عظّمَ الله أمره له النهي في دنيا الشرائع والأمر
وصنو إمام باع للحقّ نفسه ومن يشتري التاريخ كان له الوفر
له احتفلت دنيا الهداية واحتفت بميلاده الأفلاكَ والأنجم الزُّهر
وفي الملأ الأعلى ضجيجٌ تبثّه ملائكة بيض ملابسها خضر
وقد زيّنَ الله الجنان كرامة له، واكتست بالنور آفاقه الغرّ
وأخمد نيران الجحيم بيومه فأصبح برداً من تفّضله الحّرُّ
وفي الأرض قامت حفلةٌ عالميةٌ بأفراحها قد شارك البرُّ والبحر
وقد عمرت دار النبوّة وازدهت بمقدم وفّادٍ بها أقبل البِشر
تُهنّي نبيّ العالمين بمولدٍ له انتصر الإسلام واندحر الكفر

فيـــا ربّ إنـــا عائـــذون بحبّـــه من الضُرِّ، إذ في حبِّه يُكشف الضُرُّ

***

وله أيضاً بعنوان: **الإمام الصابر**

تقرّبـكَ الـذّكرى وإن بَعُـدَ العهـدُ وفي ذكريات الروح يقترب البُعدُ
أقام لكَ الإيمان في القلـب كعبـةً يطوف الثّنا فيها ويسعى لها الحمد
بحبِّـكَ جرّبـتُ المقـاييس كلهـا فخابـت، ولـم يظهـر لآمادهـا حـد
ستبلى معي الـدنيا، وحبّـكَ بعـدنا سيبقى إلى أن ينفض الجسـد اللحـد
هو الدين أهداني إليكَ، فأبصرت بك النفس ما يسعى لـه الشاعر الفـرد
إلى الله أسعى في ولائكَ مخلصاً بـه، وشـفيع الحـبِّ لـيس لـه ردُّ
فما أنتَ إلا السبط سبط محمـدٍ وشبل علـي، قـدّس الأبُ والجَـدُّ
ترعرعـتَ فـي حجـر النبـوة ناشـئاً إلى أن أباح الكُمّ ما أضمر الـورد

*

أثار (ابن عفانٍ) على الحكم فتيـة أطلـت (عليـاً) نارهـا وهـي تشـتدُّ
إلى أن أراقت فـي الصـلاة دمـاءه فضـاعت ولـم ينشـر لثاراتهـا بنـد
وقام ابنُه بالأمر، والحرب تصطلي بنيرانهـا، شـيبُ العـراقيين والمُـرد
فهاتيـك خيـل الشـام تنهـب مالهـا وتفعـل فيهـا مـا أبـاح لهـا الحقـد
وهذي ملايين ابن هنـدٍ تهاطلـت على الجند، حتى لم يفد معها سدُّ
هـي النـاس تلـوي للنضـار رقابهـا خضوعاً، وإن طالت وطال بها المجد
يفــر (عبيــد الله) للشــام هادمــاً مفـاخر بيـتٍ شـاده الحسـب العـدُّ
ويتــرك للأقــدار جيشــاً أمضّــه صـراعٌ بـه لـم ينـتج الحـلّ والعقـد

فـدبّتْ بـه روح الشّـقاق وأدبـرت ... كتائبـه يسـعى بهـا الرهـو والوخـد
ولا نفع في حرب إذا ما تـذمّرت ... فيالقــه منهــا، وخالفهــا الجنــد
فلم ير غير (الصلح) منجى لأمـةٍ ... تضارب فيها الرأيُ واختلف القصد
وراح (ابن هندٍ) يسـتقلُّ بمنصب ... من الحكم لم تحمل بمعشاره (هنـد)
وأعطى عهوداً فـرّط النقض عقـدها ... ولـم ينتظم للدين مـن بعـدها عقـد

❊

لقد أنقذ الإسـلام بالصلح صابراً ... على غصـصٍ يعيـى بها الصّابر الجلد
تطاولــه بالنقــد ألسُــن فتيــةٍ ... من الضيم أن يعزى لأمثالها النقـد
وتنتاشـــه أعـــداؤه بفجـــائع ... من الحقد لم يثبت لها الحجر الصلد
ولــو أدركَ التـأريخ سـرَّ حياتـه ... لخلّــده رمــزاً يشــير لــه الخلـد
وما خـطّ فيـه لابـن هنـد صحائفاً ... يظلّ بها أفـق الحِجى وهـو مربـدُّ
ولكـن تيّـارَ الحـوادث لـم يـزلْ ... يعاكسـه فـي سيره الجـزر والمـدُّ
إلـى أن أذاب السـمُّ أفـلاذ قلبـه ... فقطّعهـا لـو قُطـع الجـوهر الفـرد

❊❊❊

وله أيضاً بعنوان: **السبط الزكي**

إليــكَ ســلامُ الله يرفعــه الــذّكرُ ... فمــا قــدر تحميــد يقدّمــه الشــعرُ
ولكنــه جُهــد المُقــلّ عرضــتُه ... على ساحةٍ في ظلّها يُنشر الأجـرُ
أعادت لي الذّكرى حياتكَ صفحةً ... مقدّسـةً يهتـزّ مـن عَرضـها الـدّهرُ
سـطورٌ على الإيمـان فـاحَ عبيرهـا ... وللـروح عِطـرٌ منـه ينبعـث السُّـكر
تُسجّل دستور الحيـاة، ولـو مشـتْ ... على ضوئها الأعصار لـم ينـدرسْ عصـر

فمــن أيّ أُفــق كــان مطلــع فجــره إذا ما انتمـى يومـاً إلـى أُفقـه الفجـر
لبيت بـه الإسـلام يحمـى، وينتمـى إليه الهـدى فخـراً، وينتسـب الطُّهـر
ومــن أيّ فـيضٍ كــان منبـع بحـره نعم من شواطي الخلد يندفع البحـر
وهــل تلــد الزّهــراء إلا كواكبــاً تـدور علـى أفلاكها الأنجمُ الزُّهـر
وما الحسنُ الزاكـي سوى فـرع دوحـةٍ تدور علـى الآبـاد أغصـانها الخضـر

أقــول لشـــهر الله، وهـــو مُباهـــلٌ بمــيلاده: تهنــى بــذلك يــا شــهر
فلــولاه لا أيامَـك البـيض قُدّسـتْ مقامــاً، ولا أحيــى ليالـيـك القــدر
ولأنـزال القـرآن فيـك، ولا سـمت إليــكَ بنجواهــا الملائكــةُ الغُــرُّ
هـــو الســـرُّ ســـرُّ الله لألاء نـــوره علـى العقـل، فانهـارت مراصـده العشـر
ومـن كـان مـن فـيض النبـوة نبعـه تشلّ قـوى الغـوّاص أمواجـه الغـزر
ترعــرع فــي ظــل النبــوة صــاعداً إلــى قمّــةٍ يعشــو بمنظرهـا الصّـقرُ
ودان لـه حكـمُ القضـاء، فلـم يـدر علــى فلَــكٍ، إلا إذا صــدر الأمــرُ

صحا الدهر حيناً وهو يعطي زِمامـه له، فمشى بالرّكب يحدو بـه النصـر
ولكنـــه، والـــدهر حـــوّلَ قُلّـــبٌ لــوى عِطفـه عنـه، وزلّ بـه السُّـكر

هـي الحـرب نـاموس الحيـاة إذا طغـتْ طبيعتهـــا حقـــداً وثـــار بهـــا الشـــرُّ
ولكنمــا أن هــدّد النــوعَ ضــغطُها من اللطف أن يمشي إلى مـدّها الجـزر
دهتْ هِمَم الأبطـال حـين تطاولـت مواقفهـا وانهـارت البـيض والسـمر
وطافت علـى طوفـان أطيـافُ فتنـةٍ تساوى لدى أشـواقها الحلوُ والمُـر

وباتت دمشق يحكم الدسُّ دستها ويعرضه حُلماً يمازجه الذُّعر
وتقنص إيمانَ الورى بحبائل يلف على أشراكها الدين والكفر
فباع (عبيد الله) للخزي عمره وعاش نديماه الخزايةُ والغدر
ولم يجد السبطُ الزكيُّ لحقِّه ملاذاً سوى صلح يضجّ به الصبر

*** *** ***

(١٩) - الدكتور الشيخ أحمد الوائلي[1]

بين النبوّة والإمامة

بين النبوّة والإمامة معقد ينمّيه حيدرةٌ وينجب أحمدُ
يزدان بالإرث الكريم فعزمة من حيدر ومن النبوّة سؤددُ
والرّافدان خلائق ربّيتَها وكرائِمٌ أغناك منها المحتدُ
فإذا سمى خلق وطابت دوحةٌ فالمرء بينهما السَّريُّ الأوحدُ
يا أيُّها الحسن الزكيّ وأنت من هذي المصادر للرَّوائع موردُ
أأبا محمد أيُّها الفرخُ الذي آواه من حجر النُّبوّة مقعدُ
وشدّت له الزهراءُ تملأ مهدَه نَغماً غداةَ تهزُّه وتهدهدُ
ورعته بالزّادِ الكريم عنايةٌ لله تغدقُ بالكريم وترفدُ

[1] هو الشيخ أحمد بن الشيخ حسون بن سعيد بن حمود الليثي الوائلي، ولد في /٧ ربيع ١/١٣٤٧هـ ، يتميز شعر الوائلي بفخامة الألفاظ وبريق الكلمات وإشراقه الديباجة، فهو يعني كثيراً بأناقة قصائده، وتلوين أشعاره بريشة مترفة. من مؤلفاته: ١- هوية التشيع. ٢- نحو تفسير علمي للقرآن. ٣- من فقه الجنس. ٤- ديوان شعر: ١،٢. ٥- أحكام السجون. ٦- استغلال الأجير. إن الإبداع الذي حققه الشيخ الوائلي في خطابته أنه غيّر طريقة الخطابة الحسينية، وفق نمط جديد تمثل في افتتاح مجلسه بآية من القرآن، ثم يبدأ بالحديث عنها وتفسيرها والتوسع في مضامينها وما إلى ذلك من مواضيع تتصل بالآية. توفي الشيخ عليه الرحمة في اليوم الرابع عشر من شهر جمادى الأول في عام ١٤٢٤هـ.

عيناه تستجلي ملامحَ أحمدٍ وبسمعه الوحي المبين يردّدُ
ويربّه المحراب وهو مطوّق عنق النبيّ غداة فيه يسجد
وتشدّ عزمته ملامح للوغى حمر أبوه بها الهزبر الملبد
زهت النُّجومُ على سماكَ وليس في أُفقٍ نُميتَ إليه ألا فرقد

***

ما أقبح التاريخ حين يُلح في كـ ـذب عليك وذو المناقب يُحسد
أسماكَ مزواجاً وهذي فريّةٌ وروى بأنَّك خائِفٌ متلدّد
ولكَ المواقف والمشاهد واحدٌ يروي وآخر بالبطولة يشهد
فبأصبهان ويوم قسطنطينة ماضي شباك له حديث مسند
والنّهروان وأرض صفّين بها أصداء سيفك ما تزال تعربد
وأبوك حيدرٌ والحيادر نسلها من سنخها وابن الحسام مهنّد
وعذرت فيك المرجفين لأنهم وتروا وذو الوتر المدمّى يحقد
قالوا تنازل لابن هندٍ والهوى يُعمي عن القول الصَّواب ويبعد
ما أهون الدنيا لديك وأنت من وكف السّحابة في عطاء أجود
والحكم لولا أن تقيم عدالة أنكى لديك من الذُّعاف وأنكد
ويهون كرسي لمن أقدامه ترقـ ـى على صدر النبيِّ وتصعد
أو يبتغي منه السيادة من له شهد النبيّ وقال إنّك سيد
قد قادنا للصِّدق فيه محمدٌ ومذمَّمٌ من لم يقده محمد

***

يا من تمر به النجوم وطرفُه نحو السماء مصوَّبٌ ومصعَّد

تتنـاغم الأسـجار مـن ترديـده — إيّـاك ربِّـي أسـتعينُ وأعبـد
يتلو الكتـاب فينتشـي من وعـده — ويهـزّه وقـع الوعيـد فيرعـد
روح بآفـاق السَّـماء محلّـقٌ — ويـد بـدين المعـوزين تُسـدِّد
وسـماحة وسعت بنبـل جذورها — حتـى لمـروان ومـا يتولّـد
خلـق النجـوم بـدفئها وشـعاعها — حتـى لمنبنـةِ الحضـيض تـزوّد

***

أنحـى عليـك النّـاكثون بغـدرهم — والقاسـطون المـارقون تمـرّدوا
فلدى المدائن شاهدٌ من غـدرهم — نَكصوا وأنتَ إلى الملاحـم تنهـد
طعنـوك وانتهبـوا خبـاءكَ والـذي — رضـع الخيانـة لا تعـفُّ لـه يـد
وتعهـدوا بـك لابـن هنـدٍ مثخنـاً — تعسـت معاهـدة وضـلَّ تعهـد
أو مثـل هـؤلاء تنهـد فـيهم — والفخـر فـي تـاريخهم متجسّـد
فرجعت تمسحُ من جراحك نازفاً — يجتـث نابتـة الشـموخ ويخضـد

***

وجرعت أشجان ابن هنـد ولؤمـه — كالليـث إذ يقتـاد وهـو مقيَّـد
أزجـى إليـك السُّمُّ وهـو سـلاحه — ويـد الجبـان بغيلـة تستأسـد
فتقطّعـت أحشـاكَ وانطفـأ السَّـنا — وذوت شـفاهٌ بالكتـاب تغـرّد
واستوحش المحراب حبراً طالمـا — ألفـاه فـي كبـدِ الـدُّجى يتهجّـد

***

يـا تـربَ طيبـة يـا أريـج محمـدٍ — يـا قـدس عطَّـره البقيـعُ الغرقـد
أفدي صعيدك بالجنان وكيف لا — وبنـو علـي علـى صـعيدك رقّـد
حسـن وزيـن العابـدين وبـاقر — والصـادق البحـر الخضـمّ المزبـد

أولاء هم عِدل الكتاب ومن بهم ... نَهج النبي وشرعه يتجدّد
وهم ذووا قربى النبيِّ فويل من ... قتلوا بقتلهم النبيَّ وألحدوا
وأبوا عليهم أن يشيَّد مرقدٌ ... لهم وشيِّد للتَّوافه مرقد
مهلاً فما مدح اللباب بقشره ... والسّيف يبني المجد وهو مجرّد
لابدّ من يوم على أجسامهم ... كمثال أهل الكهف يُبنى مسجد
حيَّتك يا روضَ البقيع مشاعرٌ ... قبل الجباه على ترابك تسجد
وروتْ ثراكَ عواطفٌ جيّاشة ... وسقت رباكَ مدامع لا تبرد

*** *** ***

(٢٠) - الأستاذ السيد سلمان هادي آل طعمة[1]

مولد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

حملت الهوى والهوى معضل ... فيا عاذلي هان ما تعذل
وما هاجني غير قول الوشاة ... وبي أروق مسرف مذهل
إذا ذكر الحسن المجتبى ... كبدر برؤيته يكمل
جلائل أعماله جمّة ... وأحكامه الهدى حفل
فأنت المرجّى بيوم الحتوف ... وبابك للخير لا يسدل
تطلع في أفقنا مصلحاً ... كما في الفلاة سرى منهل
شمائل كالروض في حسنه ... ومجد له يزدهي المحفل
تردى ببرد العلى والفخار ... ومن راحتيه الندى ينزل

---

[1] هو السيد سلمان بن السيد هادي آل طعمة من آل فائز الموسوي الحائري. ولد في كربلاء ١٩٣٥م، ينحدر من أسرة علوية عريقة تُعرف بالسادة آل طعمة المتفرّعة من قبيلة آل فائز العلوية، وهي من أقدم القبائل العربية التي سكنت كربلاء. يعد الأستاذ السيد سلمان اليوم من مؤرخي مدينته كربلاء المقدسة. وله العشرات من المؤلفات منها كتابه المشهور (تراث كربلاء).

سـليل محمـد سـاد المـلا هـو العـيلم الفـذ والموئـل
فـديت بنفسـي خيـر الهـداة وفـي كـل نازلـة يعـدل
لكـم شـاقني ذكـرك المجتلـي تمنـى الضـحى لـك يسـتقبل
فيـا مرحبـاً بسلسـل الوصـي زكـي يلـين لـه الجنـدل
ويشـعل فحـم الـدجى بالضـياء لـه المجـد مـن ألـق يرفـل
جلالـك نصـب عيـون الأنـام ونـور محيـاك لا يأفـل
كمـا الـنجم يزهـر فيـه أفقـه غـدا الـدهر عـن فضـله يسـأل
ألسـت حليـف التقـى والهـدى ووالـدك البطـل الأمثـل؟
ألسـت المبجـل سـبط الرسـول تـذب عـن الحـق لا تخـذل؟
أضـرغام فهـر وعـز الأبـاة بيـوم الـردى عاصـف زلـزل
لقـد خصـك المصـطفى بالحنـان وإن هـواك لـه مقبـل
نهضـت لـدعوة ديـن الهـدى بنـور مصـابيحه تشـعل

*** *** ***

(٢١) - **الشيخ نجم الدين البغدادي** الشافعي الملقّب بالعشاري[(١)]

سبطي النبي صلى الله عليه وآله

وإنـي لتهـديني الـى الربـع نفحـة سرت من معاني تـربهم ولهـا سر
ونور الامام الحيدري الذي عنت لغرتـه الشـمس المُنيـرة والبـدر
وريحانه كم شـمها الطهـر أحمـد ففاح به مـن طيـب عنصـره النشر
لـه الشـبه السـامي بنصـف محمـد وفـاز بباقيـه الفتـى الحسـن الطهـر
همـا أقسـما شـبه الرسـول وراثـة وناهيك من فخر يـدين لـه الفخـر
همـا نقطتـا يـاء النبـي فطالمـا من المصطفى المختار ضمهما الصدر

(١) الفقيه الشيخ نجم الدين البغدادي الشافعي الأديب الملقب بالعشاري المتوفى سنة ١١٩٥هـ.

همـا قرتـا عـين البتـول وحيـدر فيا عجباً هل كيف غالهمـا الـدهر
همـا نيـرا مجـد وعلـم وسـيدا شباب جنان الخلد فيما أتى الـذكر
همـا بطـلا حـرب وليثـا بسـالة وغيثا نـدى جـود إذا بخـل القطـر
همـا بحـر علـم إن وردت مياهـه رويت وفي كفيك مـن فضـله در

**

ألا يا حسين السبط يا ابـن محمـد ومن قد سما في العالمين لـه قـدر
مصابك قـد أولـى الوجـود كآبـة مدى الدهر لا تفنى وإن فني الدهر
ففـي كـل قلـب منـه نـار تـوهج وفي كل صدر مـن تأججهـا حـر
وجود بكى لما سقطت على الثرى إلى الآن لم تنزف لمدمعه الغـدر
لـئن بكـت الأجفـان مـاء لفقـده فتلـك عيـون الأفـق أدمعهـا حمـر

*** *** ***

(٢٢) - الشيخ العالم الأديب هادي كاشف الغطاء[١]

الحسن المهذّبا

إن الامـــام الحســـن المهـــذّبا خيـر الـورى جـداً وأمـاً وأبـا
كـريم أهـل البيـت أهـل الكـرم علـيهم بعـد الصـلاة سـلم

---

[١] الشيخ هادي بن عباس بن علي بـن جعفـر كاشـف الغطـاء (١٢٨٩-١٣٦٠هـ/١٨٧٢-١٩٤١م): ولـد فـي ١٧/ربيع ١/ ١٢٨٩هـ في النجف الأشرف، كان من علماء الفضيلة والتقوى والهدى، فقد نشأ في وسط أسـرة معروفة بالعلم والفضل، وهـو صـاحب المكتبـة التـي انتقلـت إليـه بـالإرث مـن آبائـه، فقـد زاد عليهـا بعـض المخطوطات، وكثيراً من المطبوعات، ويعتبر من الشعراء المعروفين، فقد نظم الكثير بحـقّ أهـل البيـت عليهم السلام توفّي قدس سره في ٩/محرم/ ١٣٦٠هـ، ودفن بمقبرة جدّه كاشف الغطاء في النجف الأشرف. له: أوجـز الأنبـاء في مقتل سيد الشهداء: رسالة، والمقبولة الحسينية: مراث من نظمه، ومجموعة: أدب و تـراجم، والمسـتدرك على نهج البلاغة، والبرهان المبين فيمن يجب اتباعه من النبيين.

كنيتـــه الغـــر أبـــو محمـــد وأمـــه الزهـــراء بنـــت أحمـــد
ســماه جــده النبــي المصــطفى وعـــق عنـــه وكفـــاه شـــرفا
ألقابـــه الســـيد والزكـــي والســـبط والطيـــب والتقـــي
كـان جميـل الوجـه جعـد الشعر مـا فيـه مـن طـول ولا مـن قصـر
طلــق المحيــا أدعجــاً ذا وفــره أبــيض لــون مشــرباً بحمــره
أزج أقنـى الأنـف كـث الشـعر وطلعـــة مشـــرقة كـــالقمر
أشـــبه جـــده النبـــي أحمـــدا خلقـا وخُلقـاً وحجـى وسـؤددا
أنفــق مــرتين كــل مــا ملــك لله مــا أبقــى لــه ومــا تــرك
وقاســـم الله ثلاثـــاً مالـــهُ ولـم يخيـب مـن جـدى آمالـه
وكـــان شـــهماً صـــابراً حليمـــا وســـيداً ومصـــلحاً عظيمـــا
مولـــده أعـــلا الالـــه ذكـــره فـي سـنة اثنتـين بعـد الهجـرة
قضـى شـهيداً سـنة الخمسـين أو ســـنة التســـع وأربعـــين

*** *** ***

(٢٣) - ادريس آل قمبر

القبر المرتهن

نغم:

إن كنت ساكب دمع عينك في الحزن
فذكر مصاب السبط ولتبكي الحسن
يا حسن يا مظلوم .. يا حسن يا مسموم
يا حسن يا مظلوم .. يا حسن يا مسموم

صوت:

واظل في هانغم أدرف دموع العين

واصيحن وين

احط خدي على قبرك وين

المسافة مو بعيده

بس سجن سنتين

لو سكرة عشق مرة بقلبي

وقربت مترين

يا بو محمد

وانا قبالك اعالج محنتي و لوعي

حزن روحي طفح من حبسة دموعي

ومشابق الغصات هدني

ورضض اضلوعي

نشف دمي من اصوات الشماته

وهيجن روعي

أنا اشبيدي

وعذالي من الصوبين

اصيحن وين

احط خدي على قبرك وين

يا بو محمد

سمحوه مصافحك ممنوع

ازورك بالنظر

مولاي
وارجع والقلب مفجوع
لا سباگ امسكه ولا قبر مرفوع
ارمي عليه حملي و اهمل العينين
واصيحن وين
احط خدي على قبرك وين
نغم:
ايدفن في البقيع وقبر طه
خلي من بني الزهرا وحيد
يا حسن يا مظلوم ...... يا حسن يا مسموم
يا حسن يا مظلوم ...... يا حسن يا مسموم
صوت:
قبر جدك تصدع
واتسع و ينادي جيبوه
ولدي يا خلق مسموم ردوه
وعلى صدري
على صدري
رهيف الخد
وسدوه
زمن مشتاق لحبابي
زمن ما شايف اولادي
لحده يا خلق في قلبي شقوه

لكن يا اسف
مره والف مره
كلامك يا نبي ردوه
وبالنشاب خد الورد صابوه
وعن قبرك يابو ابرهيم
طردوه
شمامة فؤادك
مثل الغرب خلوه
وفي ترب البقيع بحسرته دفنوه

نغم:

وقف الحسين على ضريحك شاكيا
"لم يبقى لي غير الكساء ودمعة الاشواق"
يا حسن يا مظلوم ...... يا حسن يا مسموم
يا حسن يا مظلوم ...... يا حسن يا مسموم

صوت:

يئن ودمعة عيونه
على الخدين تتحدر
يحن على القبر ويقول
يا بومحمد على فراقك
اخوك احسين ما يقدر
مضيفك يا كرم منصوب
بعد عينك ترى يعمر!

جاه اجواب يا المظلوم
من هالزمن يا الوالي
مضيف المجتبى المسموم
ابد ما ينترك خالي
جماعة للنخل انساب
خدام النبي الغالي
يقومون بخدمت الناس
من داني ومن عالي
وبسم الحسن يا مظلوم
مدينة جدكم تعمر
مضيف الحسن يا مظلوم
مقصد لكل زاير جاي
نخدمه بكل قلب مفتوح
نحط الزاد وي الماي
ضيف الحسن فوق الراس
لمن في البلد يحضر
نضل في خدمة الابرار
و بحبهم نريد انموت
ولايتكم فعل مولاي
مو نغمه برهيف الصوت
تضل مرفوعه رايتكم
لين المهدي ما يظهر

صدى

من بيت جل خالقه معروف كله حسن
محد قصد ساكنه طالب جميل حسن
الا لقى حاجته عند الأمام الحسن
يلقاه وبوجنته بسمة حنان وكرم
يتخيل بحضرته انه بحديقة كرم
موصوف هذا الزكي انه اساس الكرم
سيد شباب الخلق اهو الامام الحسن

يا حسن يا مظلوم .. يا حسن يا مسموم
يا حسن يا مظلوم .. يا حسن يا مسموم

*** *** ***

(٢٤) - الشيخ عبد الحسين شُكر[1]

نقيع السم

لله رُزْءٌ بــه كــم للرشــادِ هــوى ... ركـنٌ وكـم فيـه بيتٌ للضَّـلالِ بُنـي!
رزءٌ بـه عرصـاتُ العلـم قـد بَقِيَـت ... دوارسـاً مِـن فـروض الله والسُّـنَنِ
لا غَـرْوَ إن تكـنِ الأكـوانُ قـد خَلَعـت ... ثوبَ المحاسنِ مِن حُزنٍ على «الحَسَنِ»
فإنّــه كــان فــي الأشـياء بهجتَهــا ... قد قام فيها مَقـامَ الـرُّوحِ فـي البَـدَنِ
للهِ كم أقرَحَت جَفـنَ النبـيِّ، وكـم ... قد ألبَسَت فاطمـاً ثوبـاً مـن الحُـزُنِ!

---

[1] الشيخ عبد الحسين بن الشيخ احمد بن شكر النجفي بن الشيخ أحمـد بـن الحسـن بـن محمـد بـن شكر الجباوي النجفي. توفي بطهران سنة ١٢٨٥هـ، رثى أهل البيت عليهم السلام بقصائد كثيرة تزيد على الخمسـين منهـا روضة مرتبة على الحروف، وقد تصدى الخطيب الشهير الشيخ محمد علي اليعقوبي لجمع ما نظمـه الشـاعر في أهل البيت من مديح ورثاء فنشره في كراسة تناهز المائة صفحة بالنجف الاشرف.

ثم أنسَ يومَ عميد الدين دَسّ له مِن جعدةِ السمَّ سِرّاً عابدُ الوثَنِ
كيما تَهُدَّ مِن العَليا دِعامتَها فجرَّعَته الردى في جُرعةِ اللَّبَنِ
فقَطّعتَ كَبِداً مِمّن غدا كَبِداً لفاطمٍ.. وحشىً مِن واحدِ الزمنِ
حتّى قضى بنقيع السمِّ مُمتثِلاً لأمرِ بارئِهِ في السرِّ والعَلَنِ
فأعولَت بعدَه العَلْيا وبُرقعتِ الـ شَمسُ المنيرةُ في ثوبٍ مِن الدَّجَنِ
مَن مُبلِغٌ حيدرَ الكرّارَ منتَدِباً: يا مُنزِلَ المَنِّ والسلوى بلا مِنَنِ
كيف اصطبارُك والسبطُ الزكيُّ غدا نَهْباً لحدِ ذوي الأضغانِ والإحَنِ ؟!
مَن مُبلِغُ المصطفى والطُّهْرِ فاطمةٍ أنّ الحسينَ دماً يبكي على الحسنِ
يدعوه: يا عَضُدي في كلّ نائبةٍ ومُسعِدي إن رماني الدهرُ بالوَهَنِ
قد كنتَ لي مِن بني العليا بقيّتَهُم وللعدوّ قَناتي فيك لم تَلِنِ
فاليومَ بعدَك أضحَت وهي ليّنةٌ لغامزٍ.. وهنيءُ العيشِ غيرُ هَني
لهفي لزينبَ تَدعوه ومُقلتُها عَبرى.. وأدمعُها كالعارضِ الهَتِنِ

*** *** ***

(٢٥) - **السيّد محمّد حسين بن السيّد كاظم** (الكيشوان)[(١)]

رموا جنازته

خانوا بعترةِ أحمدٍ مِن بَعدِهِ ظُلْماً.. وما حَفِظوا بهم ما استُودِعوا

---

(١) السيد محمد حسين ابن السيد كاظم ابن السيد علي بن أحمد الموسوي القزويني الشهير بالكيشوان النجفي . ولد في النجف عام ١٢٩٥هـ ، مشهور بعلمه وتحقيقه، أديب له الصدارة في المجالس والمكانة السامية عند العلماء، ذكره صاحب (الحصون المنيعة) فقال: فاضل مشارك في العلوم سابق في المنثور والمنظوم له فكرة تخرق الحجب وهمة دونها الشهب، وشعر يسيل رقة وخط يشبه العذار دقة، إلى حسن أخلاق وطيب اعراق وحلو محاضرة مع الرفاق، ونسك وتقى بعيد عن الرياء والنفاق.

وعَدَوا على الحسن الزكيّ بسالف الـ أحقــاد حــين تــألّبوا وتجمّعــوا
غَـدَروا بـه بعـد العهـود فغُـودِرَت أثقالُـــه بـــين اللئـــامِ تُـــوزَّعُ
لله أيُّ حشـــىً تُكابِـــدِ محنـــةً يَشحى لها الصخرُ الأصمُّ ويُصدَعُ
ورزيّـــة جَـــرَّت لقلـــب محمّـــدٍ حُزنـاً فقـام لـه السـماءُ تَزَعـزعُ
كيف ابنُ وحي الله وهو بـه الهـدى أرسـى فقـام لـه العِمـادُ الأرفـعُ
أمســى مُضــاماً يُسـتباحُ حريمُـه هَتكــاً.. وجانبُــه الأعــزُّ الأمنـعُ
ويـرى بنـي حـربٍ علـى أعوادهـا جَهـراً تَنـال مِـن الوصـيّ ويَسـمعُ
مــا زال مُضــطهَداً يُقاسـي مـنهمُ غُصَصـاً بهـا كـأسَ الـردى يتجـرّعُ
حتّـــى إذا نفَـــذَ القضـــاءُ مُحتَّمـــاً أضـحى يُـدَسُّ إليـه سُـمٌّ مُنْقَـعُ
وتَفَتَّـــت بالســـمّ مِـــن أحشـــائه كَبِـدٌ لهـا حتّـى الصَّـفا يتصـدّعُ
وســرى بـــه نعـــشٌ تَـــوَدّ بَناتُـــهُ لــو يَرتقــي للفرقــدَين ويُرفــعُ
نعـشٌ لـه الـروحُ الأمـين مُشَـيِّعٌ ولــه الكتــابُ المسـتبينُ مــودِّعُ
نَعـــشٌ أعـــزَّ اللهُ جانـــبَ قُدسِـــهِ فَغَـدَت لـه زُمَـرُ الملائـكِ تَخضـعُ
نثلـوا لـه حقـدَ الصـدور فمـا يُـرى منهــا لقـــوسٍ بالكِنانـــةِ مَنـــزَعُ
ورَمَـــوا جنازتَـــه فعـــاد وجســـمُهُ غَـــرَضٌ لراميـــةِ الســـهامِ ومَوقـــعُ
شَـكُوّه حتّـى أصـبحت مِـن نعشـهِ تُســـتَلُّ غاشـــيةُ النبـــالِ وتُنـــزَعُ
لـم تَـرمِ نعشَـك إذ رَمَتـكَ عصـابةٌ نَهضَـــت بهـــا أضـــغانُها تَتســـرّعُ
لكنّهـا علمـت بأنّـك مهجـةُ الـ زْهـراء فابتَـدرَت لحربـك تُهـرَعُ
مَنَعَتـه عـن حَـرَم النبـيّ ضـلالةً وهـو ابنُـه.. فـلأيِّ أمـرٍ يُمنَـعُ ؟!
لله أيّ رزيّـــــةٍ كـــــادت لهـــــا أركـانُ شـامخةِ الهـدى تتضعضـعُ
رُزْءٌ بكـت عـينُ الحسـينِ لـه ومِـن ذَوب الحشـــا عَبَراتُـــه تَتَـــدفّعُ

يـومَ آنثنـى يـدعو.. ولكـنْ قلبُـهُ وارٍ.. ومُقلتُـــه تفـــيضُ وتَـــدمعُ
أتُـرى يطيـفُ بـيَ السُّـلُوُّ ونـاظري مِـن بَعـدِ فَقْـدكَ بـالكرى لا يَهجَـعُ
أأُخَـيَّ لا عيشـي يجـوسُ خلالَـه رَغَـدٌ.. ولا يصـفو لـوِردي مَشْـرَعُ

*** *** ***

(٢٦) - الشيخ سلمان بن أحمد البحرانيّ[١]

بكاه المحراب والمسجد

أقصِـري عـن ملامتـي وعِتـابي لسـتِ تـدرينَ يـا أُمـيمُ بمـا بـي
لـو تـذوقين مـا أذوق مـن الوجـدِ لَمـا لُمـتِ.. فاشـربي مـن شـرابي
ثمّ مـا شـئتِ فاعـذري أو فلُـومي واقرعـي بالعتـابِ والعـذْل بـابي
أوَ لـم تنظـري برأسـي اشـتعالَ الشيب مثلَ المصباحِ أو كالشـهابِ
يا أُميمُ آبيَضَّت مِن الحزن عيني فـآرفُقي بـي وراقبـي فـي شـبابي
أو فكُفّـي عـن المَـلامِ فـإنّي لأخـو زفـرةٍ وحِلـفُ آكتئـابِ
إنّ رُزئـي بالسـبط رزءٌ عظـيمٌ ومصـابٌ مُـرُّ المـذاق كصـابِ
غِيـل فـي نـاقعٍ مِـن السُّـمِّ دافَتْـ ـهُ إليـه ضـغائنُ الأحـزابِ
فقضـى بعـد قَـذْفِ أحشـاه فـي الطَّسْتِ شهيداً.. تنعاه آيُ الكتابِ
ونعـاه جِبريـلُ فـي الحُجْـبِ للأمـلاكِ والأنبيـا بـأيّ انتحـابِ!
وبكـاه المحـرابُ والمسـجدُ الأعظـم والمِنبـرُ الفخيمُ الجنـابِ

---

[١] الشيخ سلمان بن أحمد بن عبّاس التاجر البحراني، أديب وكاتب وشاعر، وُلد سنة ١٣٠٧هـ له عدّة مؤلّفات، منها: رسالة في أسرار اللّغة العربية، رسالة في جواب أسئلة السيّد عبدالقادر المسقطي، نظم كتاب جوامع الكَلِم لگوستاف لوبون الفيلسوف الفرنسي، وله القصيدة الهمزيّة في مدح أمير المؤمنين عليه السّلام،

والحسينُ الشهيدُ مِمّا دهاهُ — مِن مصابٍ أذابَ صُمَّ الصِّلابِ
فمشى خلفَ نعشهِ حاسرَ — الرأس حزيناً.. ينعاه للأحبابِ
لأبيهِ وفاطمٍ وأبيها — وأبي طالبٍ لُبابِ اللُّبابِ
وبنو هاشمٍ تَحفُّ كما — حَفَّت نجومٌ بكوكبٍ وشهابِ
بحسينٍ وبالسرير الذي قد — رَفعَتهُ الأملاكُ قبلَ الصِّحابِ
فجرى ما جرى مِن آلامَ، فاقنَعْ — بالكناياتِ عن صريح الخِطابِ
نَدبَتهُ الوفودُ مُد دَرَت الدا — رُ خَلَت منه بعد طولِ ارتقابِ
والضيوفُ العُفاةُ عَفَّرتِ — الأوجُهَ حُزناً له على الأعتابِ

***　　　***　　　***

(٢٧) - السيّد محسن الأمين العامليّ[(١)]

ريحانتا أحمدَ المختارِ

أهاج شجونَك ربعٌ دارسُ الدِّمَنِ — فبات طَرْفُك منه فاقدَ الوسَنِ؟!
أم هل تذكّرتَ عهدَ الإلفِ حين شَدَتْ — وِرْقُ الحمائمِ أو غَنَّت على فَنَنِ؟!
كلاّ، ولكنّما تجري الدموعُ دماً — منّي.. وحُقَّ لها حُزناً على «الحسَنِ»
سِبطُ النبيّ ابنُ المؤمنين علي — شرع النبيّ أبيه خير مُؤتَمَنِ
إمامُ حقٍّ مِن الله العظيمِ، له — رياسة الدين والدنيا على سَنَنِ
الزاهدُ العابدُ الأوّابُ مَن خَلُصَت — لله نيّتُهُ في السرِّ والعَلَنِ

---

(١) هو العالم الكبير السيد محسن بن عبد الكريم الأمين الحسيني العاملي (١٢٨٤ـ١٣٧١هـ/١٨٦٥ـ ١٩٥٢م) ولد في قرية شقراء من بلاد جبل عامل بلبنان سنة ١٢٨٤هـ، من أشهر علماء عصره، وتوفي في بيروت ١٣٧١هـ، له كتاب أعيان الشيعة، والرحيق المختوم «شعر»، والحصون المنيعة، والمجالس السنية، وغيرها.

والواهبُ المالَ لا يَبغي عليه سوى ... ثوابِ بارئه الرحمانِ مِن ثَمَنِ
وقاسَمَ اللهَ ما قد كان يملكُهُ ... منه ثلاثاً بلا خوفٍ ولا مِنَنِ
والقاصدُ البيتَ لم تحمِلْهُ راحلةٌ ... خمساً وعشرين.. والنحّارُ للبُدُنِ
وذو المناقب لا يُحصي لها عَدَداً ... يَراعُ ذي فِطنٍ أو قولُ ذي لسنِ
غير الحسين وغير السيّدِ الحسَنِ ... نسلٌ لأحمدَ خيرِ الخَلْقِ لم يكنِ
سبطانِ حبُّهما دِينٌ.. وبغضُهما ... كفرٌ.. وقالِيهما لله لم يَدُنِ
ريحانتا أحمدَ المختارِ قد جَنَيا ... مِن روضِ فضلٍ بأزهار الكمال جُني
فَرعانِ قد بَسَقا مِن دوحةٍ سُقِيَت ... ماءَ النبوّةِ والأكوانُ لم تكنِ
أكرِمْ بسِبطَي رسولِ الله مَن رَقَيا ... مِن ذُروةِ المجد والعَليا إلى القُنَنِ
وقالَ خيرُ الورى قولاً فأسمَعَهُ ... لمّا دعا كلَّ ذي قلبٍ وذي أُذُنِ:
إبنايَ هذانِ دونَ الناس حُبُّهما ... حُبّي ومَن أبغَضَ السِّبطَينِ أبغَضَني
هُما الإمامانِ إن قاما وإن قَعَدا ... بذاك جبريلُ عن باريه أخبرني
أوصى بعترتهِ الهادي وأكّد ما ... أوصى وحَذّرَنا مِن غابرِ الفِتنِ
لم يَبغِ أجراً له إلاّ المودّةَ في الـ ... قُربى.. فجازَوه بالبغضاء والإحَنِ!
سِبطاهُ ما بين مَسمومٍ ومُنْجَدِلٍ ... نَهبَ الصوارمِ والعَسّالةِ اللُّدُنِ
وآلُه قُتّلَت في كلِّ شارقةٍ ... من البسيطةِ لم تُنصَر ولم تُعَنِ
ثاراتُ بدرٍ ويومِ الفتح أدرَكَها ... مِن آل طه بنو عَبّادةِ الوَثَنِ
لهفي على الحسنِ الزاكي وما فَعَلَت ... به الأعادي وما لاقى مِن المِحَنِ!
سَقَتْه بغياً نقيعَ السُّمِّ لا سُقِيتْ ... صوبَ الحيا مِن غَوادي عارضٍ هَتِنِ
فقَطَّعتْ كَبِداً للمصطفى ورَمَت ... فؤادَ بضعتهِ الزهراءِ بالحُزُنِ

وأوسَعَت مِن عليٍّ قلبهَ حُرَقاً وغادرَتْه رهينَ الوَجدِ والشَّجَنِ
وللحسينِ حنينٌ مِن فؤادِ شجىً بالوجد مضطرمٍ.. بالحزنِ مُرتَهَنِ
لله رُزْءُ ابنِ بنتِ المصطفى، فلَقَد أضحى له الصبحُ عن نَصبِ الدليل غني
رُزْءٌ تَهونُ له الأرزاءُ أجمعُها عن عُظْمِهِ وهو حتّى اليومِ لم يَهُنِ
زرءٌ له مِن مِنى تبكي مشاعِرُها وخَطْبُه نازلٌ بالبيت ذي الركُنِ
يا آلَ أحمدَ، لا ينفكّ رُزؤُكمُ يَهيجُ لي ذِكْرَ أشجانٍ تُؤرّقُني
ولستُ أسلوكمُ عمرَ المدى أبداً حتّى يُفرَّقَ بين الروحِ والبَدَنِ
أنتم سفينةُ نوحٍ والنجاةُ بكم وليس في البحر مِن مُنْجٍ سوى السُّفُنِ
دِيني وِلاكُم.. وبعد الموتِ حبُّكمُ ذُخري إذا صِرتُ رهنَ اللّحدِ والكَفَنِ
اللهُ أنزلَ فيكم وحيَهُ، وعلى ولائِكُم بُنيَ الأسلامُ حين بُني

*** *** ***

(٢٨) - **السيّد رضا الهندي**[(١)]

يا دَمعُ سُحَّ بوَبْلِكَ الهَتِنِ لِتَحولَ بين الجَفْنِ والوَسَنِ
كيف العزاء وليس وَجْديَ مِن فَقْدِ الأنيس ووحشة الدِّمَنِ
بل هذه قوسُ الزمان غدا منها الفؤادُ رَميّةَ المِحَنِ
واستوطَنَت قلبي نوائبُهُ حتّى طَفِقتُ أهيمُ في وطني

---

(١) هو السيّد رضا بن السيّد هاشم بن مير شجاعة علي النقوي الرضوي اللكهنوي، النجفي المولد والمدفن. وُلد في مدينة النجف الأشرف سنة ١٢٩٠هجرية. كان من رجال الأدب، أجاد في نظمه حتّى تغلّبت شهرته الأدبية على مكانته العلمية، فقد حمل راية الشعر في النجف أكثر من أربعين عاماً. كان رجلاً ورعاً ديّناً، بعثه المرجع السيّد أبو الحسن الأصفهانيّ وكيلاً عنه إلى ناحية المشخاب حتّى تُوفّي سنة ١٣٦٢هـ.

وأذَلْــتُ دمعــاً كنــتُ أحبِسُــهُ وأصــون لُؤلــؤَهُ عــن الــثَّمَن
مــا الصــبرُ لــي ســهلٌ فأركبَــهُ فَــدَعِ الفــؤادَ يــذوبُ بــالحُزُنِ
أوَ مــا نَظَــرتَ إلــى صــفيٍّ بنــي مُضَــرَ الكــرامِ وخيــرِ مُــؤتَمَن
شِــبلِ الوصــيّ ونجــلِ فاطمــةٍ وابــن النبــيّ وســبطهِ الحَسَــن
كــم ذاق بعــد أبيــه مِــن غُصَــصٍ يَطــوي الفــؤادَ بهــا علــى شَــجَن
حُشِــدت لنصــرته الجُنــودُ وهــم بــين البُغــاةِ وطالــبِ الفــتن
ومُحكّــمٍ ومُؤمِّــلٍ طَمَعــاً ومُشــكّكٍ بــالحقّ لــم يَــدِنِ
حتّــى إذا امــتحنَ الجمــوعَ لكــي يمتــازَ صَــفوُهمُ مِــن الأجِــن
نقضــوا مَــواثِقَهُم ســوى نفــرٍ نَصَــحوا لــه فــي السـرِّ والعَلَــن
مــا أبصَــرَت عــينٌ ولا سَــمِعَت أُذُنٌ بمَــن ســاواه فــي المِحَــن
يرعــى عِــداه بعينــهِ ويعــي شــتمَ الوصــيِّ أبيــه فــي أُذُنِ
وقــد ارتــدى بالصــبرِ مُشــتَمِلاً بــالحِلم محتفظــاً علــى السُّــنَن
حتّــى سَــقَوهُ السُّــمَّ فــاقتَطَعوا مِــن دَوحِ أحمــدَ أيَّمــا غُصُــن
سُــمّاً يُقطّــع قلــبَ فاطمــةٍ وَجْداً على قلبِ آبِنها الحسن
فمضــى شــهيداً صــابراً.. فهَــوَت حُزْنــاً عليــه كواكــبُ الــدَّجَن
اللهُ مِــن صــبرِ الحســين بــهِ حاطَــت ذوو الأحقــادِ والضّــغَن
تركــوا جنــازةَ صِــنْوهِ غَرَضــاً للنَّبــلِ يَثبُــتُ منــه فــي الكَفَــن
وتَصُــدُّه عــنهم وصــيّتُهُ حاشــاه مــن فشــلٍ ومِــن وَهَــن
فمضــى بــه نحــوَ البقيــع إلــى خيــرِ البقــاع بأشــرفِ المُــدُنِ
واراهُ والأرزاءُ مُورِيــةٌ بحشــاه زَنْــدَ الهَــمِّ والحُــزُنِ

ودعــا وأدمعُــه قــد انحــدرَت   مِــن أعــيُنٍ نابَــت عــنِ المُــزُنِ

*** *** ***

(٢٩) - أحمد حسن الدجيلي[1]

هتف الوحي

هتَـفَ الـوحيُ فاسـتجاب القَبيـلُ   لوليـــدٍ بـــه الحيـــاةُ تَطـــولُ
هتــف الــوحيُ أن سـيُولَد فجـرٌ   يَظهـــرُ الحـــقُّ فيـــه والتنزيـــلُ
إنـــه حفيـــدُ رســـولِ الله..   فَـــرعُ الإمامـــةِ المـــأمولُ
ماجَـــت الأرضُ بالبشـــائرِ لمّـــا   قـــد علاهـــا التكبيـــرُ والتهليـــلُ
وحَنَـــت فـــاطمٌ تَضُـــمُّ إليهـــا   قلبَهـا الطُّهـرَ وهـي طُهـرٌ بتـولُ
تُوسِـعُ الطفـلَ بالحَنـانِ، وتُوليـه   مِـن الحـبِّ مـا بـه تسـتطيلُ
والرسـولُ الكـريم دنيـا تلاقـى   فـي مجالاتها الضحى والأصيلُ
جَسَّـــد اللهُ حِلمَـــه فهـــو أُفْـــقٌ   حالِـكٌ بـالرُّؤى وظِـلٌّ ظَليـلُ

---

[1] أحمد بن حسن الدجيلي (١٣٤٣-١٤١٢هـ/١٩٢٤-١٩٩١م): ولد في مدينة النجف (العراق)، وفيها عاش، ومات. نشأ في بيت علم وأدب، ودرس على يد كبراء المدينة من العرب والإيرانيين، ثم درس في كلية الفقه وتخرج فيها. كان أبوه شاعراً. أسهم في تأسيس الرابطة الأدبية بالنجف، وتولى تدريس اللغة والأدب في مدارسها، كما تولى التدريس في سامراء بعض الوقت. وله أيضاً ديوان مخطوط يضم قصائده الدينية والاجتماعية. -له دراسة بعنوان «المختار الثقفي» -النجف ١٩٥٥. تلتقي في أشعاره مفاهيمه الدينية ونزعته الخلقية، بتطلعه القومي وحماسته الوطنية، بذاته المتحررة التواقة إلى جمال الحياة. العبارة عنده واضحة السلاسة، والإيقاع في شعره واضح متجاوب مع طبيعة التشكيل الشعري المناسب لموضوع القصيدة. وهو في كل الأحوال شعر عمودي يلتزم العروض الخليلي. له: ١- أحلام الشباب. ٢- أزهار وأشواك. ٣- أعلام الأدب من آل الدجيلي. ٤- رسالة في الفلسفة تبحث عن الخير والشر. ٥- مختصر تاريخ الدولتين الأموية والعباسية. ٦- حياة المختار.

لـــيس بِـــدعاً فإنّـــه رُوحُ طـــه قـــد تجلّـــى وســـيفُهُ المســـلولُ
والكتـــابُ الـــذي بـــه يَظهـــرُ الحـقُّ جليّـاً.. ويُـورق المسـتحيلُ
والسَّـحابُ الـذي بمـاطرِ كفَّيـهِ تضـوعُ الرُّبـى وتزهـو الحقـولُ
أيُّهـــا الأُمُّ آلثِميـــهِ برِفـــقٍ ولْيُـــداعِبْ جُفونَـــهُ التقبيـــلُ
سـوف يُلقـى ثقـلُ الحيـاةِ عليـه إنّ ثقـلَ الحيـاةِ عِـبءٌ ثقيـلُ
يـــا وليـــداً نَمَتـــهُ أكـــرمُ أُمٍّ وآصـطفاهُ إلـى الصلاح الرسـولُ
وانتَقَتْـــه رســـالةُ الـــدين نبراســـاً تُضـــاء بـــه والســـهولُ
ومَعينـــاً للـــدِّين إنْ جـــفّ منـــه غُصـنُه الغَـضُّ واعتـراهُ الـذبولُ
كيـف راحـت روحُ الخيانـةِ فـي زَحفك تَضرى وفي حماك تَصولُ
كيـف ظلّـت تعيـثُ فـي جيشـكَ الصاعد ظلماً.. كما يعيث الدخيلُ
وحفيـــد الرســـولِ ران عليـــهِ مِن عظيمِ المُصابِ خَطبٌ جليلٌ
فـــإذا أُغمِـــد الحُســـامُ وفـــاض الغَـدرُ واجتُـثّ سـاعدٌ مفتـولُ
لـــم يَـــرَ السِّـــبطُ مَلجـــأً غيـــرَ أن يَعمـدَ للسِّـلمِ.. وهـو نِعـمَ السبيلُ
هـــو نهـــجٌ أرادهُ اللهُ أن يبقـــى منـــاراً.. ومـــا ســـواه بَـــديلُ
هـــو صـــبحٌ.. وللصـــباحِ شـــروقٌ منـــه والفجـــرُ فوقـــه مِنـــديلُ
أيُّهـــا القائـــدُ الـــذي فـــي يديـــهِ يَخفِـقُ النصـرُ.. وهـو نِعـمَ الـدليلُ
إنّمـا النصـرُ لـيس بالـدم يجـري فـي ثَـرى أرضِـنا وفيهـا يسـيلُ
إنّهـــا دعـــوةُ الســـماءِ عليهـــا رفـرَفَ الحـبُّ لا الـدمُ المطلـولُ
هـــي للحـــقِّ دعـــوةٌ ولأهليـــهِ حنـــانٌ.. وللهـــدى إكليـــلُ
وهـي أُختُ السيف الـذي كـان في كفّ عليٍّ على عِداه يَصولُ

وكــلا الــدعوتَينِ تَنــبِضُ بالحــ ـــقِّ.. وكِلتاهُمــا ربَيــعٌ جميــلُ
خَسِـئ المُفتـرونَ فيـكَ وخابـت أنفـــسٌ جُــلُّ ســعِيها تضــليلُ

*** *** ***

(٣٠) - السيّد مهدي الأعرجيّ[(١)]

لحُشاشةٍ ذابت

مـا سـال دمعـي للخَلـيطِ المُزمِـعِ كـلاّ، ولا وَجْـدي لتلـك الأربُـعِ
كـلاّ، ولا هاجـت بَلابِـلُ صَبوَتي لحمــائمٍ فــوق الأراكــةِ سُــجَّعِ
كـلاّ، ولا أنّـي تـذكّرتُ الغضـا فطَفِقْـتُ أُطفـي جَمـرَهُ بـالأدمعِ
لكنْ أذابَ حُشاشتي فَرْطُ الأسـى لحُشاشــةٍ ذابــت بِسُــمٍّ مُنْقَــعِ
لهفي على الحسنِ الزكيّ وقد قضى مِن سُمِّ جَعدةَ في حَشىً مُتَقطّعِ
قـد عـاش بعـد أبيـه وهـو مكابِـدٌ غُصَصاً تشيب لها نَواصي الرُّضَّعِ
مـا بـين مُرتـابٍ وبـين مُشـكّكٍ ومُؤمِّــلٍ نحــوَ المطــامع مُســرِعِ
يرنـو العِـدى تُؤذيـه وهـو بمنظـرٍ منهم.. ومِن شَتمِ الوصـيِّ بِمَسـمَعِ
أفْديـهِ مِـن مُتحمِّلٍ غـيظَ العِـدى صـبراً بكاسـاتِ الـردى مُتجـرّعِ
شـاء الإلـه بـأن يُـرى بـين الـورى عانٍ إلى أمرِ الـدعيِّ ابـن الـدعي
حتّـى قضـى بالســمِّ بـينَ أُميّــةٍ بحشــىً كظــيمٍ مــنهمُ مُتَوجِّــعِ

---

(١) هو السيّد مهدي بن السيّد راضي بن السيّد حسين الحسينيّ الأعرجيّ البغدادي. وُلِد في مدينة النجف الأشرف سنة ١٣٢٢هـ درس العربية والعروض على السيّد رضا الهندي. له ديوان تزيد صفحاته على الثلاثمائة، جمعه شقيقه الخطيب السيّد حبيب، وله أُرجوزة كبيرة في تواريخ المعصومين. تُوفّي غريقاً بشطّ الفرات في الحلّة سنة ١٣٥٩هـ.

ولَجــدِّه جــاؤوا بــه لِيُجــدّدوا بالمصطفى المختارِ عهدَ مُودِّعِ
فأتَت على بغلٍ تُمانعُ دفنَهُ لِمْ لا أباها قبلَ ذا لم تَمنَعِ ؟!
بيتُ النبيّ على « فلانَ » مُوسَّعٌ وعلى الزكيِّ يكون غيرَ مُوسَّعِ!
فأتى الحسينُ إلى البقيعِ بنعشهِ والحزنُ يَسعَرُ منه بين الأضلُعِ
حتّى إذا واراه هاج به الأسى فغدا يخطّ ترابَهُ بالإصبَعِ
ويقول والأشجانُ تملأ صدرَهُ ويئنّ أنّةَ والهٍ متفجِّعِ
وانصاع يرثيه بلوعةِ ثاكلٍ تبدو عليه كآبةُ المُستَرجِعِ:
أأُخيُّ لا يحلو لعيني مجلسٌ ويطيبُ لي إنْ لم تكن فيه معي

*** *** ***

(٣١) - الشيْخ محمّد عليّ اليعقوبيّ(١)

ملأ الدنيا بشراً

بِذِكراكَ يا ابن المصطفى ابتهَجَ الدهرُ وقد ملأ الدنيا بميلادك البِشرُ
تَجلّيتَ في أُفُق الإمامةِ نَيّراً له عَنَتِ الشمسُ المنيرةُ والبدرُ
بيومٍ به شَطرُ التهاني لأحمدِ وللدينِ والدنيا بمولدهِ شطرُ
به المصطفى قد قَرَّ طَرْفاً.. وحيدرٌ ونالت به آمالَها فاطمُ الطُّهْرُ
وعَمّ بِبُشْراهُ السما فتَنَزّلَت تُهنّي رسولَ الله أملاكُها الغُرُّ

(١) وُلد الشيخ محمّد علي اليعقوبي سنة ١٣١٣ هـ في مدينة النجف الأشرف لوالدٍ اشتهر بالعلم والفضل والأدب، وقد شجّعه أحد مشايخه الأعلام على ارتياد مجال الخطابة، فأصبح الخطيب المرموق والمحدّث الثقة. نشأ الشيخ محمّد علي في مدينة الحلّة، وترعرع في نوادي العلم ومجالس الأدب، حتّى عاد إلى موطنه النجف سنة ١٣٣٥ هـ فعكف على البحث والتأليف وقراءة كتب الأدب والتراجم، وخلّف آثاراً أدبيّة وتاريخيّة تُقدَّر بثلاثين كتاباً وديواناً ونقداً.

تُحيّيــهِ حتّــى مطلـع الفجـرِ بالهَنـا فأسفَرَ عن نور الهـدى ذلـك الفجـرُ
وجــاء أمــينُ الله جبريــلُ يزدهــي بخدمتــه فَخْــراً.. وحَــقَّ لــه الفَخْــرُ
تَهلَّـــل شـــهرُ الله فيـــه كأنّمـــا به العيد ليس الفطر عيداً ولا النحرُ
وليــدٌ حبــاه اللهُ بالشــرف الــذي يَضوعُ ليوم الحشر مِن ذِكْرِه العطرُ
تكــوّن مــن ســرِّ الإلــه وقُدســهِ فللـــهِ فـــي إبـــداع تكوينـــهِ سِـــرُّ
ورابع أصحابِ الكِسا حين ضَمَّهم ومـا تحتـه زَيـدٌ سـواهم ولا عَمْـرُو
إذا فاضتِ السَّبْعُ الزَّواخرُ لـم تكـن تُقاس بهـا فـي الجُـود أنملُـهُ العَشـرُ
فكم مِن قـرونٍ قـد تَولَّـت وأعصـرٌ ولم يَخْلُ مِن ذكراهُ قَرنٌ ولا عصـرُ
كريمُ بني الوحي الذي غَمرَ الورى وأغنــى عُفــاةَ النــاسِ نائلُــه الغمْــرُ
هو المجتبى الزاكي نِجارً ومَحْتِداً عن الرجسِ في تطهيره صَدَع الذّكْرُ
فكم مِن ندى كفَّيهِ في الجَدْبِ أخصَبَت خَمائـلُ منهـا أينَعَ الحمـدُ والشـكرُ
وذو نَجـدةٍ فيـه الهـدى شَـدَّ أزْرَهُ وفي حُبِّهِ تُمحى الخطيئاتُ والـوزرُ
تَربّــى بحِجْــرِ المصــطفى وبيتــهِ فأعظِمْ ببيتٍ دونَـه البيتُ والحِجْـرُ
فيابْنَ الأُلي قد جاء في الذِّكْر مدحُهُم فـأنّى يُـوفّي حقَّهـا الـنَّظْمُ والنَّثْـرُ ؟!
همُ القومُ لولا جُـودُهم ووجـودهُم لَمـا آنْهـلّ وَدْقٌ للسَّـحابِ ولا قَطْـرُ
ومَن ذا الذي يُحصي مناقب فضلِهم وهَيهات تُحصى في السَّما الأنجمُ الزُّهْرُ
بهم تُـدفَع الجُلّى لـدى كـلِّ أزمـةٍ وفيهم لدى اللأْواءِ ينكشـفُ الضُّـرُّ
تَخِـذْتُ ولاهُـم فـي حيـاتيَ جُنّـةً وذُخْراً ليوم الحشر إذ يـنعمُ الـذُّخرُ
لـيَ العـذرُ إنْ كَـلَّ اللسـانُ، فـإنّني رجـوتُ كريمـاً عنـده يُقبَـلُ العُـذْرُ

وله أيضاً:

مَضَـت بغياهـبِ الغَسَـقِ الـدجيِّ أشـــعّةُ مطلـــعِ الحســـنِ الزكـــيِّ

تفــرّع مــن أُصــولٍ زاكيــاتٍ أتَــت فــي ذلــك الثمــرِ الجَنــيِّ
هــو اللطــفُ الــذي غَمَــرَ البرايــا (وكــم لله مِــن لطــفٍ خفــيِّ!)
هــو النــورُ الــذي قــد شــعّ قِــدْماً بســاق العــرش مَــعْ نــور النبــيِّ
فيــا لــكِ فرحــةً يُهــدي التهــاني بهــا الــداني إلــى النــائي القَصــيِّ
لقــد خَصَّــت رســولَ الله بِشْــراً وعَمَّــت فــي البسيطة كــلَّ حــيِّ
به الأمــلاكُ قــد هَبَطَــت تَــزُف الــ بشــائرَ بالغَــداةِ وبالعَشــيِّ
ســرى روحُ الجِنــانِ بهــا عبيــراً فعَطَّــر نفحــةَ الزَّهــرِ النــديِّ
فطَيبــةُ والأبــاطحُ بآبتهــاجٍ لمــيلادِ السَّــريِّ الأبطحــيِّ
بســبطِ هُــدىً بــه تُهــدى البرايــا إذا ضَــلَّت عــن الــنهجِ الســويِّ
ومُقتَعِــدٍ لحِجْــرٍ أحمــديٍّ ومُرتَضِــعٍ لِــدَرٍّ فــاطميٍّ
بنفســي أوّلَ القمــرَينِ أوفــى بغُرّتــهِ علــى القمــرِ المُضــيِّ
فمــا قمــرُ الســما مهمــا تجلّــى بــأبهى مِــن مُحيّــاهُ البهــيِّ
ســما قَــدْراً فلــيس الفِكــرُ منّــا يُحــيط بقَــدرِهِ الســامي العلــيِّ
ولــيس عليــه هَــونٌ وانتقــاصٌ بتســليمِ الحكومــةِ للــدعيِّ
رأى حَقْــنَ الــدماء عليــه فرضــاً وتلــك ســجيّةُ البَــرِّ الــوفيِّ
وكيف يصول في جيشٍ خَؤونٍ بــه لَعِبــتْ يــدُ الطَّمِــعِ الــدنيِّ ؟!
تجــرّع مِــن أعاديــهِ خُطوبــاً سَــقَتْه الهــمَّ بالكــأس الــرويِّ
وعِــبْءُ الضيمِ أثقلُ كــلِّ عِــبْءٍ ينــوء بكاهــلِ الحــربِ الأبــيِّ
أعِــدْ لكــريمِ أهــل البيــت ذِكْــراً ودَعْ ذِكْــرَ بــانِ شــيبانٍ وطــيِّ
يفــيض علــى العُفــاةِ نَــدى يدَيــهِ فقُــلْ بــالبحرِ والســيل الأتِــيِّ

نَـدىً يحيـا بـه مَيْـتُ الأمـاني وتُـروى غُلّـة القلـبِ الصـديِّ
وأبـيضَ واضحِ الحَسَبَينِ طالـت أُولـي الأحساب فيـه بنـو لُـوَيِّ
إذا افتَخَـرَت بعَلياهـا قـريشٌ بعهـدِ هـدىً وعصـرٍ جـاهليِّ
فـإنّ الله شـرّفه عليهـا بسـؤددهِ التليـدِ الهاشـميِّ
حـوى شـرفَ النبـيِّ الطُّهْرِ إرثـاً وحـاز علـى الإمامـة مِـن علـيِّ

*** *** ***

(٣٢) - الأستاذ إبراهيم برّي[١]

نفحٌ مِن الطِّيب

نفحٌ مِن الطّيب يهمي مِن هنا وهنا فيـه نَسِيتُ أنـا مَـن ذا أكـون أنـا
للناس أُحرِقُ شمعَ الروح مُغتَبِطاً بأن يقولوا: سِراجٌ قـد أُضِيءَ هنـا
نَسَـجتُ للشـعر ألوانـاً وأخِيلَـةً ورُحتُ أعصرُ فيه الذوقَ والفِطنـا
أطيرُ.. ولكن بأشـواقي وعـاطفتي لعـالَمٍ فيـه روحـي تتـرك البَـدَنا
مسافرٌ أنا.. لي في المنتهـى سكَنٌ وفي رُبى الغيب قد أبدعتُ لي سَكَنا
أبْحَرتُ عبرَ شُطوطِ الكون في سفُنِي ورُحتُ أحرِق فـي مينائهـا السُّفُنا
حَسبي من الشعر أنّي قـد مَدَحتُ بـه طـه وحيـدرَ والزهـراءَ والحَسَـنا
ابنَ الرسول الذي في يـوم مولـده تـلألأ البِشـرُ وازداد الهنـاءُ هَنـا

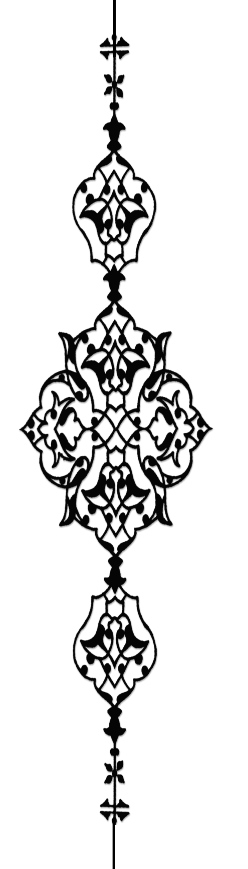
---

[١] إبراهيم محمد بري: ولد عام ١٩١٧ بجنوبي لبنان. تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة الضيعة، ثم التحق بالكلية العاملية وهو في العشرين من عمره، ومنها انتقل إلى اليسوعية حيث تخرج فيها حاملاً شهادة في الآداب العليا. موظف سابق بوزارة العدل، ومتقاعد. دواوينه الشعرية: أنتج إحدى عشرة مجموعة ظهر منها ستة دواوين هي: مارد النيل، عيناك، للنبي وآله، من هنا أشرقت الشمس، بدأنا نكتب التاريخ، ردها يا زمان. توفي عام ١٩٩٦م.

وغَـرَّد الطيـرُ مشـدوهاً علـى فَـنَنٍ ... وجـاد بـاللَّحنِ حتّـى أسـكرَ الفَنَنـا
كزهـرة النَّـرجسِ العـذراء بَسْـمتُهُ ... شَعَّت على الحيّ، فـازداد النهـارُ سَنـا
يرنـو إليـه رسـولُ الله فـي شَـغَفٍ ... فتَحسَبُ الكونَ للنَّبع الصـغير رنـا
مِن دَوحةِ الخلد غُصنُ الخلد منبثقٌ ... أعظِمْ بها دوحةً.. أكرِمْ به غُصُنا!
الزهـدُ والخُلُـقُ العُلْـويُّ شـيمتُه ... وفي العبادات يُفني العمر مُرتَهنـا
ولـم يَشـأْ بيعـةً تُرضـي معاويـةً ... لكنّــه خشــيَ الجّهــالَ والفِتَنــا
فاختارهـا وتناسـى المُلْـك مُبتعِـداً ... عن الخِصام.. فكان العاقلَ الفَطِنا
والحرُّ حـين يـرى الأيّـامَ مُعرِضـةً ... يشـيح عنهـا ولا يرجـو لهـا مِنَنـا
أبــوه أوّلُ مَــن صــلّى لخالقِــهِ ... وسَــبَّح اللهَ ســرّاً كــان أم عَلَنــا
وناصَــرَ الــدينَ آواهُ بغُربتِــهِ ... وضَــمّه بحنــان الأُمّ واحتَضَــنا
وسيفُه كم جلى عن أحمدٍ كُرَباً ... وكـم أطـاح بـه عـن مُلكـه وثنـا
والساحُ يشهد أنّ المرتضـى بطـلٌ ... فمـا تخـاذلَ فـي سـاحٍ ولا وَهَنـا
وإن أهابَ رسـولُ الله يسـأل: مَـن ... يلقـى العـدوَّ؟ يُجاوِبْـهُ علـيٌّ: أنـا
فهــو الرفيــقُ لطــه منــذ نشــأتِهِ ... أحبَّــهُ.. وعلــى أســراره ائتُمِنــا
ولــو أطــاعَ ولاةُ العُــربِ إمْرتَــهُ ... لكانـت الأرض ميراثـاً لهـم ولنـا
فلـن تـذلَّ بـلادٌ قَدّسَـت بهُـدى ... طـه وحيـدرَ والزهـراءَ والحَسَـنا

*** *** ***

الفصل العاشر





شهادة الإمام الحسن عليه السلام

كان معاوية بن أبي سفيان يُعدّ العدّة لتصفية الرؤوس الإسلامية الواحد بعد الآخر، وكان سلاحه المفضّل العسل المسموم، وقد اشتهر عنه أنه كان يقول: «إن لله جنوداً من عسل»[1].

فدبّر معاوية بن هند مكيدةً لسَمِّ سيد شباب أهل الجنة عليه السلام فأرسل إلى ملك الروم طالباً منه سمّاً قاتلاً سريع التأثير، فامتنع عن إجابته، وكتب إليه: إنه لا يصلح في ديننا أن نعين على قتل من لم يقاتلنا.

فأجابه معاوية: إن الرجل الذي أردت قتله هو ابن الرجل الذي خرج في أرض تهامة، وقد خرج الآن يطلب ملك أبيه، وأنا أريد قتله بالسمِّ لأريحَ منه العباد والبلاد.

وهذا هو معاوية.. لقد تشرّب قلبه بالحقد الجاهلي، فأرسل إليه السمَّ، واستطاع معاوية أن يغريَ زوجة الإمام الحسن عليه السلام جعدة بنت الأشعث بن قيس.

لقد كان أخبثَ بيتٍ في الإسلام بعد بيت أبي سفيان، ووعدها معاوية بالزواج من يزيد، ومئة ألف درهم، فوافقت على طلبه، ووضعت السمّ في طعامه، وقدّمته في يوم صائف، والإمام (صلوات الله عليه) كان صائماً.

[1] بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج٣٣/ص٥٨٩.

فلمّا أكل الطعام أحسّ بحرارة السمِّ، فطلب الماء، فقامت جعدة وأغلقت الباب عليه، ثم قام الإمام (صلوات الله عليه)، وخرج إلى باحة الدار، فالتقى بالإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام فرآه يجود بنفسه.

قال الإمام الحسين عليه السلام: ما بك يا أخي؟

قال: لقد سُقيت السمَّ مراراً، ما سقيت مثل هذه المرة، لقد لفظت قطعة من كبدي، وجعلت أقلّبها بعود في يدي.

فقال له الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام: ومن سقاك يا أخي؟

قال: وما تريد منه؟ أتريد أن تقتله؟ إن يكن هو هو فالله أشدُّ منك نقمة.

وبكى المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، بعدها قال الإمام أبو محمد عليه السلام: أبا عبد الله، لا يوم كيومك إذ يزدلف إليك ثلاثون ألفاً وأنت غريبٌ عطشانٌ.

وفي رواية: أنه لما أشرف الإمام المجتبى عليه السلام على الموت، قال: أخرجُوا فراشي إلى صحن الدار.

فأخرجوه، فرفع رأسه إلى السماء، وقال: «اللهمَّ إني احتسب عندك نفسي، اللهمّ ارحم صرعتي، وآنسْ في القبر وحدتي».

وبعدما رأى الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام سيّد شباب أهل الجنة الحسن عليه السلام يبكي قال له: أخي، تبكي وأنت سيد شباب أهل الجنة؟

قال الإمام عليه السلام: إنما أبكي لخصلتين: فراق الأحبة وهول المطلع.

ولمّا توفّي الإمام الحسن عليه السلام تولّى أمرَه أبو عبد الله الحسين عليه السلام وأخرجه ليدفنه إلى جنب جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرجت عائشة ومعها بنو

أمية.

جاء في (أمالي) الشيخ الطوسي قدس سره، عن ابن عباس، قال:

«وكنت أول من انصرف فسمعت اللغط، وخفت أن يعجل الحسين عليه السلام على من قد أقبل، ورأيت شخصاً علمت الشرَّ فيه، فأقبلت مبادراً فإذا أنا بعائشة في أربعين راكباً على بغلٍ مرحّل تتقدمهم وتأمرهم بالقتال، فلمّا رأتني، قالت: إليّ إليّ يا بن عباس، لقد اجترأتم عليّ في الدنيا تؤذونني مرة بعد أخرى، تريدون أن تُدخلوا بيتي مَن لا أهوى ولا أحب.

فقلتُ: وَا سوءتاه! يوم على بغل، ويوم على جمل، تريدين أن تطفئي فيه نور الله، وتقاتلي أولياء الله، وتحولي بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين حبيبه أن يدفن معه؟ ارجعي فقد كفى الله تعالى المؤونة، ودُفن الحسن إلى جنب أمّه، فلم يزدد من الله تعالى إلا قُرباً، وما ازددتم منه والله إلا بعداً، يا سوءتاه! انصرفي فقد رأيتِ ما سرّكِ.

قال: فقطّبتْ في وجهي، ونادت بأعلى صوتها: أما نسيتم الجمل يا بن عباس، إنكم لذوو أحقاد.

فقلت: أما والله ما نسيه أهل السماء، فكيف ينساه أهل الأرض؟

فانصرفت، وهي تقول:

فألقتْ عصاها واستقرَّ بها النوى كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ[1]

وفي بعض الروايات أن بني أمية وأنصارهم رشقوا المشيّعين لجنازة الإمام عليه السلام بسبعين سهماً، وأراد بنو هاشم الردّ، فمنعهم الإمام الحسين عليه السلام

---

(1) أمالي الشيخ الطوسي قدس سره: ص١٦١.

بوصية من أخيه سيّد شباب أهل الجنة.

وفي رواية: أن أبا الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام جرّد حسامه، ولكن الإمام الحسين عليه السلام منعه، وقال: إن لك يوماً أخي أبا الفضل تُبلي فيه بلاءً حسناً.

ودفن الإمام (صلوات الله عليه)، وبعد دفنه رثاه الإمام الحسين عليه السلام قائلاً:

أأدهنُ رأسيْ أم تطيبُ محاسني وخدُّك معفورٌ وأنت سليبُ
سأبكيكَ ما ناحت حمامةُ أيْكَةٍ وما اخضرّ في دوح الرِّياض قضيبُ
غريبٌ وأكنافُ الحجاز تَحُوْطُهُ ألا كلُّ مَن تحتَ التُّرابِ غريبُ

ورثاه أخوه محمد بن الحنفية وابنه.

رحمك الله أبا محمد، لَئن عزّت حياتك لقد هدت دقّاتك..

وَلِنعْمَ الروحُ روحٌ عُمِّر بها بدنُك..

وَلِنعْمَ البدنُ بدنٌ تضمَّنهُ كفنُك..

وكيف لا وأنتَ سليلُ الهدى، وحليفُ أهل التُّقى، وخامسُ أصحاب الكساء.. ؟

رُبِّيتَ في حجر الإسلام، ورضعتَ ثديَ الإيمانِ، ولك السّوابقُ العُظمى، والغاياتِ القُصوى.

فعليك من الله السّلامُ.

فلقد طبتَ حياً وميتاً.

ونقول: السلام عليك سيدي يا أبا محمّد.

يوم وُلدتَ.

ويوم استشهدتَ.

ويوم تُبعث حياً.

اللهمَّ تقبّلْ منّا هذا القليل.

واجعله ذخراً ليومٍ لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون، إلا من أتى الله بقلبٍ سليمٍ.

٢٥/ذي القعدة/١٤٣٢هـ = ٢٠١١/١٠/٢٥م

الشيخ حسن الشمّري الحائري

المصادر

١. الآحاد والمثاني: أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني (٢٠٦-٢٨٧هـ)، تحقيق: الدكتور باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية، الرياض، ١٤١١هـ/١٩٩١م، الطبعة الأولى، (١-٦ج).

٢. الأحاديث المختارة: أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي (٥٦٧-٦٤٣هـ)، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى، (١-١٠ج).

٣. الاحتجاج: أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (المتوفى: ٥٦٠هـ)، تحقيق: السيد محمد باقر الخرسان، منشورات دار النعمان للطباعة والنشر، دار النعمان، بيروت (١-٢ج).

٤. أخبار القضاة: أبو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي، الملقب بوكيع (المتوفى: ٣٠٦هـ)، تحقيق: صححه وعلّق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، نشر: المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر، لصاحبها: مصطفى محمد، الطبعة الأولى، ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م (١-٣ ج).

٥. أخبار المدينة النّبويّة: أبو زيد عمر بن شبّة النميري البصري، تحقيق عبد الله بن محمد الدويش، دار العليان، بريدة، المملكة العربية السّعودية، الطبعة

الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٦. أخطار الغزو الفكري على العالم الإسلامي: الدكتور صابر طعمة، ط عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م (١ج).

٧. آداب الصحبة: أبو عبد الرحمن السلمي، دار الصحابة للتراث، طنطا، مصر، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، الطبعة الأولى، تحقيق: مجدي فتحي السيد.

٨. آداب العلماء والمتعلمين: الحسين بن المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي اليمني (المتوفى: ١٠٥٠هـ).

٩. الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (١٩٤-٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي نشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، الطبعة الثالثة (١ج).

١٠. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ أبو عبد الله محمد بن النعمان العكبري المعروف بالمفيد (المتوفى: ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد، قم، إيران (١-٢ج).

١١. الاستشراق: الدكتور إدوارد سعيد.

١٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي دار الجيل، بيروت، ١٤١٢هـ، الطبعة الأولى (١-٤ج).

١٣. الإسلام وتربية الإنسان: إبراهيم سعادة، مكتبة المنار الإسلامية.

١٤. الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٧٧٣-٨٥٢هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت،

١٤١٢هـ/١٩٩٢م، الطبعة الأولى (١-٨ج).
١٥. أصول الفقه المسمى إجابة السائل شرح بغية الآمل: محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م، الطبعة الأولى، تحقيق: القاضي حسين بن أحمد السياغي والدكتور حسن محمد مقبولي الأهدل.
١٦. أضواء على علم النفس البشرية: الدكتور الزين عباس عمارة.
١٧. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين (المتوفى: ١٣٧١هـ)، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.
١٨. الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، (المتوفى: ٣٥٦هـ)، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية (١-٢٤ج).
١٩. الأم: محمد بن إدريس الشافعي أبو عبد الله (١٥٠-٢٠٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٣هـ، الطبعة الثانية (١-٨ج).
٢٠. الأمالي: الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى: ٤٦٠هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ (١ج)، دار الثقافة، قم، إيران.
٢١. الأمالي: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (المتوفى: ٣١٨هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (١ج)، مؤسسة البعثة، قم، إيران.
٢٢. الإمام الحسن عليه السلام القائد والتاريخ: الأستاذ فؤاد الأحمد.
٢٣. الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: طبع مؤسسة النعمان، بيروت، لبنان.

٢٤. الإمام المجتبى عليه السلام : المفسر حسن مصطفوي.
٢٥. الإمام علي في الفكر المسيحي المعاصر: راجي أنور هيفا.
٢٦. الإمامة والرد على الرافضة: أبو نعيم الأصبهاني.
٢٧. الإمامة والسياسة (المعروف بتاريخ الخلفاء): أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (٢١٣-٢٧٦هـ)، تحقيق: الأستاذ علي شيري، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة، ١٤١٣هـ الطبعة الأولى (١-٢ج).
٢٨. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (معاصر) (١-٢٠ ج).
٢٩. أنساب الأشراف: النسابة والمؤرخ أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (من أعلام القرن الثالث الهجري)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.
٣٠. الأنساب: عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.
٣١. الإنسان ذلك المجهول: الكسيس كارليل.
٣٢. أهل البيت عليهم السلام : توفيق أبو علم.
٣٣. بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام : العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (المتوفى: ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، بيروت، لبنان (١-١١٠ج).

٣٤. البدء والتاريخ: مطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: ٥٠٧هـ)، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
٣٥. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين الكاساني (المتوفى: ٥٨٧هـ)، نشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م، الطبعة الثانية (١-٧ج).
٣٦. البداية والنهاية: الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١-١٤ج).
٣٧. بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة محمد خليفة التونسي.
٣٨. البصائر والذخائر: أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، تحقيق: الدكتور وداد القاضي، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ/٩٩٩م، الطبعة الرابعة.
٣٩. بغية الطلب في تاريخ حلب: كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، تحقيق: الدكتور سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م، الطبعة الأولى.
٤٠. بناء المجتمع الإسلامي ونظمه: الدكتور نبيل السمالوطي.
٤١. البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف: إبراهيم بن محمد الحسيني (١٠٥٤-١١٢٠هـ)، تحقيق: سيف الدين الكاتب، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠١هـ (١-٢ج).
٤٢. تاريخ الإسلام: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت.

٤٣. تاريخ الأُمم والملوك = تاريخ الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ (١-٥ج).
٤٤. تاريخ بغداد أو مدينة السلام: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (٣٩٣-٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ (١-١٤ج)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٥. تاريخ جرجان: حمزة بن يوسف أبو القاسم الجرجاني (٣٤٥-٤٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد المعيد خان، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، الطبعة الثالثة (١ج).
٤٦. تاريخ خليفة بن خياط: خليفة بن خياط الليثي العصفري أبو عمر (١٦٠-٢٤٠هـ)، تحقيق: الدكتور أكرم ضياء العمري، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، ١٣٩٧هـ، الطبعة الثانية (١ج).
٤٧. تاريخ دمشق.. وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردیها وأهلها: الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، المعروف بابن العساكر (٤٩٩-٥٧١هـ)، تحقيق: علي شيري، (١-٧٠ج)، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، دار الفكر، بيروت، لبنان.
٤٨. تثبيت الإمامة وترتيب الخلافة: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ).
٤٩. تجديد الفكر الديني دعوة لاستخدام العقل: الدكتور أحمد البغدادي.
٥٠. تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام: ابن شعبة الحراني، أبو محمد

الحسن بن علي بن الحسين (المتوفى: القرن ٤)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، ١٣٦٣هـ/١٤٠٤هـ مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم (١ج).

٥١. التراجم الساقطة من الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث: عبد الله بن محمد بن عبد الله بن المبارك، تحقيق: أبو الفضل عبد المحسن الحسيني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، الطبعة الأولى.

٥٢. التربية الجنسية للأطفال والبالغين: الأستاذ يوسف مدن.

٥٣. التربية المتكاملة للطفل المسلم في البيت والمدرسة: الدكتور عبد السلام عبد الله الجقندي، التربية بين الوراثة والبيئة.. مدخل إلى فلسفة التربية: الدكتور عبد الأمير شمس الدين.

٥٤. تفسير الثعالبي: الثعالبي المالكي (المتوفى: ٨٧٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الفتاح أبو سنة، والشيخ علي محمد معوض، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١-٥ج).

٥٥. تفسير الرازي = التفسير الكبير: الفخر الرازي، محمد بن عمر (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

٥٦. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، ١٤٠٥هـ، دار إحياء التراث العربي مؤسسة التاريخ العربي، بيروت (١-٢٠ج).

٥٧. التفسير الكبير: أبو عبد الله محمد بن عمر فخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

٥٨. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد خير، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

٥٩. تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٧٧٣-٨٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، الطبعة الأولى (١-١٤ج).

٦٠. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: الحافظ جمال الدّين أبي الحجّاج يوسف بن زكي الدين عبد الرحمن بن يوسف المزِّي الدّمشقي الشّافعي، تحقيق وضبط وتعليق: بشَّار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.

٦١. التيسير بشرح الجامع الصغير: الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، الطبعة الثالثة.

٦٢. جامع الأحاديث (الجامع الصغير وزوائده والجامع الكبير): الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي.

٦٣. الجامع: معمر بن راشد الأزدي (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: حبيب الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ، الطبعة الثانية، (١-٢ج)، (منشور كملحق بكتاب المصنف للصنعاني ج ١٠).

٦٤. الجمع بين الصحيحين مع حذف السند والمكرر من البين: العلامة أبو حفص عمر بن بدر الموصلي، تحقيق: صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي.

٦٥. جمهرة الأمثال: الشيخ الأديب أبو هلال العسكري، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٦٦. الجواهر المضية في طبقات الحنفية: عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي أبو محمد، مير محمد كتب خانه، كراتشي، الباكستان.

٦٧. الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة: محمد بن أبي بكر الأنصاري التلمساني المعروف بالبري (المتوفى: ٦٤٤هـ).

٦٨. حاشية على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح: أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي (المتوفى: ١٢٣١هـ)، مكتبة البابي الحلبي، مصر، ١٣١٨هـ، الطبعة الثالثة (١ج).

٦٩. الحبائك في أخبار الملائك: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: أبو هاجر محمد سعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، الطبعة الثانية.

٧٠. حج النهج المختار من نهج البلاغة: إعداد وتعليق الدكتور سعيد السامرائي.

٧١. حديث إلى الأمهات: الدكتور سبوك، ص٥١٥، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٧٢. الحسن بن علي: توفيق أبو علم، دار المعارف، مصر، ط ١٩٩٠م.

٧٣. حقوق الإنسان: الدكتور أحمد ظاهر.

٧٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، نشر: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ، الطبعة الرابعة، بيروت، لبنان (١-١٠ج).

٧٥. حياة الإمام الحسن: العلامة الشيخ باقر شريف القرشي (معاصر).

٧٦. حياة الحيوان الكبرى: الشيخ كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى المصري الدميري (المتوفى: ٨٠٨هـ)، دار الفكر، بيروت.
٧٧. حياة أمير المؤمنين عليه السلام : العلامة الشيخ باقر شريف القرشي (معاصر).
٧٨. الخصائص الكبرى = كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.
٧٩. خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : النسائي (٢١٥-٣٠٣هـ)، تحقيق: أحمد ميرين البلوشي، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، (١ج)، مكتبة المعلا، الكويت.
٨٠. خلاصة البدر المنير في تخريج كتاب الشرح الكبير للرافعي: عمر بن علي بن الملقن الأنصاري، تحقيق: حمدي عبد المجيد إسماعيل السلفي، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٠هـ، الطبعة الأولى.
٨١. الدعوة الإسلامية: الشيخ محمد الغزالي المصري.
٨٢. دفاع عن العقيدة: الشيخ محمد الغزالي المصري.
٨٣. ديوان الشعر الواله في النبي وآله عليهم السلام : الشيخ أحمد الوائلي، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
٨٤. ديوان علي بن أبي طالب عليه السلام .
٨٥. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى عليهم السلام: محب الدين أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن محمد الطبري (٦١٥-٦٩٤هـ)، نشر: دار الكتب المصرية (١ج).

٨٦. ذخيرة الحفاظ المخرج على حروف الألفاظ: الإمام محمد بن طاهر المقدسي، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي، دار السلف للنشر، الرياض، السعودية.
٨٧. الذخيرة: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب، بيروت، ١٩٩٤م.
٨٨. الرؤية الإسلامية للقانون الدولي العام: قاسم خضر عباس.
٨٩. روح الشرائع: مونتسكيو، ط دار المعارف، مصر.
٩٠. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: أبو الثناء شهاب الدين محمود الآلوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م (١-٣٠ج).
٩١. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي (المتوفى: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، الطبعة الأولى (١-١٢ج).
٩٢. سر تأخر العرب المسلمين: الشيخ محمد الغزالي المصري.
٩٣. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٩٤. السنة في الشريعة الإسلامية: السيد محمد تقي الحكيم (معاصر).
٩٥. السنة: (الكتاب اللطيف لشرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين

والتمسك بالسنن): أبو حفص عمر بن شاهين، تحقيق: عبد الله بن محمد البصيري، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٩٦. السنّة: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: الدكتور عطية الزهراني، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م (١-٣ج).

٩٧. السنة: عبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني (٢١٣-٢٩٠هـ)، تحقيق: الدكتور محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٦هـ، الطبعة الأولى (١-٢ج).

٩٨. السنة: عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ، الطبعة الأولى (١-٢ج).

٩٩. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (٢٠٧-٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، لبنان (١-٢ج).

١٠٠. سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتصحيح: عبد الوهاب عبد اللطيف، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٠١. سنن النسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (٢١٥-٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان (١-٤ج).

١٠٢. سير أعلام النبلاء: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز

الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٣هـ، الطبعة التاسعة (١-٢٣ج).

١٠٣. سيرة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام: السيد هاشم معروف الحسيني (معاصر).

١٠٤. السيرة الحلبية = أنساب العيون في سيرة الأمين والمأمون: علي بن برهان الدين الحلبي (٩٧٥-١٠٤٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٠هـ (١-٣ج).

١٠٥. السيرة النبوية: ابن هشام محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق مصطفى السقاء، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

١٠٦. سيرة النبي تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (المتوفى: ١٣٨٣هـ)، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده (١-٤ج).

١٠٧. شرح الإيمان والإسلام وتسمية الفرق والرد عليهم: أبو عبد الله الزبير ابن أحمد بن سليمان الزبيري، تحقيق: حسام الحفناوي، دار الضياء، طنطا، مصر، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، الطبعة الأولى.

١٠٨. شرح السنّة، الإمام البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود الفرّاء، تحقيق: زهيرالشاويش، وشعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

١٠٩. شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد المعتزلي (المتوفى: ٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت (١-٢٠ج).

١١٠. الشريعة: الإمام المحدث أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق:

محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ.

١١١. الشيعة والحاكمون: الشيخ محمد جواد مغنية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان.

١١٢. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، الطبعة الثانية (١-١٨ج).

١١٣. صحيح البخاري = الجامع الصحيح: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (المتوفى: ٢٥٦هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ (١-٨ج).

١١٤. صحيح مسلم بشرح النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (٦٣١-٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ، الطبعة الثانية (١-١٨ج).

١١٥. صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (٢٠٦-٢٦١هـ)، دار الفكر، بيروت (١-٨ج).

١١٦. صفة الصفوة: عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، الطبعة الثانية، تحقيق: محمود فاخوري، والدكتور محمد رواس قلعه جي.

١١٧. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة: أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي ابن حجر الهيتمي (المتوفى: ٩٧٣هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي، وكامل محمد الخراط، مؤسسة

الرسالة، بيروت، ١٩٩٧م، الطبعة الأولى.
١١٨. طبقات الحنابلة: القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٥٢١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت (١-٢ج).
١١٩. الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي الزهري البصري (١٦٨-٢٣٠هـ)، نشر: دار صادر، بيروت (١-٨ج).
١٢٠. طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري (٢٧٤-٣٦٩هـ)، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، الطبعة الثانية (١-٤ج).
١٢١. الطفل والأحكام المتعلقة به في الفقه الإسلامي: الدكتور جودت القزويني.
١٢٢. العقد الفريد: الفقيه أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان (١-٦ج).
١٢٣. عقيدة الشيعة: دوانيه رونالدسن.
١٢٤. علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة: الدكتورة سعاد إبراهيم صالح، ط بيروت.
١٢٥. العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (٥١٠-٥٩٧هـ)، تحقيق: خليل الميس، دار

الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، الطبعة الأولى (١-٢ج).

١٢٦. العلل الواردة في الأحاديث النبوية: علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن الدارقطني البغدادي (٣٠٦-٣٨٥هـ)، تحقيق: الدكتور محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، الطبعة الأولى (١-٩ج).

١٢٧. علم النفس التربوي: فاضل عاقل دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥م، الطبعة الأولى (١ج).

١٢٨. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمد بن أحمد بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار الفكر، بيروت (١-١٢ج).

١٢٩. عيون أخبار الرضا عليه السلام: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ (١-٢ج).

١٣٠. عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: الدكتور يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ (١-٤ج).

١٣١. الغارات: إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي (المتوفى: ٣٨٣هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين المحدث، مطبعة بهمن (١-٢ج).

١٣٢. غرر الحكم ودرر الكلم.. من كلام الامام علي بن أبي طالب عليه السلام: عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد التميمي الآمدي (المتوفى: ٥٥٠هـ)،

طبع ١٣٦٦هـ ش، نشر: مكتب الاعلام الإسلامي، قم، إيران.
١٣٣. الغنية في أصول الدين: أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد النيسابوري (٤٢٦-٤٧٨هـ)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، ١٩٨٧م، الطبعة الأولى (١ج).
١٣٤. الفاضل: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ).
١٣٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي (٧٧٣-٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ (١-١٣ج).
١٣٦. الفتح الرباني في ترتيب مسند أحمد: أحمد عبد الرحمن البنا، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١-١٢ج).
١٣٧. الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م ، الطبعة الأولى.
١٣٨. الفتنة الكبرى: طه حسين، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ١٩٨٠م (٢ج).(ج١: عثمان بن عفان)، (ج٢: علي بن أبي طالب وبنوه).
١٣٩. الفتوحات المكية في معرفة الأسرار الملكية: محيي الدين بن علي بن محمد الطائي الخاتمي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، الطبعة الأولى.
١٤٠. الفردوس بمأثور الخطاب: أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني (٤٤٥-٥٠٩هـ)، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار

الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، الطبعة الأولى (١-٥ج).

١٤١. الفصول المهمة في معرفة الأئمة: علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي المعروف بابن الصباغ (المتوفى: ٨٥٥هـ)، تحقيق: سامي الغريري، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، مطبعة سرور، دار الحديث للطباعة والنشر، قم (١ج).

١٤٢. فضائل الخلفاء الراشدين: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ).

١٤٣. فضائل الصحابة: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، تحقيق: الدكتور وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، الطبعة الأولى.

١٤٤. فضائل الصحابة: أحمد بن شعيب النسائي أبو عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ، الطبعة الأولى.

١٤٥. فضائل القرآن للقاسم بن سلام: أبو عُبيد القاسم بن سلام البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ).

١٤٦. فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: إسماعيل بن إسحاق الجهضمي القاضي المالكي، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٧هـ، الطبعة الثالثة.

١٤٧. الفكر السياسي الشيعي: الدكتور حسن عباس حسن، ط الدار العالمية.

١٤٨. في موكب الدعوة: الشيخ محمد الغزالي المصري.

١٤٩. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير: محمد

عبد الرؤوف المناوي (المتوفى: ١٣٣١هـ)، تحقيق: أحمد عبد السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت (١-٦ج).

١٥٠. القانون الدولي العام دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي: للدكتور عبد الباقي نعمة عبد الله.

١٥١. قبس من نور الإمام الجواد عليه السلام: للمؤلف.

١٥٢. قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام: للمؤلف.

١٥٣. قبس من نور فاطمة عليها السلام: للمؤلف.

١٥٤. قس ونبي.. بحث في نشأة الإسلام: أبو موسى حريري، دار لأجل المعرفة، ١٩٨٥م.

١٥٥. قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن: نديم الجسر، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.

١٥٦. قصص من التاريخ: المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي قدس سره.

١٥٧. قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة: الشيخ محمد الغزالي المصري.

١٥٨. الكافي: الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي الكليني (المتوفى: ٣٢٩هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مطبعة الحيدري، دار الكتب الإسلامية، آخوندي، الطبعة الثالثة، ١٣٨٨هـ (١-٨ج).

١٥٩. الكامل في التاريخ: ابن الأثير محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب

العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م (١-١٠ج).

١٦٠. كتاب الزهد الكبير: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ)، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٦م، الطبعة الثالثة (١ج).

١٦١. الكتاب اللطيف لشرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنن: أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين، تحقيق: عبد الله بن محمد البصيري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، السعودية، ١٤١٦هـ، الطبعة الأولى.

١٦٢. كتاب شرح السنة: الحسن بن علي بن خلف البربهاري أبو محمد، تحقيق: الدكتور محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٨هـ، الطبعة الأولى.

١٦٣. كتاب معرفة التذكرة في الأحاديث الموضوعة: أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني، تحقيق: الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، الطبعة الأولى.

١٦٤. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (المتوفى:١١٦٢هـ)، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ، الطبعة الرابعة (١-٢ج).

١٦٥. كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام: علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (المتوفى: ٦٩٣هـ)، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م (١-٣ج).

١٦٦. كلمة الإمام الحسن عليه السلام : الشهيد السيد حسن الشيرازي قدس سره .
١٦٧. كنز العمال: المتقي الهندي (المتوفى: ٩٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ بكر يحياني، الشيخ صفوت السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان (١-١٦ج).
١٦٨. الكنى والأسماء: أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، تحقيق : أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، الطبعة الأولى.
١٦٩. مجلة العربي الكويتية: العدد ٦٢٤، بحث الدكتور ناصر أحمد سنة ٢٠١٠.
١٧٠. مجلة العربي الكويتية: العدد: ٦١٨، مقالة الدكتور محمد دياب.
١٧١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: الحافظ نور الدِّين علي بن أبي بكر الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ١٤٠٧هـ (١-١٠ج).
١٧٢. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: الإمام أبو الفضل محمد بن مكرم جمال الدين المعروف بابن منظور (المتوفى: ٧١١ هـ)، تحقيق: رياض عبدالحميد مراد، وروحية النحاس، ومحمد مطيع الحافظ، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م (١-٢٨ج).
١٧٣. المختصر في أخبار البشر: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي (المتوفى: ٧٣٢هـ).
١٧٤. المراجعات: السيد عبد الحسين شرف الدين (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، تحقيق: حسين الراضي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، الجمعية الإسلامية

(١ج).
١٧٥. المرجع في علم النفس: سعد جلال.
١٧٦. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: علي بن سلطان محمد القاري، مكتبة امدادية ملتان، باكستان.
١٧٧. مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ)، دار الأندلس، بيروت ١٩٦٥م.
١٧٨. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: المحقق الحاج ميرزاحسين الطبرسي النوري (المتوفى: ١٣٢٠هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، قم، إيران (١-١٨ج).
١٧٩. المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (٣٢١-٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١-٤ج).
١٨٠. مسند ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، وأحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٧م، الطبعة الأولى.
١٨١. مسند ابن الجعد: علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي (١٣٤-٢٣٠هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، الطبعة الأولى (١ج).
١٨٢. مسند أبي داود الطيالسي: سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٨٣. مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي (٢١٠-٣٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، (١-١٣ج)، دار المأمون للتراث، دمشق.
١٨٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (١٦٤-٢٤١هـ)، نشر: مؤسسة قرطبة، مصر (١-٦ج).
١٨٥. مسند الحميدي: عبد الله بن الزبير أبو بكر الحميدي (المتوفى: ٢١٩هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٨١هـ (١-٢ج).
١٨٦. المسيحية والإسلام في الميزان: شريف محمد هاشم.
١٨٧. مشكل الآثار: أبو جعفر الطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، نشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الدكن، الهند طبعة ١٣٣٣هـ.
١٨٨. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: الشهاب أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني البوصيري (٧٦٢-٨٤٠هـ)، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، ١٤٠٣هـ، الطبعة الثانية (١-٤ج).
١٨٩. المصنف: ابن أبي شيبة الكوفي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، تحقيق: سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، دار الفكر، بيروت (١-٨ج).
١٩٠. المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦-٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ، الطبعة الثانية (١-١١ج).
١٩١. مع الطب في القرآن الكريم: الدكتور عبد الحميد دياب، مؤسسة

علوم القرآن، دمشق، سوريا.
١٩٢. معالم من سايكلوجية الطفولة والبنوة والشباب: الدكتور إبراهيم كاظم العظماوي.
١٩٣. معاوية بن أبي سفيان: عباس العقاد.
١٩٤. معجم ابن المقرئ: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصبهاني الخازن، المشهور بابن المقرئ (المتوفى: ٣٨١هـ).
١٩٥. المعجم الأوسط: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وأبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ (١-١٠ج).
١٩٦. المعجم الصغير: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت (١-٢ج).
١٩٧. المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (٢٦٠-٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، مكتبة ابن تيمية، القاهرة (١-٢٥ج).
١٩٨. معرفة الصحابة: أبو نعيم الأصبهاني.
١٩٩. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (٦٧٣-٧٤٨هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ الطبعة الأولى (١-٢ج).

٢٠٠. المعرفة والتاريخ: أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (المتوفى: ٣٤٧هـ).

٢٠١. معركة المصحف في العالم الإسلامي: الشيخ محمد الغزالي المصري.

٢٠٢. الملل والنحل: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (٤٧٩-٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ (١-٢ج).

٢٠٣. من لا يحضره الفقيه: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الشيخ الصدوق (المتوفى: ٣٨١هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، جامعة المدرسين، ١٤٠٤هـ، قم، إيران (١-٤ج).

٢٠٤. مناقب آل أبي طالب: أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني (المتوفى: ٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ/١٩٥٦م، مطبعة محمد كاظم الحيدري، مطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق (١-٣ج).

٢٠٥. المناقب: الموفق بن أحمد البكري المكي الحنفي الخوارزمي (المتوفى: ٥٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ مالك المحمودي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١١هـ، الطبعة الثانية.

٢٠٦. منية المريد في آداب المفيد والمستفيد: الشهيد الثاني (المتوفى: ٩٦٦هـ)، تحقيق: رضا المختاري، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٣٦٨هـش، مكتب الإعلام الإسلامي (١ج).

٢٠٧. المهدي المنتظر عليه السلام على الأبواب: محمد عيسى داود.
٢٠٨. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: الدكتور أحمد راتب النابلسي.
٢٠٩. نزهة المجالس ومنتخب النفائس: عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، تحقيق: عبد الرحيم مارديني، دار المحبة، دار آية، بيروت ـ دمشق، ٢٠٠١/٢٠٠٢م.
٢١٠. النصائح الكافية لمن يتولى معاوية: السيد محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر بن يحيى العلوي (المتوفى: ١٣٥٠هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار الثقافة، قم المقدسة (١ج).
٢١١. نظام الحكم والإدارة في الإسلام: العلامة المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين.
٢١٢. نظرة جديدة لرسول الله صلى الله عليه وآله : وزير خارجية رومانيا السابق.
٢١٣. نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية: الدكتور أحمد محمود صبحي، ط دار النهضة العربية.
٢١٤. نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار: الشبلنجي مؤمن بن حسن (المتوفى: ١٣٠٨هـ)، الدار العالمية للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ.
٢١٥. هذا الباطل فأين الحق: الدكتور عامر الكردي.
٢١٦. وحدة التنمية عند الأطفال: عواطف إبراهيم محمد.
٢١٧. وسائل الشيعة (آل البيت عليهم السلام): محمد بن الحسن الحر العاملي (المتوفى: ١١٠٤هـ)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث،

الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، قم، إيران (١-٣٠ج).

٢١٨. وقعة صفين: نصر بن مزاحم المنقري (المتوفى: ٢١٢هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المؤسسة العربية الحديثة، الطبعة الثانية، ١٣٨٢هـ.

٢١٩. مئة منقبة: ابن شاذان القمي (من أعلام القرن ٤هـ)، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، ١٤٠٧هـ (١ج).

الفهرس

الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في سطور ٧
المقدمة ٩

الفصل الأول
النص على الإمامة

النص على إمامة الحسن المجتبى (صلوات الله عليه) ٢٥
وقفة مع الماوردي في كتابه (الأحكام السلطانية) ٢٨
تهافت نظرية الماوردي ٢٩
حكمة الاختيار ٣٥
ثم لماذا حصر الباري عز وجل الاختيار به؟! ٣٨
فلاسفة عصريون يسفّهون ٤٠
نصوص واضحة في إمامة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ٤٤

الفصل الثاني
الولادة الميمونة

ولادة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ٧٢

معاوية يطوّع كل الحقائق لإثبات نظريته ٨٣
الإمام الحسن المجتبى يرتضع من أمه الزهراء عليها السلام ٨٥
اهتمام النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله بالإمام الحسن عليه السلام ٩١

الفصل الثالث

في ظل أبيه عليهما السلام

الإمام الحسن في ظل أبيه أمير المؤمنين عليهما السلام ١٢١
مواقف الإمام أبي محمد الحسن المجتبى عليه السلام ١٣٢

الفصل الرابع

أخلاق الإمام عليه السلام

أخلاق الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ١٤٣
مشتقّة من رسول الله صلى الله عليه وآله نبعتهم ١٤٣
صفحات مشرقة ١٤٨
لماذا الفقر؟ ١٥١
الرد على نظرية «مالتوس» ١٥٤
صفحات خالدة ١٦٠
التكافل الاجتماعي.. عطاء الإمام الكثير ١٦٢
حسن الاستماع وحسن الإجابة ١٦٥
الرحمة والرأفة ١٧١

صفحات خالدة من أخلاق الإمام الحسن عليه السلام ١٨٠
مكارم الأخلاق ١٨٥

الفصل الخامس

علم الإمام عليه السلام

علم الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ١٩٣
فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ١٩٧
صور من علمه (صلوات الله عليه) ١٩٩
نماذج حية من علمه عليه السلام ٢٢٨
صور مشرقة من علمه عليه السلام ٢٣٦
نظرة في العقوبات ٢٣٩
أنا الحسن بن علي عليه السلام ٢٥٠
تفسير الآية ٢٦٣

الفصل السادس

حِكَم الإمام عليه السلام

حِكَم الإمام المجتبى عليه السلام ٢٦٣
الناصح الأمين ٢٨٤
أهمية التفكر ٢٨٥
حكم الإمام عليه السلام في تعلم العلم ٢٩١

الفصل السابع

صلح الإمام عليه السلام

صلح الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ٣٠١
الصلح أسبابه وأبعاده ٣١١
ردود الفعل من قِبَل شيعة أهل البيت عليهم السلام ٣٣٧

الفصل الثامن

شبهة الزوجات

شبهة زوجات الإمام الحسن عليه السلام ٣٤٣

الفصل التاسع

الإمام الحسن عليه السلام في الشعر العربي

الإمام الحسن عليه السلام في الشعر العربي ٣٤٩
(١) - آية الله العظمى الإمام السيد محمد الشيرازي قدس سره ٣٤٩
(٢) - الشاعر الشيخ عبد المنعم الفرطوسي ٣٥١
(٣) - الشيخ نجم الدين البغدادي ٣٥٣
(٤) - الشيخ هادي كاشف الغطاء ٣٥٤
(٥) - الشيخ محمد حسين الأصفهاني ٣٥٥
(٦) - الشاعر الإربلي ٣٦٠
(٧) - الشاعر ابن هانئ الأندلسي ٣٦١

(٨) - رثاء الإمام الحسين عليه السلام له ٣٦٢
(٩) - الشيخ محمد علي الأعسم ٣٦٢
(١٠) - الشيخ نزار سنبل ٣٦٣
(١١) - الشيخ قاسم آل قاسم ٣٦٥
(١٢) - الأستاذ معروف عبد المجيد ٣٦٨
(١٣) - الأستاذ يقين البصري ٣٧٤
(١٤) - الأستاذ فرات الأسدي ٣٧٧
(١٥) - الشيخ علي الفرج ٣٨٠
(١٦) - الأستاذ حسن فليح البغدادي ٣٨٣
(١٧) - السيد محمد الموسوي ٣٨٨
(١٨) - السيد محمد جمال الهاشمي ٣٩١
(١٩) - الدكتور الشيخ أحمد الوائلي ٣٩٦
(٢٠) - الأستاذ السيد سلمان هادي آل طعمة ٣٩٩
(٢١) - الشيخ نجم الدين البغدادي ٤٠٠
(٢٢) - الشيخ العالم الأديب هادي كاشف الغطاء ٤٠١
(٢٣) - ادريس آل قمبر ٤٠٢
(٢٤) - الشيخ عبد الحسين شُكر ٤٠٧
(٢٥) - السيّد محمّد حسين بن السيّد كاظم (الكيشوان) ٤٠٨
(٢٦) - الشيخ سلمان بن أحمد البحرانيّ ٤١٠
(٢٧) - السيّد محسن الأمين العامليّ ٤١١

(٢٨) - السيّد رضا الهندي ٤١٣
(٢٩) - أحمد حسن الدجيلي ٤١٥
(٣٠) - السيّد مهدي الأعرجيّ ٤١٧
(٣١) - الشيْخ محمّد عليّ اليعقوبيّ ٤١٨
(٣٢) - الأستاذ إبراهيم برّي ٤٢١

الفصل العاشر

شهادته عليه السلام

شهادة الإمام الحسن عليه السلام ٤٢٥
المصادر ٤٢١
الفهرس ٤٥٩